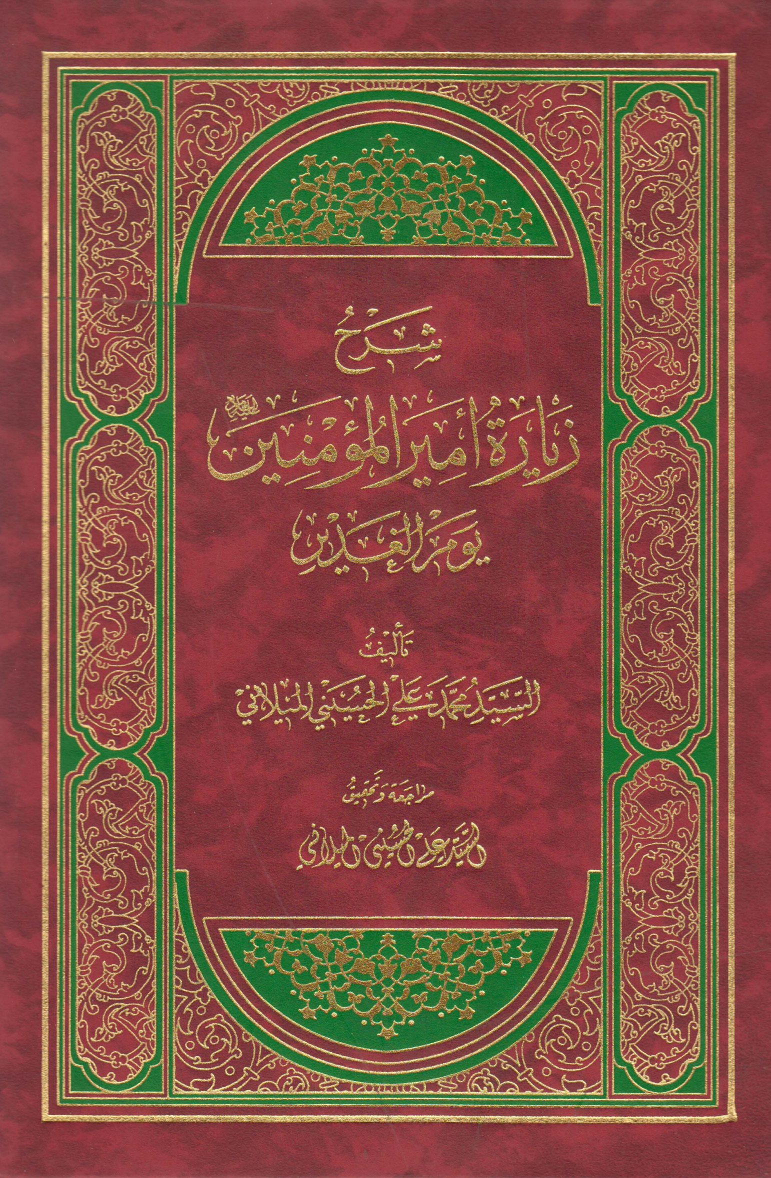

شرح
زيارة أمير المؤمنين عليه السلام
يوم الغدير
تأليف
السيد محمد علي الحسيني الميلاني
مراجعة وتحقيق
السيد علي الحسيني الميلاني

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾

إهداء إلى أرواح المرحومَين

العالم الرباني الخطيب الحسيني العلامة

السيد علي الحسيني الميلاني قدس سره

والحاج حسين حسن محمد الصيدلي رحمه الله

الفاتحة

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

مَن كُنتُ مولاهُ فهذا عليٌّ مولاهُ اللّهمَّ والِ مَن والاهُ وعادِ مَن عاداهُ

وانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ واخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ



مؤسّسة آية الله العظمىٰ
السيد الميلانيّ لإحياء الفكر الشيعيّ
٤

شرح
زيارة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام
يومَ الغدير

تأليف
السيّد محمّدعلي الحسيني الميلا ني

مراجعة وتحقيق
السيّد عليّ الحسيني الميلا ني

▼
شرح زيارة الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام يوم الغدير
تأليف: محمدعلی الحسيني الميلاني
مراجعه و تحقق: سيّدعلی الحسيني الميلاني
منشورات دليل‌ما
الطبعة الاولی: ١٤٣٣ هـ ق ـ ١٣٩٠ هـ.ش.
طبع في ٥٠٠٠ نسخة
المطبعة: نگارش
شابك (ردمك): ٠ ـ ٧٥٨ ـ ٣٩٧ ـ ٩٦٤ ـ ٩٧٨ ISBN
السعر مُجلّداً: ٦٠٠٠ توماناً
هاتف و فكس: ٧٧٣٣٤١٣، ٧٧٤٤٩٨٨ (+٩٨٢٥١)
ايران، قم، صندوق البريد: ١١٥٣ ـ ٣٧١٣٥
info@Dalilema.com
WWW.Dalilema.com (و يمكنكم شراء كتبنا عن طريق موقعنا في الإنترنت)

انتشارات دليل ما

مراكــز التوزيع:

١) قم، شارع صفائيه، مقابل زقاق رقم ٣٨، منشورات دليل‌ما، الهاتف ٧٧٣٧٠١١ ـ ٧٧٣٧٠٠١
٢) طهران، شارع إنقلاب، شارع الفخر الرازي، رقم ٦١، الهاتف ٦٦٤٦٤١٤١
٣) مشهد، شارع الشهداء، شمالي حديقة نادري، زقاق خوراكيان، بناية گنجينه الكتاب، الطابق الأول، منشورات دليل‌ما، الهاتف ٥ .. ٢٢٣٧١١٣
٤) النجف‌الأشرف، سوق‌الحويش، مقابل جامع الهندي، مكتبة الامام باقرالعلوم٧، الهاتف ٠٧٨٠١٢٦٣٥٧٩
٥) كربلاء المقدسة، شارع قبلة الإمام‌الحسين عليه السلام، مكتبة ابن‌فهد الحلي رحمه الله، الهاتف ٠٧٨٠١٥٨٨٧٠٧ - ٠٧٨٠١٥٥٨٩٤٢

سرشناسه : حسينی ميلانی، محمدعلی
عنوان قراردادی : زيارتنامه غديريه
عنوان و پديدآور : شرح زياره الامام اميرالمؤمنين عليه السلام يوم الغدير / تاليف محمدعلی الحسينی الميلانی؛ مراجعه و تحقيق سيدعلی الحسينی الميلانی.
مشخصات نشر : قم: دليل ما، ١٣٩٠.
مشخصات ظاهری : ٣٤٠ ص.
شابک : 978 - 964 - 397 - 758 - 0
وضعيت فهرست نويسی: فيپا
موضوع : زيارتنامه غديريه -- نقد و تفسير
شناسه افزوده : حسينی ميلانی، علی، ١٣٢٦ -
رده بندی کنگره : ١٣٩٠ ٥ ح ٤ غ / BP ٢٧١
رده بندی ديويی : ٢٩٧/ ٧٧٧
شماره کتابشناسی ملی : ٢٤٨٩٣٢٠

سيّدي يا أميرالمؤمنين
صلوات اللّه عليك

هذه بضاعتنا المزجاة نقدّمها إليك
و أنت صاحب الغدير
وساقي شيعتك من الكوثر
ومن أولى و أجدر منك
أن يتمّ اهداء الكتاب إليه ؟
فتقبّل منّا يا مولاي وتصدّق علينا
إنّ اللّه يجزي المتصدّقين
وسلام اللّه عليك يا سيّدي
يوم وُلدتَ ويوم لقيت ربّك شهيداً
ويوم تُبعث للمخاصمة و الشفاعة

كلمة المؤسسة

بسم اللّه الرحمن الرحيم وبه نستعين

تخليداً للآثار العلميّة والدينيّة لمرجع عظيم من مراجع الشيعة الذي إنتهل من نمير العلم وبذل جهداً عظيماً في التهذيب والتزكية في حوزتي النجف الأشرف وكربلاء المقدّسة حتّى استقرّ به المطاف إلى جوار الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام راعياً ومجدّداً لحوزةٍ علميّة صارت تُضاهي الحوزاتِ العلميّة المشهورة...

عزمنا على تأسيس مؤسّسة ثقافيّة تحمل إسم «مؤسسة آية الله الميلاني لإحياء الفكر الشيعيّ».

كانت باكورة نتاج هذه المؤسّسة كتاباً عن حياة آية الله العظمى السيد محمدهادي الميلاني قدّس سرّه والّتي حملَت عنوان «علم وجهاد» في مجلّدين وتَلَتْها «شرح زيارة يوم المبعث النبويّ» و «تكلمة قادتنا كيف نعرفهم؟» لسيّدنا العمّ حجّة الإسلام والمسلمين السيّد محمّدعلي الميلاني، واليوم نضع بين أيدي القرّاء الكرام شرح زيارة الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام يوم الغدير.

وهنا تجدر الإشارة إلى موسوعة قيّمة تحتوي على الفقه الاستدلاليّ لِسيّدنا الجدّ بعنوان «محاضرات في فقه الإماميّة» من رَشَحات يَراع آية الله

الدكتور السيد فاضل الميلانيّ، أُنجز منها عشرة أجزاء، صدر منها خمسة أجزاء، والبقيّة تنتظر طريقها إلى الطبع بإذن الله تعالى، وفي مجال البحوث العقائديّة والتفسيريّة بأيدينا كتاب «الرُؤىٰ العلميّة والفقهيّة والقرآنيّة والعقائديّة» للسيد الميلانيّ قدّس سرّه، نسأل الله تعالى أن يوفّقنا لنشره في حُلّة قشيبة قريباً إن شاء الله تعالىٰ.

وأخيراً ومع وضع اللَمَسات الأخيرة لهذا الكتاب فُجعنا بفقد عميد الأسرة عمّنا المغفور له حجّة الإسلام والمسلمين السيّد محمّدعليّ الميلاني، ولم يقدّر له أن يرى ثمرات جهوده، ووفاءً منّا له وتقديراً لجهوده واهتمامه بنشر ثقافة أهل البيت عليهم السلام من خلال آثاره العلميّة نُهدي ثواب هذا الكتاب إلى روحه سائلين له من اللّه تعالى عُلوَّ الدرجات والمزيد من الرحمة والرضوان في جوار أجداده الطاهرين عليهم السلام، وأن يتقبّل منّا جميعاً هذا العمل بكرمه وينفعنا به يوم لا ينفع مال ولا بنون إنّه سميع مجيب وآخر دعوانا أن الحمد للّه ربّ العالمين.

علي الحسينيّ الميلانيّ

مؤسسة آية الله الميلاني لإحياء الفكر الشيعيّ

مشهد المقدّسة ٢٩/ رجب الأصبّ/ ١٤٣٢

المصادف للذكرى السنوية السابعة والثلاثين

لوفاة آية اللّه العظمى السيّد الميلاني قدّس سرّه

تمهيد

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمدُ لله، والصلاةُ والسلام علىٰ أشرف الأنبياء محمّدٍ صلّى الله عليه وآله وسلّم، وعلىٰ سيّد الأوصياء عليٍّ عليه السلام وأهل بيته الأطهار، واللّعنُ علىٰ أعدائهم أجمعين.

في السابع عشر من ذي الحجّة سنة ١٣٦٩ هـ، صَحِبتُ سيّدي الوالد قُدّس سرّه في سَفرةٍ من كربلاء المقدّسة إلى النجف الأشرف لزيارة أمير المؤمنين عليه السلام يومَ الغدير، فنزلنا بيت المرحوم السيّد موسى الحسينيّ الميلانيّ. وكان جماعةٌ من التجّار والعلماء، منهم: سماحة آية الله العظمىٰ السيّد أبوالقاسم الخوئيّ، والعَلَم الحجّة الفذّ الشيخ محمّدعلى الأُردوباديّ، وآية الله الحجّة السيّد محمّد جواد الطباطبائيّ، وغيرهم من العلماء قدّس الله أرواحهم مدعوّين لتناولِ طعام الغداء.

فجرى الحديث عن عظمة «عيد الغدير» عند الشيعة، وفضل زيارة

أمير المؤمنين عليه السلام فيه، وما نقله ابن أبي الحديد المعتزليّ[١]، عند ذاك قال سماحة السيّد الخوئيّ: فليقرأ أحدُ الفضلاء ما كتبه المحدِّث الشيخ عباس القمّي في فضل عيد الغدير، وزيارة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، فقرأ أحدهم ما رواه المحدّث القمّي، وإليك نصّه:

اليومُ الثامن عشر من ذي الحجّة يومُ عيد الغدير، وهو عيدُ الله الأكبر، وعيدُ آل محمّد عليهم السّلام، وهو أعظم الأعياد، ما بعَثَ اللهُ نبيّاً إلّا وهو يُعَيِّد هذا اليوم ويحفظ حُرمَتَه، واسمُ هذا اليوم في السماء يومُ العهد المعهود، وإسمُه في الأرض يومُ الميثاق المأخوذ، والجمع المشهود.

رُوي أنّه سُئِل الإمام الصادق عليه السلام: هل للمسلمين عيدٌ غير الجُمعة والأضحى والفطر؟ قال: «**نعم، أعظمُها حُرمةً**»، قال السائل: وأيُّ عيدٍ هو؟ قال [عليه السلام]: «**اليومُ الذي نصَبَ فيه رسولُ الله صلّى الله عليه وآله أميرَ المؤمنين عليّاً عليه السّلام وقال: «مَنْ كنتُ مَولاه فعليٌّ مولاه»، وهو اليومُ**

---

١. قال ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة: «كان إسماعيل بن عليّ مقدَّم الحنابلة ببغداد في الفقه والخلاف، ويشتغل بشيء في علم المنطق، وكان حُلوَ العبارة... قال ابن عالية: ونحن عنده نتحدث إذ دخل شخصٌ من الحنابلة قد كان له دَيْنٌ على بعض أهل الكوفة فانحدر إليه يطالبه به، واتّفقَ أن حضر زيارة يوم الغدير، والحنبليّ المذكور بالكوفة، وهذه الزيارة هي في اليوم الثامن عشر من ذي الحجّة، ويجتمع بمشهد أميرالمؤمنين عليه السلام من الخلائق جموعٌ عظيمة تتجاوز حدَّ الإحصاء.
قال ابن عالية: فجعل الشيخ الفخر يُسائل ذلك الشخص: ما فعلت؟ ما رأيت؟ هل وصل مالُك إليك؟ هل بقي لك منه بقيّةٌ عند غريمك؟ وذاك يجاوبه، حتّىٰ قال له: يا سيّدي لو شاهدت يومَ الزيارة، يومَ الغدير، وما يجري عند قبر عليّ بن أبي طالب من الفضائح والأقوال الشنيعة، وسبَّ الصّحابة جهاراً بأصوات مرتفعة من غير مراقبة ولا خِيفة! فقال إسماعيل: أيُّ ذنبٍ لَهم!! واللهِ ما جَرّأهم علىٰ ذلك، ولا فتح لهم هذا البابَ إلّا صاحبُ ذلك القبر! فقال ذلك الشخص: ومَن صاحب القبر؟ قال: عليّ بن أبي طالب! قال: يا سيّدي هو الذي سنّ لهم ذلك، وعلّمهم إيّاه وطرّقهم إليه؟ قال: نعم والله، قال: يا سيّدي فإن كان مُحقّاً فما لنا أن نتولّىٰ فلاناً وفلاناً! وإن كان مُبطِلاً فما لنا نتولّاه! ينبغي أن نَبرأَ إمّا منه أو منهما.
قال ابن عالية: فقام إسماعيل مسرعاً فلبس نَعلَيْه وقال: لعن الله إسماعيل الفاعل إن كان يعرف جواب هذه المسألة، ودخل دارَ حرَمه، وقمنا نحن وانصرفنا». (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، الجزء التاسع بتحقيق محمّد ابوالفضل إبراهيم ص٣٠٨).

الثامن عشر من ذي الحجّة»[١].

وروىٰ المحدِّث القمّيّ بسنده قال أبو عبد الله عليه السلام في ذكره حديث الغدير، «لقد حَضَرَ اثنا عشر ألف رجل يشهدون لعليّ بن أبي طالب عليه السلام فما قَدَر علىٰ أخذ حقِّه، وأنّ أحدَكم يكون له المالُ وله شاهدانِ، فيأخُذ حقّه»[٢].

وفي حديث آخر [عنه عليه السلام]: «العجبُ لِما لَقِيَ عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام! إنّه كان له عشرةُ آلاف شاهد، ولم يَقْدِر علىٰ أخذِ حقِّه والرجلُ يأخذ حقَّه بشاهدَين!»[٣]

فضل زيارة أميرالمؤمنين عليه السلام يومَ الغدير

روى عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال لابن أبي نصر البزنطي: «يا ابن أبي نصر، أينما كنتَ فاحضرْ يومَ الغدير عند أمير المؤمنين عليه السلام، فإنّ الله تعالىٰ يغفر لكلّ مؤمن ومؤمنة ومسلم ومسلمة ذنوبَ ستّينَ سنة، ويُعتِق من النار ضِعفَ ما أعتق في شهر رمضان وفي ليلة القدر وفي ليلة الفطر»[٤].

---

١. الكافي للكلينيّ ١: ٢٠٤.
٢. سفينة البحار الطبعة القديمة ٢: ٣٠٦.
٣. تفسير العيّاشيّ ١: ٣٣٢ / ح١٥٤.
٤. مصباح الزائر للسيّد ابن طاووس ١٥٣ / الفصل السابع.

زيارة الإمام
أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السّلام يوم الغدير

بسم اللّه الرحمن الرحيم

السَّلامُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللّٰهِ، خاتَمِ النَّبِيِّينَ، وَسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، وَصَفْوَةِ رَبِّ الْعالَمِينَ، أَمِينِ اللّٰهِ عَلَىٰ وَحْيِهِ وَعَزائِمِ أَمْرِهِ، وَالْخاتِمِ لِما سَبَقَ، وَالْفاتِحِ لِمَا اسْتُقْبِلَ، وَالْمُهَيْمِنِ عَلَىٰ ذٰلِكَ كُلِّهِ وَرَحْمَةُ اللّٰهِ وَبَرَكاتُهُ وَصَلَواتُهُ وَتَحِيَّاتُهُ. السَّلامُ عَلَىٰ أَنْبِياءِ اللّٰهِ وَرُسُلِهِ، وَمَلائِكَتِهِ الْمُقَرَّبِينَ، وَعِبادِهِ الصَّالِحِينَ. السَّلامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَسَيِّدَ الْوَصِيِّينَ، وَوارِثَ عِلْمِ النَّبِيِّينَ، وَوَلِيَّ رَبِّ الْعالَمِينَ، وَمَوْلايَ وَمَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللّٰهِ وَبَرَكَاتُهُ. السَّلامُ عَلَيْكَ يَا مَوْلايَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، يَا أَمِينَ اللّٰهِ فِي أَرْضِهِ، وَسَفِيرَهُ فِي خَلْقِهِ، وَحُجَّتَهُ الْبَالِغَةَ عَلَىٰ عِبادِهِ. السَّلامُ عَلَيْكَ يَا دِينَ اللّٰهِ الْقَوِيمَ، وَصِراطَهُ الْمُسْتَقِيمَ. السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبَأُ الْعَظِيمُ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ وَعَنْهُ يُسْأَلُونَ. السَّلامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَالْمُؤْمِنِينَ، آمَنْتَ بِاللّٰهِ وَهُمْ مُشْرِكُونَ، وَصَدَّقْتَ بِالْحَقِّ وَهُمْ مُكَذِّبُونَ، وَجاهَدْتَ وَهُمْ مُحْجِمُونَ، وَعَبَدْتَ اللّٰهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ صابِراً مُحْتَسِباً حَتَّىٰ أَتاكَ الْيَقِينُ، أَلَا لَعْنَةُ اللّٰهِ عَلَىٰ الظَّالِمِينَ. السَّلامُ عَلَيْكَ يَا سَيِّدَ الْمُسْلِمِينَ، وَيَعْسُوبَ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِمامَ الْمُتَّقِينَ، وَقائِدَ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ، وَرَحْمَةُ اللّٰهِ وَبَرَكاتُهُ. أَشْهَدُ أَنَّكَ أَخُو رَسُولِ اللّٰهِ، وَوَصِيُّهُ، وَوارِثُ عِلْمِهِ، وَأَمِينُهُ عَلَىٰ شَرْعِهِ، وَخَلِيفَتُهُ فِي أُمَّتِهِ، وَأَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِاللّٰهِ وَصَدَّقَ بِما أُنْزِلَ عَلَىٰ نَبِيِّهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ

عَنِ اللّٰهِ مَا أَنْزَلَهُ فِيكَ فَصَدَعَ بِأَمْرِهِ، وَأَوْجَبَ عَلَىٰ أُمَّتِهِ فَرْضَ طاعَتِكَ وَوِلايَـتِكَ، وَعَقَدَ عَلَيْهِمُ الْبَيْعَةَ لَكَ، وَجَعَلَكَ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَما جَعَلَهُ اللّٰهُ كَذٰلِكَ، ثُمَّ أَشْهَدَ اللّٰهَ تَعالَىٰ عَلَيْهِمْ فَقالَ: أَلَسْتُ قَدْ بَلَّغْتُ فَقالُوا: اللّٰهُمَّ بَلىٰ. فَقالَ: اللّٰهُمَّ اشْهَدْ وَكَفىٰ بِكَ شَهِيداً وَحاكِماً بَيْنَ الْعِبادِ. فَلَعَنَ اللّٰهُ جاحِدَ وِلايَتِكَ بَعْدَ الْإِقْرارِ، وَناكِثَ عَهْدِكَ بَعْدَ الْمِيثاقِ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ وَفَيْتَ بِعَهْدِ اللّٰهِ تَعالَىٰ وَأَنَّ اللّٰهَ تَعالَىٰ مُوفٍ لَكَ بِعَهْدِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِما عاهَدَ عَلَيْهُ اللّٰهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْـراً عَـظِيماً، وَأَشْـهَدُ أَنَّكَ أَمِـيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْحَقُّ الَّذِي نَطَقَ بِوِلايَتِكَ التَّنْزِيلُ، وَأَخَذَ لَكَ الْعَهْدَ عَـلَىٰ الْأُمَّـةِ بِـذٰلِكَ الرَّسُولُ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ وَعَمَّكَ وَأَخاكَ الَّذِينَ تاجَرْتُمُ اللّٰهَ بِنُفُوسِكُمْ فَأَنْزَلَ اللّٰهُ فِيكُمْ: إِنَّ اللّٰهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَـنَّةَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْراةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللّٰهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بايَعْتُمْ بِهِ وَذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ التَّائِبُونَ الْـعابِدُونَ الْحامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحافِظُونَ لِحُدُودِ اللّٰهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ. أَشْهَدُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ الشَّاكَّ فِيكَ مَا آمَنَ بِالرَّسُولِ الْأَمِينِ، وَأَنَّ الْعادِلَ بِكَ غَيْرَكَ عانِدٌ عَنِ الدِّينِ الْقَوِيمِ الَّذِي ارْتَضاهُ لَنا رَبُّ الْعالَمِينَ، وَأَكْمَلَهُ بِوِلايَتِكَ يَوْمَ الْغَدِيرِ، وَأَشْـهَدُ أَنَّكَ الْـمَعْنِيُّ بِـقَوْلِ الْـعَزِيزِ الرَّحِيمِ: وَأَنَّ هٰذا صِراطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ، ضَلَّ وَاللّٰهِ وَأَضَلَّ مَنِ اتَّبَعَ سِواكَ وَعَنَدَ عَنِ الْحَقِّ مَنْ عاداكَ. اللّٰهُمَّ سَمِعْنا لِأَمْـرِكَ وَأَطَعْنا وَاتَّبَعْنا صِراطَكَ الْمُسْتَقِيمَ فَاهْدِنا رَبَّنا وَلَا تُزِغْ قُلُوبَنا بَـعْدَ إِذْ هَـدَيْتَنا إِلىٰ طاعَتِكَ، وَاجْعَلْنا مِنَ الشَّاكِرِينَ لِأَنْعُمِكَ. وَأَشْهَدُ أَنَّكَ لَمْ تَزَلْ لِلْهَوىٰ مُخالِفاً، وَلِلتُّقىٰ مُحالِفاً، وَعَلىٰ كَظْمِ الْغَيْظِ قادِراً، وَعَنِ النَّاسِ عافِياً غافِراً، وَإِذا عُصِيَ اللّٰهُ ساخِطاً، وَإِذا أُطِيعَ اللّٰهُ راضِياً، وَبِما عَهِدَ إِلَيْكَ عامِلاً، راعِياً لِمَا اسْتُحْفِظْتَ، حـافِظاً لِـمَا اسْتُودِعْتَ، مُبَلِّغاً مَا حُمِّلْتَ، مُنْتَظِراً مَا وُعِدْتَ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ مَا اتَّقَيْتَ ضارِعاً، وَلَا

أَمْسَكْتَ عَنْ حَقِّكَ جازِعاً، وَلاٰ أَحْجَمْتَ عَنْ مُجاهَدَةِ غاصِبِيكَ ناكِلاً، وَلاٰ أَظْهَرْتَ الرِّضىٰ بِخِلافِ مَا يُرْضِي اللّٰهَ مُداهِناً، وَلاٰ وَهَنْتَ لِما أَصابَكَ فِي سَبِيلِ اللّٰـهِ، وَلاٰ ضَعُفْتَ وَلَا اسْتَكَنْتَ عَنْ طَلَبِ حَقِّكَ مُراقِباً، مَعاذَ اللّٰـهِ أَنْ تَكُـونَ كَـذٰلِكَ، بَـلْ إِذْ ظُلِمْتَ احْتَسَبْتَ رَبَّكَ وَفَوَّضْتَ إِلَيْهِ أَمْرَكَ، وَذَكَّرْتَهُمْ فَمَا ادَّكَرُوا، وَوَعَظْتَهُمْ فَـمَا اتَّعَظُوا، وَخَوَّفْتَهُمُ اللّٰهَ فَمَا تَخَوَّفُوا، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جاهَدْتَ فِي اللّٰهِ حَقَّ جِهادِهِ حَتّىٰ دَعاكَ اللّٰهُ إِلىٰ جِوارِهِ، وَقَبَضَكَ إِلَيْهِ بِاخْتِيارِهِ، وَأَلزَمَ أَعْداءَكَ الْحُجَّةَ بِقَتْلِهِمْ إِيَّاكَ لِتَكُونَ الْحُجَّةُ لَكَ عَلَيْهِمْ مَعَ مَا لَكَ مِنَ الْحُجَجِ الْبالِغَةِ عَلىٰ جَمِيعِ خَلْقِهِ.

السَّلامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، عَبَدْتَ اللّٰهَ مُخْلِصاً، وَجاهَدْتَ فِـي اللّٰـهِ صَـابِراً، وَجُدْتَ بِنَفْسِكَ مُحْتَسِباً، وَعَمِلْتَ بِكِتابِهِ ، وَاتَّبَعْتَ سُنَّةَ نَـبِيِّهِ، وَأَقَـمْتَ الصَّـلاةَ، وَآتَيْتَ الزَّكاةَ، وَأَمَرْتَ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهَيْتَ عَنِ الْمُنْكَرِ مَا اسْتَطَعْتَ مُبْتَغِياً مَا عِنْدَ اللّٰهِ، راغِباً فِيما وَعَدَ اللّٰهُ، لاٰ تَحْفِلُ بِالنَّوائِبِ، وَلاٰ تَهِنُ عِنْدَ الشَّدائِدِ، وَلاٰ تُحْجِمُ عَنْ مُحارِبٍ، أَفِكَ مَنْ نَسَبَ غَيْرَ ذٰلِكَ إِلَيْكَ، وَافْتَرىٰ باطِلاً عَلَيْكَ، وَأَوْلىٰ لِـمَنْ عَـنَدَ عَنْكَ، لَقَدْ جاهَدْتَ فِي اللّٰهِ حَقَّ الْجِهادِ، وَصَبَرْتَ عَلَى الْأَذىٰ صَبْرَ احْتِسابٍ، وَأَنْتَ أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِاللّٰهِ وَصَلّىٰ لَهُ وَجـاهَدَ وَأَبْـدىٰ صَـفْحَتَهُ فِـي دارِ الشِّـرْكِ، وَالْأَرْضُ مَشْحُونَةٌ ضَلالَةً، وَالشَّيْطانُ يُعْبَدُ جَهْرَةً، وَأَنْتَ الْقائِلُ: لاٰ تَزِيدُنِي كَثْرَةُ النَّاسِ حَوْلِي عِزَّةً، وَلاٰ تَفَرُّقُهُمْ عَنِّي وَحْشَةً، وَلَوْ أَسْلَمَنِي النَّـاسُ جَـمِيعاً لَـمْ أَكُـنْ مُـتَضَرِّعاً. اعْتَصَمْتَ بِاللّٰهِ فَعَزَزْتَ، وَآثَرْتَ الْآخِرَةَ عَلَى الْأُولىٰ فَزَهِدْتَ، وَأَيَّدَكَ اللّٰهُ وَهَداكَ وَأَخْلَصَكَ وَاجْتَباكَ، فَـما تَـناقَضَتْ أَفْـعالُكَ، وَلَا اخْـتَلَفَتْ أَقْـوالُكَ، وَلاٰ تَـقَلَّبَتْ أَحْوالُكَ، وَلَا ادَّعَيْتَ وَلَا افْتَرَيْتَ عَلَىٰ اللّٰهِ كَذِباً، وَلاٰ شَرِهْتَ إِلَى الْحُطامِ، وَلاٰ دَنَّسَكَ الْآثامُ، وَلَمْ تَزَلْ عَلىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكَ، وَيَقِينٍ مِنْ أَمْرِكَ، تَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَ إِلىٰ صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ، أَشْهَدُ شَهادَةَ حَقٍّ، وَأُقْسِمُ بِاللّٰهِ قَسَمَ صِدْقٍ أَنَّ مُحَمَّداً وَآلَهُ صَلَواتُ اللّٰهِ عَلَيْهِمْ سادَاتُ الْخَلْقِ، وَأَنَّكَ مَـوْلايَ وَمَـوْلَى الْـمُؤْمِنِينَ، وَأَنَّكَ عَـبْدُ اللّٰـهِ وَوَلِـيُّهُ

وَأَخُوالرَّسُولِ وَوَصِيُّهُ ووارِثُهُ، وَأَنَّهُ الْقائِلُ لَكَ: وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ مَا آمَنَ بِي مَنْ كَفَرَ بِكَ، وَلاٰ أَقَرَّ بِاللّٰهِ مَنْ جَحَدَكَ، وَقَدْ ضَلَّ مَنْ صَدَّ عَنْكَ وَلَمْ يَهْتَدِ إِلَىٰ اللّٰهِ وَلاٰ إِلَيَّ مَنْ لاٰ يَهْتَدِي بِكَ، وَهُوَ قَوْلُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ: وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدىٰ إِلىٰ وِلايَتِكَ. مَوْلايَ فَضْلُكَ لاٰ يَخْفىٰ، وَنُورُكَ لاٰ يُطْفَأُ، وَأَنَّ مَنْ جَحَدَكَ الظَّلُومُ الْأَشْقىٰ، مَوْلايَ أَنْتَ الْحُجَّةُ عَلَى الْعِبادِ، وَالْهادِي إِلَىٰ الرَّشادِ، وَالْعُدَّةُ لِلْمَعادِ، مَوْلايَ لَقَدْ رَفَعَ اللّٰهُ فِي الْأُولىٰ مَنْزِلَتَكَ، وَأَعْلىٰ فِي الْآخِرَةِ دَرَجَتَكَ، وَبَصَّرَكَ مَا عَمِيَ عَلىٰ مَنْ خالَفَكَ، وَحالَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ مَواهِبِ اللّٰهِ لَكَ، فَلَعَنَ اللّٰهُ مُسْتَحِلِّي الْحُرْمَةِ مِنْكَ، وَذائِدِي الْحَقِّ عَنْكَ، وَأَشْهَدُ أَنَّهُمُ الْأَخْسَرُونَ الَّذِينَ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيها كالِحُونَ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ مَا أَقْدَمْتَ وَلاٰ أَحْجَمْتَ وَلاٰ نَطَقْتَ وَلاٰ أَمْسَكْتَ إِلَّا بِأَمْرٍ مِنَ اللّٰهِ وَرَسُولِهِ، قُلْتَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ نَظَرَ إِلَيَّ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَضْرِبُ بِالسَّيْفِ قُدْماً، فَقالَ: يَا عَلِيُّ، أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسىٰ إِلَّا أَنَّهُ لاٰ نَبِيَّ بَعْدِي، وَأُعْلِمُكَ أَنَّ مَوْتَكَ وَحَياتَكَ مَعِي وَعَلىٰ سُنَّتِي، فَوَاللّٰهِ مَا كَذِبْتُ وَلاٰ كُذِّبْتُ وَلاٰ ضَلَلْتُ وَلاٰ ضُلَّ بِي وَلاٰ نَسِيتُ مَا عَهِدَ إِلَيَّ رَبِّي، وَ إِنِّي لَعَلىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي بَيَّنَها لِنَبِيِّهِ، وَبَيَّنَهَا النَّبِيُّ لِي، وَ إِنِّي لَعَلَى الطَّرِيقِ الْواضِحِ أَلْفِظُهُ لَفْظاً، صَدَقْتَ وَاللّٰهِ وَقُلْتَ الْحَقَّ، فَلَعَنَ اللّٰهُ مَنْ ساواكَ بِمَنْ ناواكَ، وَاللّٰهُ جَلَّ اسْمُهُ يَقُولُ: هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاٰ يَعْلَمُون، فَلَعَنَ اللّٰهُ مَنْ عَدَلَ بِكَ مَنْ فَرَضَ اللّٰهُ عَلَيْهِ وِلايَتَكَ وَأَنْتَ وَلِيُّ اللّٰهِ، وَأَخُو رَسُولِهِ، وَالذَّابُّ عَنْ دِينِهِ، وَالَّذِي نَطَقَ الْقُرْآنُ بِتَفْضِيلِهِ ، قالَ اللّٰهُ تَعالىٰ: وَفَضَّلَ اللّٰهُ الْمُجاهِدِينَ عَلىٰ الْقاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً * دَرَجاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكانَ اللّٰهُ غَفُوراً رَحِيماً وَقالَ اللّٰهُ تَعالىٰ : أَجَعَلْتُمْ سِقايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجاهَدَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ لاٰ يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللّٰهِ وَاللّٰهُ لاٰ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ، الَّذِينَ آمَنُوا وَهاجَرُوا وَجاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ بِأَمْوالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ

دَرَجَةً عِنْدَ اللّٰهِ وَأُولئِكَ هُمُ الْفائِزُونَ، يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيها نَعِيمٌ مُقِيمٌ، خالِدِينَ فِيهَا أَبَداً إِنَّ اللّٰـهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ، أَشْهَدُ أَنَّكَ الْمَنْصُوصُ بِمِدْحَةِ اللّٰهِ، الْمُخْلِصُ لِطاعَةِ اللّٰهِ، لَمْ تَبغِ بِالْهُدىٰ بَدَلاً، وَلَمْ تُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّكَ أَحَداً، وَأَنَّ اللّٰهَ تعالىٰ اسْتَجابَ لِنَبِيِّهِ صَلَّىٰ اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِيكَ دَعْوَتَهُ، ثُمَّ أَمَرَهُ بِإِظْهارِ مَا أَوْلاكَ لِأُمَّتِهِ، إِعْلاءً لِشَأْنِكَ، وَ إِعْلاناً لِبُرْهانِكَ، وَدَحْضاً لِلْأَباطِيلِ، وَقَطْعاً لِلْمَعاذِيرِ، فَلَمَّا أَشْفَقَ مِنْ فِتْنَةِ الْفاسِقِينَ، وَاتَّقىٰ فِيكَ الْمُنافِقِينَ، أَوْحىٰ إِلَيْهِ رَبُّ الْعالَمِينَ: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّٰهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ، فَوَضَعَ عَلَىٰ نَفْسِهِ أَوْزارَ الْمَسِيرِ، وَنَهَضَ فِي رَمْضاءِ الْهَجِيرِ، فَخَطَبَ وَأَسْمَعَ وَنَادَىٰ فَأَبْلَغَ، ثُمَّ سَأَلَهُمْ أَجْمَعَ، فَقالَ هَلْ بَلَّغْتُ فَقالُوا: اللّٰهُمَّ بَلَىٰ. فَقالَ: اللّٰهُمَّ اشْهَدْ، ثُمَّ قالَ: أَلَسْتُ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ فَقالُوا: بَلىٰ. فَأَخَذَ بِيَدِكَ، وَقالَ: مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَهَذا عَلِيٌّ مَوْلاهُ، اللّٰهُمَّ والِ مَنْ والاهُ، وَعادِ مَنْ عَاداهُ، وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ، وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ، فَمَا آمَنَ بِما أَنْزَلَ اللّٰهُ فِيكَ عَلَىٰ نَبِيِّهِ إِلَّا قَلِيلٌ، وَلَا زَادَ أَكْثَرَهُمْ غَيْرَ تَخْسِيرٍ، وَلَقَدْ أَنْزَلَ اللّٰهُ تعالىٰ فِيكَ مِنْ قَبْلُ وَهُمْ كَارِهُونَ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّٰهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَىٰ الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ وَلَا يَخافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذٰلِكَ فَضْلُ اللّٰهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَاللّٰهُ واسِعٌ عَلِيمٌ، إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللّٰهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ، وَمَنْ يَتَوَلَّ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللّٰهِ هُمُ الْغَالِبُونَ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنا مَعَ الشَّاهِدِينَ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ. اللّٰهُمَّ إِنَّا نَعْلَمُ أَنَّ هٰذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَالْعَنْ مَنْ عَارَضَهُ وَاسْتَكْبَرَ وَكَذَّبَ بِهِ وَكَفَرَ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ. السَّلامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَسَيِّدَ الْوَصِيِّينَ، وَأَوَّلَ الْعابِدِينَ، وَأَزْهَدَ الزَّاهِدِينَ وَرَحْمَةُ

اللّٰهِ وَبَرَكاتُهُ وَصَلَواتُهُ وَتَحِيَّاتُهُ، أَنْتَ مُطْعِمُ الطَّعامِ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً لِوَجْهِ اللّٰهِ لَاٰ تُرِيدُ مِنْهُمْ جَزاءً وَلَاٰ شُكُوراً، وَفِيكَ أَنْزَلَ اللّٰهُ تَعالىٰ: وَيُؤْثِرُونَ عَلىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَأَنْتَ الْكاظِمُ لِلْغَيْظِ وَالْعافِي عَنِ النَّاسِ وَاللّٰهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ، وَأَنْتَ الصَّابِرُ فِي الْبَأْساءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ، وَأَنْتَ الْقاسِمُ بِالسَّوِيَّةِ، وَالْعادِلُ فِي الرَّعِيَّةِ، وَالْعالِمُ بِحُدُودِ اللّٰهِ مِنْ جَمِيعِ الْبَرِيَّةِ ، وَاللّٰهُ تَعالىٰ أَخْبَرَ عَمَّا أَوْلاكَ مِنْ فَضْلِهِ بِقَوْلِهِ: أَفَمَنْ كانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كانَ فاسِقاً لَاٰ يَسْتَوُونَ ، أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوىٰ نُزُلاً بِما كانُوا يَعْمَلُونَ، وَأَنْتَ الْمَخْصُوصُ بِعِلْمِ التَّنْزِيلِ، وَحُكْمِ التَّأْوِيلِ، وَنَصِّ الرَّسُولِ، وَلَكَ الْمَواقِفُ الْمَشْهُودَةُ، وَالْمَقاماتُ الْمَشْهُورَةُ، وَالْأَيَّامُ الْمَذْكُورَةُ، يَوْمَ بَدْرٍ وَيَوْمَ الْأَحْزابِ إِذْ زاغَتِ الْأَبْصارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَناجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللّٰهِ الظُّنُونَا هُنالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزالاً شَدِيداً، وَ إِذْ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ما وَعَدَنَا اللّٰهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً، وَ إِذْ قالَتْ طائِفَةٌ مِنْهُمْ يا أَهْلَ يَثْرِبَ لَاٰ مُقامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنا عَوْرَةٌ وَما هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِراراً، وَقالَ اللّٰهُ تَعالىٰ: وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزابَ قالُوا هٰذا ما وَعَدَنَا اللّٰهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللّٰهُ وَرَسُولُهُ وَما زادَهُمْ إِلَّا إِيماناً وَتَسْلِيماً، فَقَتَلْتَ عَمْرَهُمْ، وَهَزَمْتَ جَمْعَهُمْ، وَرَدَّ اللّٰهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنالُوا خَيْراً وَكَفَى اللّٰهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتالَ وَكانَ اللّٰهُ قَوِيّاً عَزِيزاً، وَيَوْمَ أُحُدٍ إِذْ يُصْعِدُونَ وَلَاٰ يَلْوُونَ عَلىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوهُمْ فِي أُخْراهُمْ وَأَنْتَ تَذُودُ بُهَمَ الْمُشْرِكِينَ عَنِ النَّبِيِّ ذاتَ الْيَمِينِ وَذاتَ الشِّمالِ حَتَّىٰ رَدَّهُمُ اللّٰهُ تَعالىٰ عَنْكُما خائِفِينَ وَنَصَرَ بِكَ الْخاذِلِينَ، وَيَوْمَ حُنَيْنٍ عَلىٰ ما نَطَقَ بِهِ التَّنْزِيلُ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِما رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ، ثُمَّ أَنْزَلَ اللّٰهُ سَكِينَتَهُ عَلىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَالْمُؤْمِنُونَ أَنْتَ وَمَنْ يَلِيكَ، وَعَمُّكَ الْعَبَّاسُ يُنادِي الْمُنْهَزِمِينَ: يا

أَصْحابَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، يَا أَهْلَ بَيْعَةِ الشَّجَرَةِ، حَتَّىٰ اسْتَجابَ لَهُ قَوْمٌ قَدْ كَفَيْتَهُمُ الْمَؤُونَةَ، وَتَكَفَّلْتَ دُونَهُمُ الْمَعُونَةَ، فَعَادُوا آيِسِينَ مِنَ الْمَثُوبَةِ، رَاجِينَ وَعْدَ اللّٰهِ تَعالىٰ بِالتَّوْبَةِ، وَذٰلِكَ قَوْلُ اللّٰهِ جَلَّ ذِكْرُهُ: ثُمَّ يَتُوبُ اللّٰهُ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ عَلىٰ مَنْ يَشاءُ، وَأَنْتَ حَائِزٌ دَرَجَةَ الصَّبْرِ فائِزٌ بِعَظِيمِ الْأَجْرِ، وَيَوْمَ خَيْبَرَ إِذْ أَظْهَرَ اللّٰهُ خَوَرَ الْمُنافِقِينَ، وَقَطَعَ دابِرَ الْكافِرِينَ، وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعالَمِينَ، وَلَقَدْ كانُوا عَاهَدُوا اللّٰهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللّٰهِ مَسْؤُولاً. مَوْلايَ أَنْتَ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ ، وَالْمَحَجَّةُ الْواضِحَةُ، وَالنِّعْمَةُ السَّابِغَةُ، وَالْبُرْهانُ الْمُنِيرُ، فَهَنِيئاً لَكَ بِما آتاكَ اللّٰهُ مِنْ فَضْلٍ، وَتَبّاً لِشانِئِكَ ذِي الْجَهْلِ، شَهِدْتَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ جَمِيعَ حُرُوبِهِ وَمَغازِيهِ تَحْمِلُ الرَّايَةَ أَمامَهُ، وَتَضْرِبُ بِالسَّيْفِ قُدَّامَهُ، ثُمَّ لِحَزْمِكَ الْمَشْهُورِ، وَبَصِيرَتِكَ فِي الْأُمُورِ أَمَّرَكَ فِي الْمَواطِنِ وَلَمْ يَكُنْ عَلَيْكَ أَمِيرٌ، وَكَمْ مِنْ أَمْرٍ صَدَّكَ عَنْ إِمْضاءِ عَزْمِكَ فِيهِ التُّقىٰ، وَاتَّبَعَ غَيْرُكَ فِي مِثْلِهِ الْهَوىٰ فَظَنَّ الْجاهِلُونَ أَنَّكَ عَجَزْتَ عَمَّا إِلَيْهِ انْتَهىٰ، ضَلَّ وَاللّٰهِ الظَّانُّ لِذَلِكَ وَمَا اهْتَدىٰ، وَلَقَدْ أَوْضَحْتَ مَا أَشْكَلَ مِنْ ذٰلِكَ لِمَنْ تَوَهَّمَ وَامْتَرىٰ بِقَوْلِكَ صَلَّىٰ اللّٰهُ عَلَيْكَ: قَدْ يَرَى الْحُوَّلُ الْقُلَّبُ وَجْهَ الْحِيلَةِ وَدُونَها حاجِزٌ مِنْ تَقْوَىٰ اللّٰهِ فَيَدَعُها رَأْيَ الْعَيْنِ، وَيَنْتَهِزُ فُرْصَتَها مَنْ لَا حَرِيجَةَ لَهُ فِي الدِّينِ، صَدَقْتَ وَخَسِرَ الْمُبْطِلُونَ، وَإِذْ ماكَرَكَ النَّاكِثانِ، فَقالا: نُرِيدُ الْعُمْرَةَ، فَقُلْتَ لَهُما: لَعَمْرُكُما مَا تُرِيدانِ الْعُمْرَةَ، لٰكِنْ تُرِيدانِ الْغَدْرَةَ، فَأَخَذْتَ الْبَيْعَةَ عَلَيْهِما، وَجَدَّدْتَ الْمِيثاقَ، فَجَدَّا فِي النِّفاقِ، فَلَمَّا نَبَّهْتَهُما عَلىٰ فِعْلِهِما أَغْفَلا وَعادا وَمَا انْتَفَعا، وَكانَ عاقِبَةُ أَمْرِهِما خُسْراً، ثُمَّ تَلاهُما أَهْلُ الشَّامِ فَسِرْتَ إِلَيْهِمْ بَعْدَ الْإِعْذارِ وَهُمْ لَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ، وَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ، هَمَجٌ رُعاعٌ ضَالُّونَ وَبِالَّذِي أُنْزِلَ عَلىٰ مُحَمَّدٍ فِيكَ كافِرُونَ، وَلِأَهْلِ الْخِلافِ عَلَيْكَ نَاصِرُونَ، وَقَدْ أَمَرَ اللّٰهُ تَعالىٰ بِاتِّباعِكَ، وَنَدَبَ الْمُؤْمِنِينَ إِلىٰ نَصْرِكَ، وَقالَ عَزَّ وَجَلَّ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّٰهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ، مَوْلايَ بِكَ ظَهَرَ الْحَقُّ، وَقَدْ نَبَذَهُ الْخَلْقُ، وَأَوْضَحْتَ السُّنَنَ بَعْدَ الدُّرُوسِ وَالطَّمْسِ، فَلَكَ سابِقَةُ

الْجِهادِ عَلَىٰ تَصْدِيقِ التَّنْزِيلِ، وَلَكَ فَضِيلَةُ الْجِهادِ عَلَىٰ تَحْقِيقِ التَّأْوِيلِ، وَعَدُوُّكَ عَدُوُّ اللّٰهِ جاحِدٌ لِرَسُولِ اللّٰهِ يَدْعُو باطِلاً، وَيَحْكُمُ جائِراً، وَيَتَأَمَّرُ غاصِباً، وَيَدْعُو حِزْبَهُ إِلَىٰ النّارِ، وَعَمّارٌ يُجاهِدُ وَيُنادِي بَيْنَ الصَّفَّيْنِ الرَّواحَ الرَّواحَ إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَلَمّا اسْتَسْقَىٰ فَسُقِيَ اللَّبَنَ كَبَّرَ وَقالَ: قالَ لِي رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: آخِرُ شَرابِكَ مِنَ الدُّنْيا ضَياحٌ مِنْ لَبَنٍ، وَتَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْباغِيَةُ، فَاعْتَرَضَهُ أَبُو الْعادِيَةِ الْفَزارِيُّ فَقَتَلَهُ، فَعَلَىٰ أَبِي الْعادِيَةِ لَعْنَةُ اللّٰهِ وَلَعْنَةُ مَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ أَجْمَعِينَ، وَعَلَىٰ مَنْ سَلَّ سَيْفَهُ عَلَيْكَ، وَسَلَلْتَ سَيْفَكَ عَلَيْهِ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَالْمُنافِقِينَ إِلىٰ يَوْمِ الدِّينِ، وَعَلَىٰ مَنْ رَضِيَ بِما ساءَكَ وَلَمْ يَكْرَهْهُ وَأَغْمَضَ عَيْنَهُ وَلَمْ يُنْكِرْ، أَوْ أَعانَ عَلَيْكَ بِيَدٍ أَوْ لِسانٍ، أَوْ قَعَدَ عَنْ نَصْرِكَ، أَوْ خَذَلَ عَنِ الْجِهادِ مَعَكَ، أَوْ غَمَطَ فَضْلَكَ، وَجَحَدَ حَقَّكَ، أَوْ عَدَلَ بِكَ مَنْ جَعَلَكَ اللّٰهُ أَوْلىٰ بِهِ مِنْ نَفْسِهِ، وَصَلَواتُ اللّٰهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللّٰهِ وَبَرَكاتُهُ وَسَلامُهُ وَتَحِيّاتُهُ وَعَلَىٰ الْأَئِمَّةِ مِنْ آلِكَ الطّاهِرِينَ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ. وَالْأَمْرُ الْأَعْجَبُ، وَالْخَطْبُ الْأَفْظَعُ بَعْدَ جَحْدِكَ حَقَّكَ غَصْبُ الصِّدِيقَةِ الطّاهِرَةِ الزَّهْراءِ سَيِّدَةِ النِّساءِ فَدَكاً، وَرَدُّ شَهادَتِكَ وَشَهادَةِ السَّيِّدَيْنِ سُلالَتِكَ وَعِتْرَةِ الْمُصْطَفىٰ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْكُمْ وَقَدْ أَعْلَى اللّٰهُ تَعالىٰ عَلَى الْأُمَّةِ دَرَجَتَكُمْ، وَرَفَعَ مَنْزِلَتَكُمْ، وَأَبانَ فَضْلَكُمْ وَشَرَّفَكُمْ عَلَى الْعالَمِينَ فَأَذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ وَطَهَّرَكُمْ تَطْهِيراً، قالَ اللّٰهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِنَّ الْإِنْسانَ خُلِقَ هَلُوعاً إِذا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً وَإِذا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً إِلَّا الْمُصَلِّينَ، فَاسْتَثْنَىٰ اللّٰهُ تَعالىٰ نَبِيَّهُ الْمُصْطَفىٰ وَأَنْتَ يا سَيِّدَ الْأَوْصِياءِ مِنْ جَمِيعِ الْخَلْقِ، فَما أَعْمَهَ مَنْ ظَلَمَكَ عَنِ الْحَقِّ، ثُمَّ أَفْرَضُوكَ سَهْمَ ذَوِي الْقُرْبىٰ مَكْراً، وَأَحادُوهُ عَنْ أَهْلِهِ جَوْراً، فَلَمّا آلَ الْأَمْرُ إِلَيْكَ أَجْرَيْتَهُمْ عَلىٰ ما أَجْرَيا رَغْبَةً عَنْهُما بِما عِنْدَ اللّٰهِ لَكَ، فَأَشْبَهَتْ مِحْنَتُكَ بِهِما مِحَنَ الْأَنْبِياءِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ عِنْدَ الْوَحْدَةِ وَعَدَمِ الْأَنْصارِ، وَأَشْبَهْتَ فِي الْبَياتِ عَلَى الْفِراشِ الذَّبِيحَ عَلَيْهِ السَّلامُ إِذْ أَجَبْتَ كَما أَجابَ، وَأَطَعْتَ كَما أَطاعَ إِسْماعِيلُ صابِراً مُحْتَسِباً إِذْ قالَ لَهُ يا بُنَيَّ إِ

نِّي أَرىٰ فِي الْمَنامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرىٰ قالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللّٰهُ مِنَ الصَّابِرِينَ، وَكَذٰلِكَ أَنْتَ لَمَّا أَباتَكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَمَرَكَ أَنْ تَضْجَعَ فِي مَرْقَدِهِ واقِياً لَهُ بِنَفْسِكَ أَسْرَعْتَ إِلىٰ إِجابَتِهِ مُطِيعاً، وَلِنَفْسِكَ عَلَى الْقَتْلِ مُوَطِّناً، فَشَكَرَ اللّٰهُ تَعالىٰ طَاعَتَكَ، وَأَبَانَ عَنْ جَمِيلِ فِعْلِكَ بِقَوْلِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضَاةِ اللّٰهِ، ثُمَّ مِحْنَتُكَ يَوْمَ صِفِّينَ وَقَدْ رُفِعَتِ الْمَصَاحِفُ حِيلَةً وَمَكْراً فَأَعْرَضَ الشَّكُّ، وَعُزِفَ الْحَقُّ، وَاتُّبِعَ الظَّنُّ، أَشْبَهَتْ مِحْنَةَ هَارُونَ إِذْ أَمَّرَهُ مُوسىٰ عَلَىٰ قَوْمِهِ فَتَفَرَّقُوا عَنْهُ، وَهارُونُ يُنادِي بِهِمْ وَيَقُولُ: يَا قَوْمِ إِنَّما فُتِنْتُمْ بِهِ وَ إِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي. قالُوا: لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنا مُوسىٰ. وَكَذٰلِكَ أَنْتَ لَمَّا رُفِعَتِ الْمَصاحِفُ قُلْتَ: يَا قَوْمِ إِنَّما فُتِنْتُمْ بِها وَخُدِعْتُمْ، فَعَصَوْكَ وَخالَفُوا عَلَيْكَ وَاسْتَدْعَوْا نَصْبَ الْحَكَمَيْنِ، فَأَبَيْتَ عَلَيْهِمْ وَتَبَرَّأْتَ إِلَىٰ اللّٰهِ مِنْ فِعْلِهِمْ وَفَوَّضْتَهُ إِلَيْهِمْ، فَلَمَّا أَسْفَرَ الْحَقُّ، وَسَفِهَ الْمُنْكَرُ، وَاعْتَرَفُوا بِالزَّلَلِ وَالْجَوْرِ عَنِ الْقَصْدِ اخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِهِ، وَأَلْزَمُوكَ عَلَىٰ سَفَهِ التَّحْكِيمِ الَّذِي أَبَيْتَهُ وَأَحَبُّوهُ وَحَظَرْتَهُ وَأَباحُوا ذَنْبَهُمُ الَّذِي اقْتَرَفُوهُ وَأَنْتَ عَلَىٰ نَهْجِ بَصِيرَةٍ وَهُدىً، وَهُمْ عَلَىٰ سُنَنِ ضَلالَةٍ وَعَمىً، فَمَا زالُوا عَلَى النِّفاقِ مُصِرِّينَ، وَفِي الْغَيِّ مُتَرَدِّدِينَ حَتَّىٰ أَذاقَهُمُ اللّٰهُ وَبَالَ أَمْرِهِمْ، فَأَماتَ بِسَيْفِكَ مَنْ عانَدَكَ فَشَقِيَ وَهَوىٰ، وَأَحْيا بِحُجَّتِكَ مَنْ سَعَدَ فَهُدِيَ، صَلَواتُ اللّٰهِ عَلَيْكَ غادِيَةً وَرائِحَةً وَعاكِفَةً وَذاهِبَةً، فَمَا يُحِيطُ الْمَادِحُ وَصْفَكَ، وَلَا يُحْبِطُ الطَّاعِنُ فَضْلَكَ، أَنْتَ أَحْسَنُ الْخَلْقِ عِبادَةً، وَأَخْلَصُهُمْ زَهَادَةً، وَأَذَبُّهُمْ عَنِ الدِّينِ، أَقَمْتَ حُدُودَ اللّٰهِ بِجُهْدِكَ، وَفَلَلْتَ عَساكِرَ الْمَارِقِينَ بِسَيْفِكَ، تُخْمِدُ لَهَبَ الْحُرُوبِ بِبَنانِكَ، وَتَهْتِكُ سُتُورَ الشُّبَهِ بِبَيانِكَ، وَتَكْشِفُ لَبْسَ الْباطِلِ عَنْ صَرِيحِ الْحَقِّ لَا تَأْخُذُكَ فِي اللّٰهِ لَوْمَةُ لائِمٍ، وَفِي مَدْحِ اللّٰهِ تَعالىٰ لَكَ غِنىً عَنْ مَدْحِ الْمادِحِينَ وَتَقْرِيظِ الْواصِفِينَ، قالَ اللّٰهُ تَعالىٰ: مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللّٰهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً، وَلَمَّا

رَأَيْتَ أَنْ قَتَلْتَ النّاكِثِينَ وَالْقاسِطِينَ وَالْمارِقِينَ وَصَدَقَكَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّىٰ اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَعْدَهُ فَأَوْفَيْتَ بِعَهْدِهِ قُلْتَ: أَمَا آنَ أَنْ تُخْضَبَ هٰذِهِ مِنْ هٰذِهِ أَمْ مَتىٰ يُبْعَثُ أَشْقاها واثِقاً بِأَنَّكَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكَ، وَبَصِيرَةٍ مِنْ أَمْرِكَ، قادِمٌ عَلَىٰ اللّٰهِ، مُسْتَبْشِرٌ بِبَيْعِكَ الَّذِي بايَعْتَهُ بِهِ، وَذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ. اللّٰهُمَّ الْعَنْ قَتَلَةَ أَنْبِيائِكَ وَأَوْصِياءِ أَنْبِيائِكَ بِجَمِيعِ لَعَناتِكَ، وَأَصْلِهِمْ حَرَّ نارِكَ، وَالْعَنْ مَنْ غَصَبَ وَلِيَّكَ حَقَّهُ، وَأَنْكَرَ عَهْدَهُ، وَجَحَدَهُ بَعْدَ الْيَقِينِ وَالْإِقْرارِ بِالْوِلايَةِ لَهُ يَوْمَ أَكْمَلْتَ لَهُ الدِّينَ. اللّٰهُمَّ الْعَنْ قَتَلَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ ظَلَمَهُ وَأَشْياعَهُمْ وَأَنْصارَهُمْ. اللّٰهُمَّ الْعَنْ ظالِمِي الْحُسَيْنِ وَقاتِلِيهِ، وَالْمُتابِعِينَ عَدُوَّهُ وَناصِرِيهِ، وَالرّاضِينَ بِقَتْلِهِ وَخاذِلِيهِ لَعْناً وَبِيلاً. اللّٰهُمَّ الْعَنْ أَوَّلَ ظالِمٍ ظَلَمَ آلَ مُحَمَّدٍ وَمانِعِيهِمْ حُقُوقَهُمْ. اللّٰهُمَّ خُصَّ أَوَّلَ ظالِمٍ وَغاصِبٍ لِآلِ مُحَمَّدٍ بِاللَّعْنِ وَكُلَّ مُسْتَنٍّ بِما سَنَّ إِلىٰ يَوْمِ الْقِيامَةِ. اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ خاتَمِ النَّبِيِّينَ، وَعَلَىٰ عَلِيٍّ سَيِّدِ الْوَصِيِّينَ وَآلِهِ الطّاهِرِينَ، وَاجْعَلْنا بِهِمْ مُتَمَسِّكِينَ، وَبِوِلايَتِهِمْ مِنَ الْفائِزِينَ الْآمِنِينَ الَّذِينَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ.

زيارة أمير المؤمنين عليه السلام

وَرَدتْ عن الإمام عليّ الهادي عليه السلام زيارتان، وهما موسوعتا عقائد الشيعة: إحداهما: الزيارة الجامعة الكبيرة، والأخرى زيارة أميرالمؤمنين عليه السلام يومَ الغدير.

روى الشيخ المجلسيّ في «تحفة الزائر» بسنده عن النائب الأوّل من النوّاب الأربعة في الغيبة الصغرىٰ، الشيخ عثمان بن سعيد العَمْريّ[1] عن مولانا أبي محمّد الحسن بن عليّ العسكريّ، عن مولانا أبيه عليّ بن محمّد الهادي صلوات الله عليهم، أنّ أباه سلام الله عليه زار [بهذه] الزيارة مولانا أميرَالمؤمنين عليه السلام يومَ الغدير في السنة التي أشخصه فيها الحاكم

---

١. وُكلاءُ الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه، هم الذين كانوا يتشرّفون بخدمة الإمام وتخرج التوقيعات بواسطتهم إلى الناس، المنصوص علىٰ نيابتهم ووكالتهم (بالخصوص) أربعةٌ:
الأوّل: الشيخ أبو عَمْرو، عثمان بن سعيد العَمْريّ، عيّنه أوّلاً أبو الحسن عليّ بن محمّد، ثمّ ابنه الحسن بن عليّ العسكريّ، وبعد شهادته قام عثمان بن سعيد بأمر صاحب الزمان بالوكالة، وكانت توقيعاته وجوابات المسائل تخرج علىٰ يديه، ويقال له «السَّمّان» أي (بايع الزّيت)، واشتغل بهذا الشغل تقيّةً مِن أعداء الله وإخفاءً لأمر السَّفارة، تُوفّي ببغداد.

العبّاسيّ إلىٰ سامرّاء، وهي سنة ٢٤٣ هجريّة[١].

زار جدّه أميرَالمؤمنين عليَّ بن أبي طالب صلوات اللّه عليه يومَ الغدير عند الضريح، وقال: «**اَلسَّلَامُ عَلىٰ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللّٰهِ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ ... إلخ**».

وقال سلام اللّه عليه: «**كلّما حضرتَ مشهدَه الشريف وأين حَللتَ من البلاد، فزُرْهُ بهذه الزيارة، خصوصاً يومَ الغدير**».

وقال الشيخ الشهيد الأوّل: إذا أردتَ زيارته عليه السلام يوم الغدير تغتسل وتلبَس أنظفَ ثيابك، وتستأذن، ثمّ تدخل مُقدِّماً رِجْلَك اليمنىٰ على اليُسرىٰ، وامشِ حتّىٰ تقفَ على الضريح، واستقبِله، واجعل القبلة بين كتفَيك.

ولنشرع بشرحِ هذه الزيارة فقرةً فقرةً في فصول، فنقول مستعينين باللّه العليّ القدير.

---

١. تاريخ بناء سامرّاء:
في سنة ٢٢١ هـ بنى الحاكم المعتصم العبّاسيّ مدينة «سامرّاء» بمائة ألف دينار، ومات سنة / ٢٢٧ وأقام ابنَه وليّاً للعهد حتّىٰ مات. ثمّ ولِيَ المتوكّل فبنىٰ مسجداً جامعاً، وأمر بتشييد منارة لتعلو أصوات المؤذّنين فيها حتّىٰ يُنظَر إليها من فراسخ، وأنفق علىٰ بنائها مبلغ خمسة عشر ألفَ ألفِ درهم.
ولم تزل «سامرّاء» كلّ يوم في صلاح وزيادة وعمارة منذ أيّام المعتصم والواثق إلىٰ آخر أيّام المستنصر بن المتوكّل، فلمّا وَلِيَ المستعين ضعفت دولة بني العبّاس، وانتقلت السلطة إلىٰ «بغداد» بعد ذلك.

الفصل الأوّل:

السَّلامُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللّٰهِ، خـاتَمِ النَّـبِيِّينَ، وَسَـيِّدِ الْـمُرْسَلِينَ، وَصَفْوَةِ رَبِّ الْعالَمِينَ، أَمِينِ اللّٰهِ عَلَىٰ وَحْيِهِ وَعَزائِمِ أَمْرِهِ، وَالْخاتِمِ لِما سَبَقَ، وَالْفاتِحِ لِمَا اسْتُقْبِلَ، وَالْمُهَيْمِنِ عَـلَىٰ ذٰلِكَ كُـلِّهِ وَرَحْـمَةُ اللّٰـهِ وَبَرَكاتُهُ وَصَلَواتُهُ وَتَحِيّاتُهُ. السَّلامُ عَلَىٰ أَنْبِياءِ اللّٰهِ وَرُسُلِهِ، وَمَلائِكَتِهِ الْمُقَرَّبِينَ، وَعِبادِهِ الصّالِحِينَ. السَّلامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَسَيِّدَ الْوَصِيِّينَ، وَوارِثَ عِلْمِ النَّبِيِّينَ، وَوَلِيَّ رَبِّ الْعالَمِينَ، وَمَوْلايَ وَمَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللّٰهِ وَبَرَكَاتُهُ. السَّلامُ عَـلَيْكَ يـا مَـوْلايَ يـا أَمِـيرَ الْمُؤْمِنِينَ، يَا أَمِينَ اللّٰهِ فِي أَرْضِهِ، وَسَفِيرَهُ فِي خَلْقِهِ، وَحُجَّتَهُ الْبالِغَةَ عَلَىٰ عِبادِهِ. السَّلامُ عَلَيْكَ يا دِينَ اللّٰهِ الْقَوِيمَ، وَصِـراطَـهُ الْـمُسْتَقِيمَ. السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبَأُ الْعَظِيمُ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ وَعَنْهُ يُسْأَلُونَ.

النبيّ محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم خاتَم الأنبياء والرُّسل، قال اللّه سبحانه:
﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِن رِّجَالِكُمْ وَلٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ﴾[1].

---

١. الأحزاب: ٤٠.

قال السيّد الطباطبائيّ في تفسير الآية: الرسول هو الذي يحمل رسالةً من اللّه إلى الناس، والنبيّ هو الذي يحمل أنباء الغيب، فإذا انقطعت هذه الأنباء انقطعت الرسالة، وهنا يظهر أنّ كونه صلّى الله عليه وآله وسلّم خاتَمَ النبيّين يستلزم كونه خاتماً للرُّسُل[١].

خُتمت النبوّة به، فشريعته باقية إلىٰ يوم الدين، وهذه فضيلة له صلوات اللّه عليه وآله اختُصّ بها من بين سائر المرسلين[٢].

قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: إنّي عند اللّه لَخاتَمُ النبيّين وإنّ آدم لمنجدلٌ في طينته[٣].

عدَدُ الأنبياء: مائة و أربعة وعشرون ألفَ نبيّ.

ثلاث مائة وثلاثة عشر عِدّة الرسل، مِن بينهم الذين ينزل عليهم الوحي فيرون [الملائكة] ويسمعون كلامهم، وجميع الأنبياء لا تتيسّر لهم الرؤية والسماع معاً، ولا يتحمّلون رسالة اللّه سبحانه إلىٰ خلقه.

فتخصيص النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بالسيادة علىٰ الرسل يدلّ على رجحان رسالته و أكمليّتها وكيفيّة تحمّله للرسالة وطريق أدائها، فهو سيّد أولئك الذين تحمّلوا رسالته و أدَّوها إلى الناس، وذلك لِعِظم رسالته، والتوفيق الأكمل في أدائها[٤].

«وَصَفْوَةِ رَبِّ الْعالَمِينَ»:

المرسلون: هم المصطَفَون ﴿ إِنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ

---

١. تفسير الميزان ١٦: ٣٢٥.
٢. تفسير مجمع البيان ٧: ٣٦٢.
٣. مجمع الزوائد ٨: ٢٢٣.
٤. أسماء الرَسول ٢: ٢٢٤.

عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾[1]، وأفضلهم نبيّنا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم، فهو الذي صاغه، وخلقه، وعلّمه، واصطفاه.

«أَمِينِ اللّٰهِ عَلَىٰ وَحْيِهِ»:

الأمانة على الوحي في عدم التغيير والتبديل، والتطبيق، والعمل بما يُوحىٰ إليه ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾[2].

«وَعَزائِمِ أَمْرِهِ»:

مُحَتَّمات أوامره سبحانه[3].

«الْخاتِمِ لِما سَبَقَ»:

قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «...**إصطفاني علىٰ جميع العالمين، مِنَ الأوّلين والآخِرين، أعطاني مفاتيح خزائنه كلّها، واستودَعَني سرَّه، وأمرني بأمره، فكان القائم، وأنا الخاتم، ولا حولَ ولا قوّةَ إلّا باللّه العليّ العظيم**»[4].

وقال الإمام عليّ عليه السلام في دعائه: «**اجعلْ شرائف صَلَواتك، ونوامِيَ بركاتك، على محمّدٍ عبدِك ورسولِك، الخاتِمِ لِما سَبَق، والفاتح لِما انْغَلَق**»[5].

قال ابن ميثم البحرانيّ في شرحه: كونه صلّى الله عليه وآله خاتماً لِما سبق من أنوار الوحي والرسالة بنوره وما جاء من الدِّين الحقّ، وظاهر كون ذلك جهةَ استعداد منه لقبول الرحمة ودرجات الكمال. وكونه فاتحاً لِما انغلقَ من سبيل اللّه قَبْله وطريق جنّته وحضرة قدسه، باندراس الشرايع، ففتح صلّى الله عليه وآله وسلّم تلك السُبُل بشرعه، وكيفيّة هدايته للخلق فيها[6].

---

١. آل عمران: ٣٣.
٢. النجم: ٤.
٣. مختار الصِّحاح: ٣٦٨.
٤. بحارالأنوار ١٦: ٣٧٤ / ح٨٥ عن: تفسير فرات الكوفيّ: ١١٠ الطبعة القديمة.
٥. نهج البلاغة: الخطبة ٧٢.
٦. شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحرانيّ ٢: ١٩٨.

قال ابن أبي الحديد: (النواميّ) الزوائد والخاتِم لما سبق. أي «لما سبق من المِلل، والفاتح لِما انغلق من أمر الجاهلية»[١].

«والفاتحِ لِما غُلِق» كانت العقول قبل محمّد صلّى الله عليه وآله مُغلَقةً بالجهل، والقلوب بالضَّلال، ففتحها محمّدٌ صلّى الله عليه وآله بنور العلم والهداية[٢].

«وَالْفاتِحِ لِمَا اسْتُقْبِلَ»:

قيل: المراد به فتح الإسلام والمسلمين البلادَ والأمصار، ولكنَّ الأَولىٰ أن يُقال: فَتَحَ أبواب التوحيد، وأغلق الشركَ عن ظُلمة الجهل والإنحراف بنفي جميع الموهومات عند ما قال: «لا إلّه إلّا الله» بطل معه كلُّ شيءٍ إلّا الله جلّ جلاله.

وفتح صلّى الله عليه وآله وسلّم أبواب العلم والحكمة للمسلمين في مستقبلهم وتلك الباب مفتوحةٌ إلى القيامة، وحصل للمسلمين كلّ التطوّر والتقدّم في العالم.

«وَالْمُهَيْمِنِ عَلَىٰ ذٰلِكَ كُلِّهِ»:

بمعنى الرقيب، والمصيطر علىٰ كلِّ شيء، الحافظ له «مُصَدِّقاً لِما بين يَدَيه مِن الكتاب، ومُهَيْمِناً عليه»[٣].

«وَرَحْمَةُ اللّٰهِ وَبَرَكاتُهُ وَصَلَواتُهُ وَتَحِيَّاتُهُ. السَّلامُ عَلَىٰ أَنْبِياءِ اللّٰهِ وَرُسُلِهِ»:

وهم: «مائة وأربعة وعشرون ألف نبي» وإنّ سادتهم أولو العزم وهم خمسة: نوح، وإبراهيم، وموسىٰ، وعيسىٰ، ومحمّد، صلوات اللّه عليهم

---

١. شرح ابن أبي الحديد تحقيق أبوالفضل إبراهيم ٦: ١٤٠.
٢. في ظِلال نهج البلاغة ١: ٣٥٤.
٣. المعجم الوسيط: ١٠٠٥.

أجمعين. وكلّ نبيٍّ منهم جاء بشريعة ناسخة لشريعة مَن سبَقه، حتّىٰ خَتم اللّه تعالى الأنبياء بمحمّدٍ صلّى الله عليه وآله، وختم الشرائع بالإسلام، فلا نبيّ بعده ولا شريعة بعد شريعته، وحلالُ محمّدٍ حلالٌ إلى يوم القيامة، وحرامُه حرام إلى يوم القيامة[١].

«وَمَلائِكَتِهِ الْمُقَرَّبِينَ»:

قال العلّامة المجلسيّ: قال شارح المقاصد: ظاهر الكتاب والسُّنّة، وهو قول أكثر الأمّة، أنّ الملائكة أجسام لطيفة نُورانيّة قادرة على التشكّلات بأشكالٍ مختلفة كاملة في العلم، والقدرة على الأفعال الشاقّة، شأنها الطاعة، ومسكنها السّماوات، هم رسل اللّه تعالى إلىٰ أنبياءه وأُمناؤه علىٰ وحيه، يسبّحون اللّيل والنهار لا يَفتُرون ولا يَعصُون اللّه ما أمرهم، ويفعلون ما يُؤْمرُون[٢].

روى الشيخ الصدوق بسنده عن الإمام أبي الحسن الأوّل (الكاظم) عليه السلام، قال: قال رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلّم: **«إنّ اللّه تبارك وتعالى اختار من كلّ شيءٍ أربعة: اختار من الملائكة جَبرئيل ومِيكائيل، وإسرافيل، ومَلكَ الموت»**[٣].

«وَعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ»:

الذين قال أميرالمؤمنين عليه السلام في ـ وَصفِ تهذيبهم: **«مَن أصلحَ سريرتَه، أصلح اللّه علانيتَه»**[٤] وهم عبادُ اللّه الصالحون، وقال عليه السلام في عهده للأشتر: **«وإنّما يُستدَلّ على الصالحين بما يُجري اللّه لهم علىٰ ألسُنِ**

---

١. أصول العقيدة في النبوّة ٢: ٨٨.
٢. بحارالأنوار ٥٩: ٢٠٣.
٣. الخصال ١: ٢٢٥ / ح٥٨.
٤. سفينة البحار ٢: ٦١٨.

عباده، فليكنْ أحبَّ الذخائر إليك ذخيرةُ العمل الصالح»(١).

وأميرالمؤمنين عليٌّ عليه السلام سيّد عباد اللّه الصالحين حَسبَ ما قال رسول اللّه صلّى الله عليه وآله: فقد روىٰ أبو نُعَيم بسنده عن ابن عبّاس عن النبيّ صلّى الله عليه وآله: **«أنّ عليّاً بابُ الهدىٰ بعدي، والداعي إلى ربّي، وهو صالح المؤمنين ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً﴾**(٢)**»**(٣).

«السَّلامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ»:

إتّفق المسلمون بأنّ أميرالمؤمنين هو عليّ بن أبي طالب بالنصّ، والمُدَّعي خلافَ ذلك لا دليل له.

قال رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلّم له: **«يا عليّ، أنت أميرُالمؤمنين، وإمامُ المتّقين»**(٤).

روى ابن عساكر بسنده عن أنس بن مالك قال: قال رسول اللّه صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: **«أسكبْ لي ماءً»**، فسكبتُ له فتوضّأ، ثمّ قام فصلّىٰ ركعتين، ثمّ قال: **«يا أنس، أوّلُ من يدخل من هذا الباب أميرالمؤمنين، وقائد الغرّ المحجّلين، وسيّد المؤمنين عليّ»**.

وروىٰ عن بريدة الأسلمي قال: «أمرنا رسول اللّه صلّى الله عليه [وآله] وسلّم أن نسلّم على عليٍّ بإمرة المؤمنين ونحن سبعةٌ وأنا أصغر القوم يومئذٍ»(٥).

---

١. نهج البلاغة: الكتاب ٥٣.
٢. فُصّلت: ٣٣.
٣. بحارالأنوار ٣٦: ٢٨ / ح٢ ـ عن: عن مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ١: ٥٦٢.
٤. مائة منقبة من مناقب أميرالمؤمنين عليه السلام لابن شاذان: ٥٣ / المنقبة التاسعة.
٥. تاريخ مدينة دمشق ترجمة الإمام عليّ بن أبي طالب ٢: ٢٥٩ / ح٢٦٠.

«السَّلامُ عَلَيْكَ يَا مَوْلايَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَسَيِّدَ الْوَصِيِّينَ، وَوارِثَ عِلْمِ النَّبِيِّينَ، وَوَلِيَّ رَبِّ الْعالَمِينَ، وَمَوْلايَ وَمَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللّٰهِ وَبَرَكَاتُهُ»:

وروى ابن شاذان بسنده عن الإمام عليّ بن الحسين عن أبيه، قال: **«حدّثني أميرالمؤمنين** [عليه السلام] **قال: قال رسول اللّه** صلّى الله عليه وآله وسلّم: **إنّ اللّه قد فرض عليكم اتّباعَ أمري، وأن تُطيعوا عليَّ بن أبي طالب بعدي؛ فإنّه أخي ووزيري ووصيّي ووارثي، وهو منّي وأنا منه، حُبُّه إيمان وبغضه كفر، مُحبُّه محبّي ومبغضه مبغضي، وهو مولىٰ مَن أنا مولاه، وأنا مَولىٰ كلِّ مسلمٍ ومسلمة»**[١].

قال الراغبُ الأصفهانيّ: كُلّ مَن وَليَ أمرَ الآخر فهو وَليُّه[٢].

قال اللّه تعالى: ﴿**النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ**﴾[٣].

وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: **«إنّ عليّاً منّي وأنا منه، وهو وليُّ كلِّ مؤمنٍ مِن بعدي»**[٤].

رواه: أبو داود، وأحمد، والحاكم النَّيسابوريّ.

كلمة «بَعْدي» من مناقبه الخاصّة، ولا يشاركه فيها أحدٌ من أصحابه، واعترف بصحّة الحديث كبار أئمّة الحديث في مؤلّفاتهم.

قال ابن منظور: المَولىٰ، له مواضع في كلام العرب: منها المولىٰ في الدِّين، وهو الوليّ، وذلك قوله تعالى: ﴿**ذٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لاَ مَوْلَىٰ لَهُمْ**﴾[٥] أي لا وليَّ لهم.

---

١. مائة منقبة: ٧٢ / المنقبة الثانية والعشرون.
٢. المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني: ٥٣٤.
٣. الأحزاب: ٦.
٤. خصائص أميرالمؤمنين عليه السلام للنّسائيّ: ٢٣.
٥. محمّد صلى الله عليه وآله: ١١.

ومنه قول سيّدنا رسول اللّه صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: «**مَنْ كُنتُ مَولاه فعليٌّ مَولاه**» أي مَن كنتُ وليَّه...[١].

«يَا أَمِينَ اللّٰهِ فِي أَرْضِهِ»:

الإمامة منصبٌ سامٍ ومن لوازمِهِ «العِلمُ» بأسرار الأرض والبلايا والمنايا والأنساب ومعرفة حقائق الأشياء والأشخاص، وكان عليّ عليه السلام أمينَ اللّه بعد رسول اللّه صلّى الله عليه وآله في أرضه، وأوصياؤه مِن بعده أمناءُ اللّه.

«وَسَفِيرَهُ فِي خَلْقِهِ»:

السّفير، الرّسول والمصلح بين قومَين[٢].

الأنبياء والأئمّة عليهم السلام رسُلُ اللّه إلى خلقه بالإنذار وبيانِ ما يُسخط اللّهَ ويُرضيه، وشفعاء العباد في طلب العفو والمغفرة وحوائج الناس إليه سبحانه.

«وَحُجَّتَهُ الْبَالِغَةَ عَلَىٰ عِبَادِهِ»:

الحُجّة: الدّليل والبرهان، والعالِم الثَّبت[٣] ويَلْزَمُ وجودُ الحجّة، ولا تقوم للّه على خلقه حُجّةٌ إلّا بالنبيّ أو الإمام حتّى يُعرَف ولا تخلو الأرض من حجّة، ولولاه لَساختِ الأرض بأهلها، ولولاه لما تصحّ المؤاخذة والإحتجاج بقول لِمَ لَمْ تقتدوا بالرسول أو الإمام؟! وهو الحجّة البالغة علىٰ عباده.

---

١. لسان العرب لابن منظور ـ كلمة «ولي».
٢. المعجم الوسيط: مادّة «سَفر».
٣. وعند المحدِّثين مَن أحاط علمه بثلاثمائة ألف حديث متناً وسنداً، وبأحوال رواته جرحاً وتعديلاً وتاريخاً فهو حجّةٌ ثبت. تفسير نورالثقلين ١: ٧٧٦ / رقم الحديث ٣٣٢.

روى الكليني عن محمّد بن يحيى العطار بسنده إلى الإمام الكاظم عليه السلام قال: «**إنّ الحجّة لا تقوم للّه على خلقه إلّا بإمام حتّى يُعرَف**»[١].

قال السيّد الطباطبائيّ في تفسير قوله تعالى ﴿**قُلْ فَلِلّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ**﴾[٢]: إنّ نتيجة الحجّة قد إلتَبَسَتْ عليكم بجهلكم واتّباعكم الظنّ وخُرصكم في المعارف الإلهيّة، فحُجّتكم تدلّ علىٰ أنْ لا حجّة لكم في دعوته إيّاكم إلىٰ رفض الشِّرك وترك الإفتراء عليه، وإنّ الحجّة إنّما هي للّه عليكم، فإنّه لو شاء لَهداكُم أجمعين، وأجبركم على الإيمان وترك الشرك والتحريم، وإذ لم يُجْبركم علىٰ ذلك وأبقاكم على الإختيار فله أن يدعوَكم إلى ترك الشرك والتحريم.

وبعبارة أخرىٰ: يتفرّع علىٰ حُجّتكم أَنّ الحجّة للّه عليكم؛ لأنّه لو شاء لأجبر على الإيمان فهداكم أجمعين، ولم يفعل، بل جعلكم مختارين يجوز بذلك دعوتكم إلىٰ ما دعاكم إليه.

وقد بيّن تعالىٰ في طائفة من الآيات السابقة أنّه تعالىٰ لَمْ يَضطرَّ عبادَه على الإيمان ولم يشأ منهم ذلك بالمشيّة التكوينيّة حتّى يكونوا مجبرين عليه، بل أَذِن لهم في خلافه، وهذا الإذن الذي هو رفع المانع التكوينيّ هو إختيار العباد وقُدرتُهم علىٰ جانبَي الفعل والترك، وهذا الإذن لا ينافي الأمر التشريعيّ بترك الشِّرك مثلاً، بل هو الأساس الذي يبتني عليه الأمر والنهي[٣].

قال الإمام الصادق عليه السلام: «**إنّ اللّه تعالىٰ يقول للعبد يوم القيامة: عبدي، كنتَ عالِماً؟ فإن قال: نعم، قال له: أفَلا عَمِلتَ بِما عَلِمْت. وإن كان جاهلاً قال له:**

---

١. الكافي ٢: ١٧٧.
٢. الأنعام: ١٤٩.
٣. تفسير الميزان ٧: ٣٦٧.

أفَلا تعلّمتَ حتّىٰ تعمل! فيَخصِمُه، فتلك الحُجّة البالغة»[١].

وقال الإمام الكاظم عليه السلام: «**إنّ للّه على الناس حُجّتَين: حجّة ظاهرة، وحجّة باطنة، فأمّا الظاهرة فالرُّسُل والأنبياء والأئمّة وأمّا الباطنة فالعقول»**[٢].

وقال الإمام الباقر عليه السلام: «**نحن الحجّة البالغة علىٰ مَن دون السماء وفوق الأرض»**[٣].

«السَّلامُ عَلَيْكَ يَا دِينَ اللّٰهِ الْقَوِيمَ، وَصِراطَهُ الْمُسْتَقِيمَ»:

الدِّين اسم لجميع ما يُعبَد به اللّه[٤]. القويم: المعتدل[٥]. وصراطه: سبيله المستقيم.

هو الدِّين الذي يُعبَد به اللّه تبارك وتعالىٰ: المعتدل، والسّبيل إليه سبحانه الذّي لا إعوجاج فيه.

«السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبَأُ الْعَظِيمُ»:

«النَّبأُ العظيم» خبرٌ ذو فائدة عظيمة يحصل به العلم[٦].

روى العلّامة السيّد هاشم البحرانيّ بسنده: قال عبدالرحمن بن كثير: سألتُ أبا عبداللّه عليه السلام عن قول اللّه: ﴿**عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ❊ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ**﴾، قال: «**النّبأ العظيم، الولاية**». وسألته عن قوله ﴿**هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ**﴾ فقال: «**ولاية أميرالمؤمنين»**[٧].

---

١. تفسير الصافي ١: ٥٥٥.
٢. المصدر نفسه.
٣. المصدر نفسه.
٤. المعجم الوسيط، كلمة: دَيَن.
٥. المنجد، كلمة: قَوَم.
٦. المفردات في غريب القرآن، كلمة (نبأ).
٧. غاية المرام / الباب الثالث والأربعون: ٣٤٣ / الطبعة القديمة.

وروى بسنده عن الإمام أبي الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام عن أبيه عن آبائه عن الحسين بن عليّ عليهم السلام: قال رسول اللّه صلّى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: «**يا عليّ، أنت حُجّةُ اللّه، وأنت بابُ اللّه، وأنت الطريق إلى اللّه، وأنت النّبأ العظيم، وأنت الصراط المستقيم، وأنت المَثل الأعلىٰ. يا عليّ، أنت إمامُ المسلمين، وأميرُالمؤمنين، وخير الوصيّين، وسيّد الصِّدِّيقين. يا عليّ، أنت الفاروق الأعظم، وأنت الصّدِّيقُ الأكبر. يا عليّ، أنت خليفتي، وأنت قاضي دَيْني، وأنت مُنْجِزُ عِداتي. يا عليّ، أنت المظلوم بَعدي. يا عليّ أنت مفارَق. يا عليّ، أنت مهجور. أُشهد اللّهَ وَمَن حضر من أُمّتي أنّ حزبَك حِزبي وحِزبي حزبُ اللّه، وأنّ حزبَ أعدائِك حزبُ الشيطان**»[١].

«الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ»:

وروى أيضاً بسنده عن أبان بن تغلب قال: سألت أبا جعفر الباقر عليه السلام عن قول اللّه عزّ وجلّ: ﴿**عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ * ٱلَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ**﴾، قال: «**هو عليُّ بن أبي طالب** عليه السلام**؛ لأنّ رسول اللّه** صلّى الله عليه وآله **ليس فيه خلاف**»[٢].

وروى بسنده عن محمّد بن فضيل قال: سألت أبا عبداللّه عليه السلام عن قول اللّه ﴿**عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ * ٱلَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ**﴾، فقال أبو عبداللّه عليه السلام: «**كان أميرالمؤمنين** عليه السلام **يقول: ما للّه نبأٌ أعظم منّي، ولقد عُرِضَ فضلي على الأُمم الماضية باختلاف ألسنتِها**»[٣].

---

١. غاية المرام / الباب الثالث والأربعون: ٣٤٤ / ح٧.
٢. غاية المرام / الباب الرابع والأربعون: ٣٤٤.
٣. المصدر نفسه.

«وَعَنْهُ يُسْأَلُونَ»:

يُسألون عن أعظم نِعَم اللّه، وهو الوِلاية.

روى الشيخ المجلسيّ بسنده عن إبراهيم بن العبّاس الصُّوليّ قال: كنّا يوماً بين يَدَي عليّ بن موسى الرضا عليه السلام فقال: **«ليس في الدنيا نعيمٌ حقيقيّ»**، فقال له بعض الفقهاء ممّن يحضره: فيقول اللّه عزّ وجلّ: ﴿**ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ**﴾، أمّا هذا النعيم في الدنيا فهو الماء البارد! فقال له الرضا عليه السلام وعلا صوته: **«كذا فَسّرتُموه أنتم وجعلتموه علىٰ ضروب! فقال طائفة: هو الماء البارد، وقال غيرهم: هو الطعام الطيّب، وقال آخرون: هو النوم الطيّب، ولقد حدّثني أبي عن أبيه أبي عبداللّه** عليه السلام **أنّ أقوالكم هذه ذُكِرت عنده في قول اللّه** عزّ وجلّ: ﴿**لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ**﴾ **فغضب** عليه السلام **وقال: إنّ اللّه** عزّ وجلّ **لا يسأل عباده عمّا تفضّل عليهم به، ولا يَمُنّ بذلك عليهم، والإمتنان بالإنعام مُستقبح من المخلوقين، فكيف يضاف إلى الخالقِ** عزّ وجلّ **ما لا يرضى للمخلوقين به؟! ولكنّ النعيم حبُّنا أهلَ البيت ومُوالاتُنا، يسأل اللّه** عزّ وجلّ **عنه بعد التوحيد والنبوّة؛ لأنّ العبد إذا وَفىٰ بذلك أدّاه إلى نعيم الجنّة الذي لا يزول، ولقد حدّثني بذلك أبي عن أبيه عن محمّد بن عليّ عن أبيه عليّ بن الحسين عن أبيه الحسين بن عليّ عن أبيه عليّ** عليه السلام **أنّه قال: قال رسول اللّه** صلّى الله عليه وآله: **يا عليّ، إنّ أوّلَ ما يُسأل عن العبد بعد موته شهادةُ أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمّداً رسولُ اللّه، وأنّك وليُّ المؤمنين بما جعله اللّه وجعلتُه لك، فمن أقرّ بذلك وكان يعتقده صار إلى النعيم الذي لا زوال له»**[1].

---

١. بحارالأنوار ٢٤: ٥٠ /ح١ ـ عن: عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق ٢: ١٢٩ /ح٨ ـ الباب ٣٥.

وروى الشيخ المجلسيّ في تفسير ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ سأل أبو حنيفة أبا عبدالله الصادق عليه السلام عن هذه الآية، فقال له: **«ما النعيم عندك يا نعمان؟»** قال: القُوت من الطعام والماء البارد، فقال عليه السلام: **«لئن أوقفك اللّهُ بين يديه يوم القيامة حتّىٰ يسألك عن كلِّ أكلةٍ أكلتَها أو شربة شربتها لَيطُولنّ وقوفك بين يديه، قال: فما النعيم جُعِلتُ فداك؟ قال: نحن أهلَ البيت النعيمُ الذي أنعم اللّه بنا على العباد، وبنا ائتلفوا بعد ما كانوا مختلفين، وبنا ألّف اللّه بين قلوبهم فجعلهم إخواناً بعد أن كانوا أعداءً، وبنا هداهم اللّه للإسلام، وهو النعمة التي لا تنقطع، واللّهُ سائِلُهم عن حقّ النعيم الذي أنعم به عليهم، وهو النبيّ** صلّى اللّه عليه وآله **وعترته** عليهم السلام»[١].

وروىٰ بسنده عن الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه عن الإمام عليّ عليه السلام قال: **«قال النبيّ** صلّى اللّه عليه وآله: **أوّلُ ما يُسأل عنه العبد حبُّنا أهلَ البيت»**[٢].

هل الإمامة من أصول الدّين أو من فروعه؟

إنّها من أصول الدِّين بالنصّ والسُّنّة، كالنبوّة. قال سبحانه لإبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً﴾، كما جعله نبيّاً جعله إماماً، ويجب على اللّه تعالى تعيين الإمام علينا، والشروط التي في الرسول شرط في الإمام عليه السلام: كالعلم، والعدالة والشجاعة، وطهارة المولد، وعَدمِ الشركِ باللّه طَرْفةَ عين.

الشيعة الإماميّة تعتقد أنّ الحكمة الإلهيّة تقتضي نصبَ الإمام وتوجبه، وهو الذي له الرياسة العامّة في أصول الدِّين والدنيا نيابةً عن النبيّ صلّى الله

---

١. بحارالأنوار ٧: ٢٥٨ ـ عن: تفسير العيّاشيّ في ظلّ الآية الكريمة.
٢. بحارالأنوار ٧: ٢٦٠ / ح٨ ـ عن: عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٦٢ / ح٢٥٨ ـ الباب ٣١.

عليه وآله وسلّم ، ويُشترط في الإمام العصمة كما يُشترط في النبيّ صلّى الله عليه وآله ؛ لأنّه حافظٌ للشرع ، فلو لم يكن معصوماً لم تُؤمَن منه الزيادة في الدين والنقصان ، ولا السهو والنسيان .

ولا يُعرَف الإمام إلّا بالنصّ المتواتر من اللّه تعالىٰ ومن رسوله صلّى الله عليه وآله ، وكما للنبيّ صلّى الله عليه وآله معجزات وكرامات خارقة للعادة لم تظهر على يد غيره ، كذلك الإمام ، ويجب متابعته ، ولكلّ إمام نصٌّ علىٰ إمامته متواتراً ، وأنّهم عليهم السلام ظهرت عنهم معجزات وكرامات خارقة للعادة لم تظهر علىٰ يدِ غيرهم .

الفصل الثاني:

السَّلامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَالْمُؤْمِنِينَ، آمَنْتَ بِاللّٰهِ وَهُمْ مُشْرِكُونَ، وَصَدَّقْتَ بِالْحَقِّ وَهُمْ مُكَذِّبُونَ، وَجاهَدْتَ وَهُمْ مُحْجِمُونَ، وَعَبَدْتَ اللّٰهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ صابِراً مُحْتَسِباً حَتَّىٰ أَتَاكَ الْيَقِينُ، أَلَا لَعْنَةُ اللّٰهِ عَلَىٰ الظَّالِمِينَ. السَّلامُ عَلَيْكَ يَا سَيِّدَ الْمُسْلِمِينَ، وَيَعْسُوبَ الْمُؤْمِنِينَ، وَ إِمامَ الْمُتَّقِينَ، وَقائِدَ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ، وَرَحْمَةُ اللّٰهِ وَبَرَكاتُهُ.

المشركون والأصنام

كان في الجاهليّة في كلّ بيت منهم صنم، إذا دخل يمسحه، وإذا خرج يمسحه، تبرّكاً به، إلىٰ أن هاجر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من مكّة وهم مشركون. إلّا قليل ممّن آمن، وسيّدهم عليُّ بن أبي طالب عليه السلام، ولمّا دخل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يوم فَتْح مكّة، كان بها ثلاثُمائةٍ وستّون صنماً، وكان بيد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قضيب، فكان يقوم عليها ويقول: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾[1]، ثمّ يشير إليها

١. الإسراء: ٨١.

بقضيبه فتتساقط علىٰ ظهرها، فجُمِعتِ الأصنام، وكُسِّرت ثمّ أُحرقت بالنار.

وقد ثبتَ أنّ الإمام عليّاً أميرالمؤمنين عبدَ الله مع النبيّ صلّى الله عليه وآله والقوم مشركون، وصدّق بالنبيّ وهم مكذّبون.

«السَّلامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَالْمُؤْمِنِينَ، آمَنْتَ بِاللّٰهِ وَهُمْ مُشْرِكُونَ»:

إتّفق علماء الشيعة والسّنّة بأنّ أوّل من آمن برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عليٌّ بن أبي طالب عليه السّلام، والناس في مكّة وما والاها مُشركون، والأحاديث في ذلك متواترة.

روى ابنُ عساكر بسنده عن ابن عبّاس قال: «أوّل مَن آمن برسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم من الرجال عليٌّ بن أبي طالب، ومن النساء خديجة»[١].

وروى بسنده عنه: قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: «**عليٌّ أوّلُ من آمنَ بي وصدّقني**»[٢].

تواتر النقل علىٰ تقدّم إسلام أميرالمؤمنين عليه السلام على كافة الصحابة دون استثناء. وقد روىٰ ذلك عدد كبير من الصحابة عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، ورواه بعضهم دون إسناد إليه.

فأمّا الصحابة الذين رووه عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم في مناسبات مختلفة، وألفاظ متعددة، فهم: أبو أيّوب الأنصاريّ، وأبو ذرّ الغِفاريّ، وأبو ليلىٰ، وأسماء بنت عُمَيس، وأمّ أيمن، وأنس بن مالك، وبُرَيدة الأسلميّ، وجابر بن عبدالله، وسلمان الفارسيّ، وعائشة، وعبدالله بن عبّاس، وعمر

---

١. الإكتفاء بما روي في أصحاب الكساء: ١٨٦ ح ٥١.
٢. المصدر نفسه: ١٨٧ ح ٥٢.

ابن الخطّاب، وفاطمة الزهراء عليها السلام، وليلى الغِفاريّة، ومُعاذبن جبل، ومَعقِل بن يسار.

و أمّا الصحابة الذين رووه دون إسناد إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فهم: أبو أيّوب الأنصاريّ، و أبو رافع، و أنس بن مالك، وبُرَيدة الأسلميّ، وجابر بن عبدالله الأنصاريّ، والحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وحُذَيفة بن اليمان، وخبّاب بن الأَرتّ، وخُزَيمة بن ثابت (ذو الشهادتَين)، وزيد بن أرقم، وسعد بن أبي وقّاص، وسلمان الفارسيّ، والعبّاس بن عبدالمطّلب، وعبدالرحمن بن عوف، وعبدالله بن عبّاس، وعبدالله بن مسعود، وعفيف الكنديّ، وعليّ بن أبي طالب عليه السلام، وعمرو بن العاص، ومالك بن الحُوَيرث، والمِقداد بن الأسود الكنديّ، وهاشم بن عتبة المِرْقال، ويَعلى بن مُرّة التميميّ.

فعدد مَن روى تقدُّمَ إسلامه من الصحابة بإسناد إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله أو بدون إسناد إليه، بعد إسقاط المتكرر ـ حيث رواه بعضهم مرّة مسنداً، و أخرى بدون إسناد ـ ثلاثةٌ وثلاثون صحابيّاً[١].

«وَصَدَّقْتَ بِالْحَقِّ وَهُمْ مُكَذِّبُونَ»:

الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام صدّق برسول الله صلّى الله عليه وآله وقريش مكذّبون له.

---

١. تجد رواياتهم في: أُسد الغابة ٤: ١٦ و ١٨، البداية والنهاية ٣: ٣٦، تاريخ الأمم والملوك ٢: ٢١٩ و ٢٤٣، تاريخ مدينة دمشق: ٤٢ و ٢٦ و ٤٥ و ١٣١ و ١٣٣، شرح نهج البلاغة ١٣: ٢٢٧ و ٢٣٠ و ٢٣٣ و ٢٣٦، الغدير ٣: ٢١٩ ـ ٢٤٣، فضائل الخمسة ١: ١٧٨ و ١٩٩، فضائل الصحابة: ١٣، كتاب الأوائل لابن أبي عاصم: ٧٩، كتاب الأوائل للطبراني: ٧٨ و ٨٠، كنز العمّال ١١: ٦١٦ و ٦١٧، المستدرك على الصحيحين ٣: ٤٩٩، المصنّف للصنعانيّ ٥: ٣٢٥، المعجم الكبير ١: ٢٦٩، المناقب للخوارزميّ: ٥١ و ٥٨، نظم دُرر السّمطين: ٨١ و٨٢، ينابيع المودّة ١: ١٨٩ و ١٩٧ وج٢: ١٤٥ و ١٤٨، شرح زيارة الغدير للسيّد عبدالمطّلب الخرسان: ١٠١.

روى الشيخ المجلسيّ عن ابن عبّاس قال: فرسول الله صلّى الله عليه وآله جاء بالصِّدْق وعليٌّ صدّق به[١].

وروىٰ عنه في تفسير ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾[٢] الذي جاء بالصدق: رسولُ الله صلّى الله عليه وآله، والذي صدّقَ به عليُّ بن أبي طالب عليه السلام[٣].

وقال: إنّ ولايته عليه السلام من أعظم ما أتىٰ الرسول به صادقاً عن الله تعالىٰ، والتكذيب به من أعظم الظلم؛ لِأنّه عُمدة أركان الإيمان ولا يَتمُّ شيءٌ منها إلّا به[٤].

«وَجاهَدْتَ وَهُمْ مُحْجِمُونَ»:

قال المحدّث القمّيّ: كان جِهاده عليه السلام وعظيم بلائه في الحروب والغزوات أكثرَ من جميع المسلمين، ولم يَصِلْ أحدٌ إلىٰ درجته ومرتبته[٥].

وفي غزوة حنين إنهزم أصحاب الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم، فلمّا رأى انهزام الجيش أخذ يناديهم: إلى أين أيُّها الناس؟! فانهزم جميع الجيش ولم يبقَ مع النبيّ صلّى الله عليه وآله إلّا عشرة نفر، تسعة من بني هاشم وعاشرُهم: أيمن ابن أمّ أيمن، وبقي هؤلاء التسعة منهم: العبّاس بن عبدالمطّلب، وكان على يمين الرسول صلّى الله عليه وآله، والفضل بن العبّاس علىٰ يساره، وكان أميرالمؤمنين عليه السلام يقاتل بين يدَيْ رسول الله صلّى الله عليه وآله ويدفع عنه المشركين[٦].

---

١. بحارالأنوار ٣٥: ٤٠٧ /ح١ ـ عن: مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ١: ٥٧٢.
٢. الزمر: ٣٣.
٣. بحارالأنوار ٣٥: ٤٠٩ /ح٣ ـ عن كشف الغمّة للإربليّ: ٩٢.
٤. المصدر: ٤١٥ بيان.
٥. منتهى الآمال (معرّب) للسيد هاشم الميلانيّ ١: ٢٨٥.
٦. منتهى الآمال (معرب) ١: ١٧٦.

أقول:

والمواقف المأثورة أيّامَ رسول الله صلّى الله عليه وآله أشهرها الغـزوات التي غزاها النبيّ صلّى الله عليه وآله بنفسه، وهي ستٌّ وعشرون غزوة.

أوّلها: غزوة الأبواء، الثانية: غزوة بُواط، الثالثة: غزوة العشيرة، الرابعة: غزوة بدر الأولى، الخامسة: غزوة بدر الكبرىٰ، السادسة: غـزوة بـني سليم، السابعة: غزوة السويق، الثامنة: غزوة ذي أمرة، التاسعة: غـزوة أُحُد، العاشرة: غزوة نجران، الحادية عشر: غزوة الأسد، الثانية عشر: غزوة بني النضير، الثالثة عشر: غزوة ذات الرقاع، الرابعة عشر: غزوة بدر الأخيرة، الخامسة عشر: غزوة دَومة الجندل، السادسة عشر: غـزوة الخندق، السابعة عشر: غزوة بني قُرَيظة، الثامنة عشر: غزوة بني لحيان، التاسعة عشر: غزوة القردة، العشرون: غزوة بـني المصطلَق، الحادية والعشرون: غزوة الحُدَيبيّة، الثانية والعشرون: غـزوة خـيبر، الثالثة والعشرون: غزوة الفتح، الرابعة والعشرون: غـزوة حُـنَين، الخامسة والعشرون: غزوة الطائف، السادسة والعشرون: غزوة تبوك. وقد ذُكرت في كتب المناقب وغيرها غزواتٌ أُخرىٰ، لكنّها لم تبلغ من الشهرة مبلغاً يمكن الإعتماد عليه.

وأمّا سراياه صلّى الله عليه وآله فستٌّ وثلاثون سَريّة، وأكثر هذه الغزوات والسرايا التي وقع فيها القتال كان الفتح لأميرالمؤمنين عليه السلام[١].

---

١. الغزوات: ٨٥.

وصف أبي الدرداء عبادة الإمام عليه السلام:

روى الشيخ المجلسيّ عن عروة بن الزبير قال: كنّا جلوساً في مجلسٍ في مسجد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، فتذاكرنا أعمال أهل بدر وبيعة الرضوان، فقال أبو الدرداء: يا قوم، ألا أُخبركم بأقلّ القومِ مالاً وأكثرهم وَرَعاً وأشدِّهم اجتهاداً في العبادة؟ قالوا: مَن؟ قال: أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قال: فوَ اللهِ إن كان في جماعة أهل المجلس إلّا معرضٌ عنه بوجهه، ثمّ انتدَب له رجل من الأنصار فقال له: يا عُوَيْمِر، لَقد تكلّمتَ بكلمة ما وافقك عليها أحدٌ منذ أتيتَ بها، فقال أبو الدرداء، يا قوم، إنّي قائلٌ ما رأيتُ وليَقُلْ كلُّ قومٍ منكم ما رأَوا، شهدتُ عليَّ بن أبي طالب بشويحطات النجّار، وقد اعتزل عن مواليهِ، واختفىٰ ممّن يليه، واستتر بمغيلات النّخل، فافتقدته وبَعُدَ علَيّ مكانُه، فقلت: لَحِق بمنزله، فإذا أنا بصوتٍ حزين ونغمةٍ شجيّ، وهو يقول: **«إلهي كم مِن مُوبِقةٍ حلُمتَ عن مقابلتها بنقمتك وكم مِن جريرةٍ تكرّمتَ عن كشفِها بكرمِك، إلهي، إن طال في عصيانك عُمُري، وعظُمَ في الصحف ذنبي، فما أنا مؤمّلٌ غيرَ غفرانك، ولا أنا براجٍ غيرَ رضوانك»** فشغلني الصوت واقتفيت الأثر، فإذا هو عليُّ بن أبي طالب عليه السلام بعينه، فاستترت له وأخملت الحركة، فركع ركعات في جوف اللّيل الغابر، ثمّ فرغ إلى الدعاء والبكاء والبثّ والشكوىٰ، فكان ممّا به الله ناجىٰ أن قال: **«إلهي أُفكّر في عفوك فتهون علَيّ خطيئتي، ثمّ أذكر العظيم مِن أخذكَ فتعظم علَيّ بليّتي»**، ثمّ قال: **«آهٍ إن أنا قرأتُ في الصحف سيّئةً أنا ناسيها وأنت مُحصيها، فتقول: خُذُوه، فيا لَه من مأخوذ لا تُنْجيه عشيرته، ولا تنفعه قبيلته، يرحمه الملأ إذا أُذن فيه بالنداء»**، ثمّ قال: **«آهٍ من نارٍ تُنضج الأكبادَ

والكُلىٰ، آهٍ من نارٍ نزّاعةٍ للشَّوىٰ، آهٍ من غمرة مِن مُلهِبات لَظىٰ».

قال: ثمّ إنغَمَر في البكاء فلَمْ أسمعْ له حِسّاً ولا حركة، فقلت: غلب عليه النوم لطولِ السَّهَر، أُوقظه لصلاة الفجر. قال أبو الدرداء: فأتيتُه فإذا هو كالخَشبة الملقاة، فحرّكته فلَمْ يتحرّك، وزويتُه فَلم ينزو، فقلت: إنّا للهِ وإنّا إليه راجعُون ماتَ واللهِ عليُّ بن أبي طالب! قال: فأتيت منزله مبادراً أنعاه إليهم، فقالت فاطمة عليها السلام: **«يا أبا الدرداء، ما كان من شأنه ومِن قصّته؟»** فأخبرتُها الخبر، فقالت: **«هيَ واللهِ يا أبا الدرداء الغشيةُ التي تأخذه من خشية الله»**. ثمّ أتوه بماء فنضحوه علىٰ وجهه فأفاق، ونظر إليّ وأنا أبكي، فقال: **«ممّا بكاؤك يا أبا الدرداء؟»** فقلت: ممّا أراه تُنزله بنفسك، فقال: **«يا أبا الدرداء، فكيف ولو رأيتني ودُعي بي إلى الحساب، وأيقَن أهل الجرائم بالعذاب، واحتَوشَتْني ملائكةٌ غِلاظٌ وزبانية فِظاظ، فوقفتُ بين يدَيِ المَلك الجبّار، قد أَسلمني الأحبّاء ورحمني أهل الدنيا، لكنتَ أشدّ رحمةً لي بين يَدَي مَن لا تخفىٰ عليه خافية»**، فقال أبو الدرداء: فو الله ما رأيتُ ذلك لأحدٍ من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله[1].

«صابِراً مُحْتَسِباً حَتَّىٰ أَتَاكَ الْيَقِينُ»:

زار الإمام أبو الحسن الثالث عليّ الهادي عليه السلام جدَّه أميرَ المؤمنين عليه السلام بهذه الزيارة: **«السَّلامُ عَليكَ يا وليَّ الله، أشهدُ أنّك أنت أوّلُ مظلومٍ وأوّلُ مَن غُصِب حقُّه، صَبرتَ واحْتَسَبْتَ حتّىٰ أتاكَ اليقين...»**[2].

التاريخ يشهد ببصيرته في المصائب مع قدرته سلام الله عليه علىٰ إنقاذ حقّه، محتسباً لله سبحانه حتّىٰ شهادته في محراب مسجد الكوفة.

---

١. بحارالأنوار ٤١: ١١ / ح١ ـ عن أمالي الصدوق: ٧٢ ـ ٧٣ / ح٩ المجلس ١٨.
٢. كامل الزيارات: ٤١.

وأَمَرَ شيعته بالصبر فقال: «**صابِروا أنفسَكم علىٰ فعل الطاعات، وصُونُوها عن دَنسِ السيّئات، تَجدوا حلاوةَ الإيمان**»(١). وقال عليه السلام: «**صبرُكَ علىٰ تجرّع الغُصص، يُظْفِرُك بالفُرَص**»(٢).

«أَلَا لَعْنَةُ اللّٰهِ عَلَى الظَّالِمِينَ»:

لعنه الله ـ لعناً ـ طردَه وأبعده من الخير، فهو ملعون، جمعُه ملاعين(٣).

في أربعين آيةً من القرآن وَرَدت كلمة اللّعن، واللَّعْن: الطرد والإبعاد من الله تعالىٰ، ومن الخلق السَّبّ، والدعاء(٤)، «اللّعن»: الطّرد والإبعاد على السخط، وذلك من الله تعالىٰ في الآخرة عقوبة، وفي الدنيا انقطاع من قبول رحمته وتوفيقه، ومن الإنسان دعاءٌ علىٰ غيره(٥).

التولّي والتبرّي من فروع الدين، والشيعة الإماميّة، يتولَّون اللهَ ورسوله والأئمّة الإثني عشر عليهم السلام ويلعنون أعداءَهم، بنصّ الآيات الكريمة.

وقد ورد عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام روايات متواترة في اللّعن علىٰ أعدائهم.

قال الإمام الحسن بن عليّ عليهما السلام: «**هل تعلمون أنّ رسول الله** صلّى الله عليه وآله **لَعنَ أبا سفيانٍ في سبعة مواطن**»(٦).

وقال عليه السلام لعمرو بن العاص: «**وقد هجوتَ رسولَ الله** صلّى الله عليه وآله **بسبعين بيتاً من شعر، فقال رسول الله** صلّى الله عليه وآله: **اللّهمّ إنّي لا أُحسن الشعر**

---

١. غرر الحكم: ٢٠٤.
٢. غررُ الحِكَم: ٣٠٤.
٣. المعجم الوسيط، كلمة: لعن.
٤. النهاية لابن الأثير، كلمة: لعن.
٥. المفردات في غريب القرآن، كلمة (لَعَن).
٦. بحارالأنوار ٤٤: ٧٧ ح ١ ـ عن: الإحتجاج: ٢٧٤.

ولا ينبغي لي أن أقوله، فالعَنْ عمروَ بن عاصٍ بكلّ بيتٍ [ألَفَ] لعنةً»[١].

وروى زيدبن عليّ عن أبيه عن جدّه عن عليّ عليه السلام قال: «**قال النبيّ** صلّى الله عليه وآله: **سبعةٌ لعنهم الله وكلُّ نبيّ مُجاب: المُغيِّر لكتاب الله، والمكذِّب بقَدَر الله، والمبدِّل سُنّةَ رسول الله، والمُستحلّ مِن عترتي ما حرّم الله** عزّ وجلّ، **والمتسلِّط في سلطانه ليُعزَّ من أذلّ الله ويُذلّ مَن أعزّ الله، والمستحلّ لحُرم الله، والمتكبّر عبادة الله** عزّ وجلّ»[٢].

وروى الشيخ المجلسي بسنده عن ابن عبّاس قال: لما اشتدّ برسول الله صلّى الله عليه وآله مرضُه الذي مات فيه، ضمّ الحسين عليه السلام إلىٰ صدره ويسيل من عَرقه عليه وهو يجود بنفسه، ويقول: «**ما لي ولِيزيد، لا بارك الله فيه! اللّهمّ العَنْ يزيد**». ثمّ غُشيَ عليه طويلاً وأفاق، وجعل يُقبّل الحسين وعيناه تذرفان، ويقول: «**أما إنّ لي ولِقاتلِك مَقاماً بين يدي الله** عزّ وجلّ»[٣].

ورُوي عن أمير المؤمنين (عليٍّ) عليه السلام أنّه صَلّىٰ بالناس المغرب، فقنت في الركعة الثانية، ولَعن معاويةَ وعمرَوبن العاص وأبا موسى الأشعريّ وأبا الأعور السلَميّ[٤].

«السَّلامُ عَلَيْكَ يَا سَيِّدَ الْمُسْلِمِينَ»:

السيّد: الشريف، والفاضل، والكريم، والحليم، والمتحمِّل أذىٰ قومه[٥].

وفي عليّ عليه السلام، الصّفاتُ الحَسنَة وهو الذي قال صلّى الله عليه وآله وسلّم

---

١. بحارالأنوار ٤٤: ٨١ ح١ ـ عن: الإحتجاج: ٢٧٦.
٢. بحارالأنوار: ٥: ٨٨ / ح٦ ـ عن: الخصال للشيخ الصدوق: ٣٥٠ / ح٢٥.
٣. بحارالأنوار ٤٤: ٢٦٦ / ح٢٤ ـ عن: مثير الأحزان لابن نما.
٤. سفينة البحار ٤: ٣١٠ كلمة «لعن» ـ عن: أمالي الشيخ الطوسيّ ٢: ٣٣٥.
٥. مجمع البحرين ـ كلمة «سيّد».

فيه: «**أوحِيَ إليّ في عليّ ثلاث: أنّه سيّدُ المسلمين، وأمامُ المتّقين، وقائدُ الغُرّ المُحجَّلين**». قال الحاكم النيشابوريّ: هذا حديث صحيح الإسناد(١).

وأنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله سيّدُ وُلْدِ آدم، قال: «**أنا سيّد وُلدِ آدم ولا فَخْر**».

قيل: قاله إخباراً عمّا أكرمه الله تعالىٰ به من الفضل والسُّؤدد وتحدّثاً بنعمة الله تعالىٰ عنده، وإعلاماً لأُمّته ليكون إيمانهم به على حَسَبِهِ وموجبه، ولهذا أتبعه بقوله: «لا فخر» أي أنّ هذه الفضيلة نِلْتُها كرامةً من الله ولَمْ أَنَلْها مِن قِبَلِ نفسي ولا بلغتُها بقوّتي، فليس لي أن أفتخر بها(٢).

فالنبيّ صلّى الله عليه وآله سيِّدُ وُلدِ آدم، وعليّ عليه السلام سيّدُ المسلمين.

«**وَيَعْسُوبَ الْمُؤْمِنِينَ**»:

اليعسوب: أميرُ النَّحْل وكبيرهم، وسيّدهم. تُضرَب به الأمثال؛ لأنّه إذا خرجَ مِن كُورته تبعه النحلُ بأجمعه.

ورُويَ عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه قال لِعليّ عليه السلام: «**أنت يعسوبُ المؤمنين، والمال يعسوبُ الكفّار**»، ومن هنا قيل لِأمير المؤمنين عليه السلام، أمير النَّحْل(٣).

«**وَإمامَ الْمُتَّقِينَ**»:

وكان عليٌّ عليه السلام علىٰ يقين في الله، وإمامَ مَن أيقنَ بالله حتّىٰ نال حقّ اليقين، وقال عليه السلام في وصفِهم: «**هجم بهم العِلْمُ علىٰ حقائق الأُمور، وباشروا روحَ اليقين**»(٤)، وقال: «**أيّها الناس، سَلُوا الله اليقينَ، وارغبوا إليه في العافية**»(٥).

---

١. المستدرك على الصحيحين ٣: ١٣٧.
٢. مجمع البحرين كلمة سيّد.
٣. مجمع البحرين ـ كلمة: عَسَبَ.
٤. بحارالأنوار ٧٠: ١٦١ ـ عن: نهج البلاغة: الحكمة ١٤٧، وتحف العقول: ١٦٤.
٥. المحاسن للبرقيّ: ٢٤٨ / ح ٢٥٤.

«وَقائِدَ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ، وَرَحْمَةُ اللّٰهِ وَبَرَكاتُهُ»:

القائد، مَن يقود فوجاً. الغُرّ يقال غرّ وجهه، الرجل ساد وشرُف، وكرمت فعاله واتّضحَتْ[١].

المحجّل، والمحجّلين من الخيل ما كان في قوائمه بياض[٢].

أمير المؤمنين عليه السلام، قائدٌ، ومشرقٌ وجهُه يومَ القيامة، وكذلك شيعته تحت لوائه، ووجه التشبيه هو أنّ الإمام وشيعته ممَيَّزونَ ومعروفون بنور وجوههم في المحشر كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ يَسْعَىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمانِهِمْ بُشْرٰيكُمُ الْيَوْم﴾ (الحديد: ١٢).

قال صلّى الله عليه وآله وسلّم له: «**إنّك سيّد المسلمين، وإمام المتّقين، وقائد الغُرّ المُحجّلين، ويعسوب الدِّين**»[٣].

روى الحاكم بأنّ عليّاً عليه السلام، قائد الغرّ المحجّلين[٤]. ورواه ابن الأثير[٥] والهيثميّ[٦] والخطيب البغداديّ[٧].

«قائدنا» «وقائدهم»

قال أبو الفرج: قال فضيل الرسّان: دخلت على جعفربن محمّد (عليه السلام) أُعزّيه في عمّه زيد، ثمّ قلت له: ألا أُنشدك شعر السيّد [الحِمْيريّ] فقال عليه السلام: أنشد. فأنشدته قصيدةً يقول فيها:

---

١. المعجم الوسيط كلمة «غرّة».
٢. المنجِد، كلمة حجَل.
٣. الرياض النضرة ٣: ١٧٧.
٤. المستدرك على الصحيحين ٣: ١٣٧.
٥. أُسد الغابة ١: ٦٩.
٦. مجمع الزوائد ٩: ١٢١.
٧. تاريخ بغداد ١١: ١١٣.

فالناسُ يومَ البعثِ راياتُهُمْ   خمسٌ فمِنها هالكٌ أربعُ
قائدُها العِجْلُ وفِرعَونُهمْ   وسامريّ الأُمّةِ المُفظِعُ
ومارقٌ مِن دينِهِ مُخرَجٌ   أسودُ عبدٌ لُكَعٌ أَوْكَعُ
ورايةٌ قائدُها وجهُهُ   كأنّه الشمسُ إذا تَطلَعُ[1]

١. الغدير ٢: ٢٢٠ ـ عن: الأغاني لأبي الفرج الأصبهانيّ ٧: ٢٥١.

الفصل الثالث:

أَشْهَدُ أَنَّكَ أَخُو رَسُولِ اللّٰهِ، وَوَصِيُّهُ، وَوارِثُ عِلْمِهِ، وَأَمِينُهُ عَلىٰ شَرْعِهِ، وَخَلِيفَتُهُ فِي أُمَّتِهِ، وَأَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِاللّٰهِ وَصَدَّقَ بِما أُنْزِلَ عَلىٰ نَبِيِّهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ عَنِ اللّٰهِ مَا أَنْزَلَهُ فِيكَ فَصَدَعَ بِأَمْرِهِ، وَأَوْجَبَ عَلىٰ أُمَّتِهِ فَرْضَ طاعَتِكَ وَوِلايَتِكَ، وَعَقَدَ عَلَيْهِمُ الْبَيْعَةَ لَكَ، وَجَعَلَكَ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَما جَعَلَهُ اللّٰهُ كَذَلِكَ، ثُمَّ أَشْهَدَ اللّٰهَ تَعالىٰ عَلَيْهِمْ فَقالَ: أَلَسْتُ قَدْ بَلَّغْتُ فَقالُوا: اللّٰهُمَّ بَلىٰ. فَقالَ: اللّٰهُمَّ اشْهَدْ وَكَفىٰ بِكَ شَهِيداً وَحاكِماً بَيْنَ الْعِبادِ، فَلَعَنَ اللّٰهُ جاحِدَ وِلايَتِكَ بَعْدَ الْإِقْرارِ، وَناكِثَ عَهْدِكَ بَعْدَ الْمِيثاقِ.

اللّغة:

«صدع»: تكلّم جهاراً، وكشفه وبيّنه.

«الجاحد»: المُنكر، وهنا يعني منكر الولاية بعد الإقرار كما ورد في الزيارة.

«أَشْهَدُ أَنَّكَ أَخُو رَسُولِ اللّٰهِ»:

الأُخوّة إمّا بالولادة كهارونَ وموسى ابنَي عِمران.

وإمّا بالمقام، وعليٌّ بن أبي طالب عليه السلام أخٌ لرسول الله صلّى الله عليه

وآله وسلّم بمقامه السامي.

روى الحافظ الفقيه الشافعيّ محبُّ الدّين الطبَريّ بسنده عن عبد الله بن عمر قال: آخىٰ رسولُ الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم بين أصحابه، فجاء عليّ تدمع عيناه فقال: **«يا رسولَ الله، آخيتَ بين أصحابك ولم تُؤاخِ بيني وبين أحدٍ؟»** فقال له رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: **«أنتَ أخي في الدنيا والآخرة»**[1].

أقول: حديث المؤاخاة متواترٌ عند الشيعة والسُّنّة، رواه أحمد في المناقب، والتِّرمذي، وقال: حديث حسنٌ، والخوارزميّ في المناقب، والحموينيّ في فرائد السمطين والگنجي في كفاية الطالب، والقندوزيّ في ينابيع المودّة والذهبيّ في ميزان الإعتدال، والحاكم في المستدرَك على الصحيحين، وابن المغازليّ في مناقب الإمام عليّ عليه السلام، وغيرهم. وكانت المؤاخاة بين متجانسين من أصحابه كما آخىٰ بين سلمان وأبي ذرّ، وبين طلحة والزبير، وبين المِقداد وعمّار، وبين أبي بكر وعمر، وبين عثمان وعبد الرحمن بن عوف، وترك عليّاً عليه السلام، فتكلّم أبو بكر والعبّاس في عليٍّ، فقال: **«ما أخّرتُه إلّا لِنفسي»**، وآخاه مع نفسه[2].

«وَوَصِيُّهُ»:

أي جعله وصيَّه يتصرّف في أمره وماله وعياله، وعَهِد إليه، وفرضه عليهم بعد موته[3].

وأصلها الوَصل، سُمِّيت به لما فيها من وُصلة التصرّف في حال الحياة

---

١. ذخائر العقبى في مودّة ذوي القربىٰ: ٦٦.
٢. أسرار الإمامة: ١٧٥.
٣. المعجم الوسيط، كلمة: وصيَ.

به بعد الوفاة. والأصل في شرعيّتها بعد أجماع المسلمين عليها كافّة، هو القرآن الكريم.

قال سبحانه: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ﴾[١].

والسّنّة بها مع ذلك متواترة من طرق الخاصّة والعامّة[٢]، علىٰ أنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام وصيُّ رسول الله صلّى الله عليه وآله.

روى ابنُ عساكر بسنده عن ابن بُرَيدة عن أبيه، أنّ النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم قال: «إنّ لكلّ نبيٍّ وَصيّاً ووارثاً، وإنّ عليّاً وصيّي ووارثي»[٣].

أقول: حديث الوصاية رواه حفّاظ الفريقين منهم: ابن المغازلي الشافعي في مناقبه ص ٢٠٠ ح ٢٣٨ والخوارزمي الحنفي في المناقب ص ٢٢٨، والطّبري الشّافعي في ذخائر العقبىٰ ص ٧١ والرّياض النّضرة ج ٣ ص ١٧٧، والهيتمي في مجمع الزّوائد ج ٩ ص ١١٣ وغيرهم، وهو من الأخبار المتواترة قطعيّة الصّدور بأنّ عليّاً عليه السلام وصيُّ رسولِ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

«وَوارِثُ عِلْمِهِ»:

الوارث: صفة من صفات الله عزّ وجلّ، وهو الباقي الدائم يرث الأرض ومَن عليها. أي: يَبقىٰ بعد فناءِ الكُلّ، ويفنىٰ مَن سواه فيرجع ما كان ملك العباد إليه وحدَه لا شريك له، والوارث في العباد: إمّا في المال، وإمّا في المجد وإمّا في العلم[٤].

وعند الفقهاء علمُ الفرائض بما يستحقّه الإنسان من السّهام المقدّرة في

---

١. البقرة: ١٨٠.
٢. رياض المسائل ١٠: ٢٥٧.
٣. ترجمة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام من تاريخ مدينة دمشق ٣: ٥ / ح ١٠٢١.
٤. المعجم الوسيط.

كتاب اللهِ بموت آخرَ بينهما نسبٌ أو سبب، والمواريث جمع ميراث، وفي الإصطلاح: حقّ منتقَل مِن ميّتٍ حقيقةً أو حُكماً إلىٰ حيٍّ كذلك ابتداءً[١].

والجملةُ تدلّ علىٰ أنّ عليّاً عليه السلام وارث النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم في العلم دون المال.

ما هو التعصيب؟

مقدّمة في بيان معنى التعصيب والعَوْل بنحو الإختصار:

قال السيّد الفيروزآباديّ: إنّ وارث الميّت إذا كان منحصراً بمن له الفرض في الكتاب العزيز كالنِّصف أو الثُّلُث أو الرُّبع ونحو ذلك، (فتارة) تزيد التَّرِكة على الفريضة، فحينئذٍ تقول العامّة بالتعصيب، أي ردّ الزائد على العصَبَة وهم أقارب الميّت من أبيه وابنه دون أمّه وبنته، فإذا كان الوارث منحصراً بالبنت فالنصف يُعطىٰ للبنتِ؛ لأنّه فرضُها، ويُعطى النصفُ الآخرُ للعصَبَة. (وأخرىٰ) تنقص التركة عن الفريضة، وحينئذٍ تقول العامّة بالعَوْل. أي بورود النقص على الجميع فإذا خلّفَ الميّتُ بنتَين وأبوين وزوجاً، فلِلبنتين ثلثانِ ولأبويه لِكلٍّ واحدٍ منهما السُّدُس، وللزوج الرّبع، فتنقص التركة عن الفريضة بمقدار الربع فيُوزّع النقص على الكُلّ، وكُلٌّ من التعصيب والعَوْل عند الإماميّة باطل نصّاً وفتوىً، فعند زيادة التركة يُرَدّ الزائد علىٰ ذوي الفروض دون العَصَبة، ففي المثال الأوّل تُعطىٰ البنتُ جميع المال، نصفَه فرضاً ونصفه ردّاً، وعند نقصان التركة عن الفريضة يُرَدّ النقص على البنتين خاصّة دون الجميع؛ للنصّ. (إذا عرفت) هذا كلّه فاعلمْ أنّ عليّاً عليه السلام ليس هو ممّن يرث المال من رسول الله

---

١. مستند الشيعة ١٩: ٧.

صلّى الله عليه (وآله) وسلّم بإجماع المسلمين العامّة والخاصّة جميعاً، أمّا عند العامّة، فلأنّهم وإن قالوا بالتعصيب ولكنّهم يُقدّمون العَمَّ مطلقاً، ولو كان من الأب كالعبّاس بالنسبة إلى النبيّ صلّى الله عليه (وآله) وسلّم على ابن العَمّ مطلقاً ولو كان من الأبوَين كعليّ عليه السلام بالنسبة إلى النبيّ صلّى الله عليه (وآله) وسلّم ، فالنبيّ صلّى الله عليه (وآله) وسلّم الذي لم يُخلّف إلّا بنتاً واحدة، نصفُ أمواله بمذهب العامّة لفاطمة سلام الله عليها ونصفُه الآخر لعمّه العبّاس.

و أمّا عند الخاصّة، فلأنّهم لا يقولون بالتعصيب، فالمال كلُّه لفاطمةَ سلام الله عليها فَرضاً وردّاً. وعلىٰ هذه القاعدة، فعليٌّ عليه السلام بإجماع المسلمين مِمّن لا نصيبَ له من أموال رسول الله صلّى الله عليه (وآله) وسلّم إرثاً، فَلابُدّ من حمل تلك الأخبار الواردة كلّها في أنّ عليّاً عليه السلام وارث النبيّ صلّى الله عليه (وآله) وسلّم على كونه وارثاً لعلمه، كما تقدّم التصريح به في رواية ابن عبّاس: واللهِ إنّي لَأخُوه، ووليّه، وابن عمّه، ووارث علمه... (إلخ)، وفي رواية مُعاذ: يا رسولَ الله، ما أرِث منك؟ قال: ما يَرِثُ النبيّون بعضُهم مِن بعض: كتابَ الله وسُنّة نبيّه. وفي حديث المؤاخاة قال: وما أرِثُ منك يا رسول الله؟ قال: ما وَرِثتِ الأنبياء من قَبلي، قال: ما وَرِثت الأنبياء من قبلك؟ قال: كتابَ ربِّهم وسُنّةَ نبيّهم، (إلخ). فإذا ثبت أن عليّاً عليه السلام هو الوارث لعلم النبيّ صلّى الله عليه (وآله) وسلّم، وأنّه الذي ورث مِن رسول الله صلّى الله عليه (وآله) وسلّم علمَ الكتاب والسنّة، ثبتَ أنّه الإمام بعد رسول الله صلّى الله عليه (وآله) وسلّم، كما هو الشأنُ في الأنبياء السابقين، فإنّ وارث علمِهم والعارف بسنّتهم على النحو الكامل التامّ، كان هو الإمامَ مِن بعده. والعلماء وإن كانوا أيضاً ورثةَ الأنبياء في العلم، ولكن ليس عِلمُهم كعلم الإمام، فوارثُ الكتاب والسنّة بنحو الإطلاق لا يكون إلّا الإمام، وسائر

العلماء من الأمّة يعلمون شيئاً من علوم الأنبياء[1].

«وَأَمِينُهُ عَلَىٰ شَرْعِهِ»:

الشيعة تعتقد بأنّ النبيّ والأئمة عليهم الصلاة والسلام، بلّغوا ما أُمِرُوا به، ولم يجتهدوا من عِند أنفسهم. وهم: «مدينة العلم».

روى أبو بصير قال: دخلتُ علىٰ أبي عبد الله (الصادق) عليه السلام فقلت له: إنّ الشيعة يتحدّثون أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم علّم عليّاً باباً يُفتَح منه ألفُ باب، فقال أبو عبد الله عليه السلام: «**يا أبا محمّد، علّم ـ واللهِ ـ رسولُ الله** صلّى الله عليه وآله وسلّم **عليّاً ألفَ باب، يُفتَح له مِن كلّ باب ألفُ باب**»، فقلت له: هذا واللهِ العلم، قال: «**إنّه لَعِلمٌ وليس بذاك**»[2].

وروى ابن نُباته عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**إنَّ رسول الله** صلّى الله عليه وآله وسلّم **علّمني ألفَ بابٍ من الحلال والحرام ممّا كان وممّا هو كائنٌ إلى يوم القيامة، كُلّ باب منها يَفتَح ألفَ باب، فذلك ألفُ ألفِ باب، حتّىٰ عَلِمتُ علمَ المنايا والبلايا وفصلَ الخطاب**»[3].

وروى الثماليّ عن الإمام عليّ بن الحسين عليهما السلام قال: «**عَلَّمَ رسولُ الله** صلّى الله عليه وآله **عليّاً كلمةً تَفْتَحُ ألفَ كلمة، والألفُ كلمة يَفتح كلُّ كلمة ألفَ كلمة**»[4].

وروى بكر بن كرب الصيرفيّ قال: سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: «**ما لهم ولكم؟ وما يريدون منكم؟ وما يُعيبونكم؟ يقولون الرافضة، نعم والله**

---

١. فضائل الخمسة من الصحاح الستّة ٢: ٤٢.

٢. بحارالأنوار ٢٦: ٢٩ / ح٣٣ ـ عن: بصائر الدرجات للصفّار القمّيّ: ١٥١ ـ ١٥٢ / ح٣ من الجزء الثالث ـ الباب ١٤.

٣. بحارالأنوار ٢٦: ٢٩ ـ ٣٠ / ح٣٧ ـ عن: الإختصاص للشيخ المفيد: ٢٧٣.

٤. بحارالأنوار ٢٦: ٣٠ / ح٤٠ ـ عن: الإختصاص: ٢٨٥.

رفَضْتُمُ الكَذِبَ واتّبعتُم الحقّ، أمَا واللهِ إنّ عندنا ما لا نحتاج إلىٰ أحد، والناسُ يحتاجون إلينا، إنّ عندنا الكتابَ بإملاء رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وخَطّه عليٌّ عليه السلام بيده، صحيفةٌ طولُها سبعون ذراعاً، فيها كلّ حلالٍ وحرام»[١].

وقال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «أما والله إنّ عندنا ما لا نحتاج مَعَهُ إلىٰ أحد، والناسُ يحتاجون إلينا، إنّ عندنا لكتاباً أملاه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وخَطَّه عليٌّ عليه السلام، صحيفةٌ فيها كلُّ حلال وحرام، وإنّكم لتأتونا فتسألونا فنعرف إذا أخذوا به ونعرف إذا تركوه»[٢].

روى ابن عبّاس قال: كتب رسولُ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كتاباً فدفعه إلىٰ أُمّ سَلَمة فقال: «إذا أنا قُبضتُ فقام رجلٌ علىٰ هذه الأعواد ـ يعني المنبر ـ فأتاكِ يطلُب هذا الكتابَ فادفعيه إليه». فقام أبو بكر ولم يأتِها، وقام عمر ولم يأتِها، وقام عثمان فلم يأتِها، وقام عليّ عليه السلام فناداها في الباب فقالت: ما حاجتك؟ فقال: «الكتابُ الذي دفعه إليكِ رسول الله صلّى الله عليه وآله» فقالت: وإنّك أنتَ صاحبُه أما واللهِ إنّ الذي كتب لأَحبّ أن يَحْبُوكَ به. فأخرجَتْه إليه، ففتحه فنظر فيه ثمّ قال: «إنّ في هذا لعِلماً جديداً»[٣].

روى عبد الله بن أيّوب عن أبيه قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «ما ترك عليٌّ شيعته وهم يحتاجون إلى أحد في حلال ولا حرام حتّى إنّا وجدنا في كتابه أرشَ الخدش»، قال: ثمّ قال: «أما إنّك إن رأيتَ كتابه لَعلمتَ أنّه مِن كتب الأوّلين»[٤].

---

١. بحارالأنوار ٢٦: ٣٦ / ح٦٦ ـ عن: بصائر الدرجات ١٤٩ / ح١٤ من الجزء الثالث ـ الباب ١٢.

٢. بحارالأنوار ٢٦: ٤٤ ـ ٤٥ / ح٧٨ ـ عن: بصائر الدرجات: ١٥٤ / ح٧ من الجزء الثالث ـ الباب ١٤.

٣. بحارالأنوار ٢٩: ٥٢ / ح١٠٢.

٤. بحارالأنوار ٢٩: ٥٢ / ح١٠٤.

وروى أبو الصباح قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: بلَغنا أَنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال لعليّ عليه السلام: **«أنت أخي وصاحبي، وصفيّي، ووصيّي، وخالصي مِن أهل بيتي، وخليفتي في أُمّتي، وسأنبّئُك فيما يكون فيها من بعدي. يا عليّ، إنّي أحببتُ لك ما أُحبّه لِنَفسي، وأكره لك ما أكرهُه لها»** فقال لي أبو عبد الله عليه السلام: **«هذا مكتوب عندي في كتاب عليٍّ** عليه السلام**»**(١).

ورُوي عن أُمّ سلمة رضيِ الله عنها قالت: أعطاني رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كتاباً فقال: **«أمسكي هذا، فإذا رأيتِ أميرالمؤمنين صَعِدَ مِنبري فجاء يطلُب هذا الكتاب فادفَعيه إليه»**. قالت: فلمّا قُبض رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم صعد أبو بكر المنبر فانتظرته فلم يسألها، فلمّا مات صعد عمر فانتظرَتْه فلم يسألها، فلمّا مات عمر صعد عثمان فانتظرَتْه فلم يسألها، فلمّا مات عثمان صعد أمير المؤمنين عليه السلام فلمّا صعد ونزل جاء فقال: **«يا أُمّ سلمة، أريني الكتابَ الذي أعطاكِ رسولُ الله** صلّى الله عليه وآله وسلّم**»**. فأعطيته، فكان عنده. قال: قلت: أيّ شيءٍ كان ذلك؟ قالت: **«كلّ شيءٍ يحتاج إليه ولد آدم»**(٢).

وروىٰ أبو جعفر عليه السلام قال: **«كان عليٌّ** عليه السلام **يعمل بكتاب الله وسُنّة نبيّه، فإذا ورد عليه الشيء الحادث الذي ليس في الكتاب ولا في السنّة، ألهمه الله الحقَّ فيه إلهاماً، وذلك واللهِ مِن المُعضلات»**(٣).

روى ابنُ المُغيرة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **«إنّ الأرض لا تُترَك بغير عالم»** قلت: الذي يعلم عالِمُكم ما هو؟ قال: **«وراثة من رسول الله** صلّى الله

---

١. بحارالأنوار ٢٩: ٥٢ / ح١٠٥.
٢. بحارالأنوار ٥٤ / ح١٠٨.
٣. بحارالأنوار ٥٤: ٥٥ ح١١٣.

عليه وآله **ومن عليّ بن أبي طالب، علمٌ يستغني به عن الناس، ولا يستغني الناسُ عنه»** قلت: وحكمة يقذف في صدره أو ينكُت في أذنه؟ قال: **«ذاك وذاك»**[١].

وقال أمير المؤمنين في احتجاجه على طلحة: **«يا طلحة، إنّ كُلّ آيةٍ أنزلها الله علىٰ محمّدٍ** صلّى الله عليه وآله **عندي بإملاء رسول الله** صلّى الله عليه وآله **وخطّي بيدي، وتأويل كلّ آية أنزلها الله على محمّد** صلّى الله عليه وآله **وكلّ حلال وحرام أو حدّ أو حكم تحتاج إليه الأُمّة إلى يوم القيامة، عندي مكتوب بإملاء رسول الله** صلّى الله عليه وآله **وخطّي بيدي، حتّىٰ أرْش الخدش»**.

قال طلحة: كلّ شيءٍ من صغير أو كبير أو خاصّ أو عام أو كان أو يكون إلى يوم القيامة فهو مكتوب عندك؟ قال: **«نعم، وسوىٰ ذلك أنّ رسول الله** صلّى الله عليه وآله وسلّم **أسرّ إليّ في مرضه مفتاحَ ألفِ بابٍ في العلم، يَفتح كلُّ بابٍ ألفَ باب، ولو أنّ الأمّة بعد قبض رسول الله** صلّى الله عليه وآله وسلّم **اتّبعوني وأطاعوني لَأكلوا مِن فوقهم ومِن تحت أرجلهم»**[٢].

وعلماء السنّة يعتقدون باجتهاد النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، قال ابن أبي الحديد المعتزلي: إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله إنّما يأمر بما يتعلّق بمصالح الدنيا من الحروب ونحوها عن اجتهاد، وليس بواجب أن يكون ذلك عن وحي كما يجب في الأحكام الشرعيّة[٣].

واجتهد الحكّام: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وغيرهم وأمّ المؤمنين عائشة، ومعاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، وأبو العادية قاتل عمّار، وعبد الرحمن بن ملجم قاتل الإمام عليٍّ عليه السلام، ويزيد بن

---

١. بحارالأنوار ٥٤: ٦٢ / ح١٤١.
٢. بحارالأنوار ٥٤: ٦٥ / ح١٤٧.
٣. شرح نهج البلاغة (دار الإحياء) ٤: ١٧٣ في شرح كتابه عليه السلام إلى أهل مصر.

معاوية قاتل الإمام الحسين بن عليّ عليهما السلام![١]

«وَخَلِيفَتُهُ فِي أُمَّتِهِ»:

الخليفة من يقوم مقامَ الذاهب، ويسد مسدّه، والهاء فيه للمبالغة، وجمعُه خلفاء على معنى التذكير لا على اللّفظ، ويُجمَع اللّفظ على خلائف[٢].

مدّة تولّي الحكّام الثلاثة: خمسٌ وعشرون سنة إلّا ثلاثة أشهر: أبو بكر سنتان وثلاثة أشهر وسبع ليالٍ، وعمربن الخطاب عشر سنين وستّة أشهر وخمس ليالٍ، وعثمان اثني عشر سنة.

وأمّا خلافة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام فخمس سنين إلّا ثلاثة أشهر...[٣].

ورُويَ عن الإمام أبي الحسن الرضا عن أبيه موسى عن أبيه جعفر عن أبيه محمّد عن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم ألف ألف سلامٍ وبركات، قال [عليّ] عليه السلام: **«بينما أنا مع النبيّ** صلّى الله عليه وآله وسلّم **في بعض طرق المدينة إذ لَقِيَنا شيخٌ طويل كثُّ اللّحية بعيدُ ما بين المنكبين، فسلّم على النبيّ** صلّى الله عليه وآله **ورحّب به، ثمّ التفت إليّ فقال: السلام عليك يا رابعَ الخلفاء ورحمة الله وبركاته، أليس هو كذلك يا رسول الله؟ فقال له رسول الله** صلّى الله عليه وآله: **بلى. ثمّ مضىٰ، فقلت يا رسول الله، ما هذا الذي قال هذا الشيخ وتصديقُك له؟ قال: أنت كذلك والحمدُ لله، إنّ الله عزّ وجلّ قال في كتابه: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[٤]، والخليفة المجعول فيها آدمُ** عليه السلام.

---

١. معالم المدرستين ج٢.
٢. مجمع البحرين، مادّة (خلَف).
٣. نفس المصدر.
٤. البقرة: ٣٠.

وقال عزّ وجلّ: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾[١]، فهو الثاني.

وقال عزّ وجلّ حكايةً عن موسىٰ حين قال لهارون: ﴿اَخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾[٢] فهو هارون إذ اَستخلفه موسى عليه السلام في قومه، وهو الثالث.

وقال عزّ وجلّ: ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ﴾[٣] فكنت أنت المبلّغ عن الله عزّ وجلّ وعن رسوله، وأنت وصيّي، ووزيري، وقاضي دَيني، والمؤدّي عَنّي، وأنت منّي بمنزلة هارون من موسىٰ إلّا أنّه لا نبيَّ بعدي، فأنت رابع الخلفاء كما سلّم عليك الشيخ أوَ لا تدري مَن هو؟ قلت: لا، قال صلّى الله عليه وآله: هو أخوك الخضر عليه السلام»[٤].

«وَأَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِاللّٰهِ وَصَدَّقَ بِما أُنْزِلَ عَلَىٰ نَبِيِّهِ»:

الإيمان لغةً هو التصديق المطلق، وشرعاً على الأظهر هو التصديق بالله بأن يصدّق بوجوده وصفاته، وبرسله بأن يصدّق بأنّهم صادقون فيما أخبروا به عن الله، وبكتبه بأن يصدّق بأنّها كلامُ الله وأنّها ومضمونها حقّ، وبالبعث من القبور، والصراط، والميزان، وبالجنة والنار وبالملائكة بأنّهم موجودون وأنّهم عبادٌ مُكْرَمون، لا يعصون اللهَ ما أمرَهم ويفعلون ما يُؤمرون، يُسبّحون اللهَ باللّيل والنهار لا يَفْتُرون، مُطهَّرون من أنواع الشهوات من الأكل والشرب والجُماع إلى غير ذلك، مُبرّأون من التناسل والتوالد، ليسوا بذكورٍ ولا إناث، بل خلقهم الله تعالىٰ من نور، وجعلهم

---

١. ص: ٢٦.
٢. الأعراف: ١٤٢.
٣. التوبة: ٣.
٤. مجمع البحرين كلمة (خلف) الجزء ٥ ص٥٦ تحقيق السيّد أحمد الحسينيّ.

رسلاً إلىٰ مَن شاء من عباده[١].

والإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام هو أوّل من آمن وصدّق برسول الله صلّى الله عليه وآله.

قال أبو سعيد الخُدْريّ: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لعليٍّ وضرب بين كَتِفَيه: «**يا عليّ، لك سبع خصال لا يحاجّك فيهنّ أحدٌ يومَ القيامة: أنت أوّلُ المؤمنين بالله إيماناً، وأوفاهم بعهد الله، وأقومُهم بأمر الله، وأرأفُهم بالرعيّة، وأقسمُهُم بالسَّويّة، وأعلمُهم بالقضيّة، وأعظمُهم مزيّةً يوم القيامة**»[٢].

أقول: اتّفق الشيعة والسنة بأنّ عليّاً عليه السلام هو أوّل مَن آمن بالله عزّ وجلّ وبرسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

«وَأَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ عَنِ اللّٰهِ مَا أَنْزَلَهُ فِيكَ»:

التبليغ هو إيصال وأداء ما أُمِرَ به الإنسان والمقصود هنا النبيّ صلّى الله عليه وآله.

وروى الحاكم الحسَكانيّ بسنده عن زياد بن المنذر قال: كنت عند أبي جعفر محمّد بن عليٍّ وهو يحدّث الناس، إذ قام إليه رجلٌ من أهل البصرة يُقال له عثمان الأعشىٰ ـ وكان يروي عن الحسن البصريّ ـ فقال له: يابنَ رسول الله، جَعَلَني اللهُ فداك، إنّ الحسن يخبرنا أنّ هذه الآية نزلت بسبب رجل ولا يُخبرنا مَن الرجل ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ**﴾؟ فقال: «**لو أراد أن يُخبِر به لَأخبَرَ به، ولكنّه يخاف، إنّ جَبرئيل هبط على النبيّ** صلّى الله عليه [وآله] وسلّم **فقال له: إنّ الله يأمرك أن تدلّ أمّتك علىٰ صلاتهم. فدلّهم عليها، ثمّ هبط فقال: إنّ الله يأمرك أن تدلّ أمّتك علىٰ زكاتهم. فدلّهم عليها، ثمّ هبط**

---

١. مجمع البحرين كلمة: آمن.
٢. حِلْية الأولياء ١: ٦٦.

فقال: إنّ الله يأمرك أن تدلّ أمّتك علىٰ وليّهم علىٰ مِثل ما دللتهم عليه من صلاتهم وزكاتهم وصيامهم وحجّهم؛ ليُلزمهم الحجّةَ مِن جميع ذلك. فقال رسول الله: يا ربّ، إنّ قومي قريبو عهدٍ بالجاهليّة، وفيهم تنافسٌ وفخر، وما منهم رجلٌ إلّا وقد وتره وَليُّهم، وإنّي أخاف. فأنزل الله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ـ يريد فما بلّغتَها تامّةً ـ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، فلمّا ضمن الله [له] بالعصمة وخوّفه، أخذ بيد عليّ بن أبي طالب ثمّ قال: يا أيُّها الناس، مَنْ كنتُ مَولاه فعليٌّ مَولاه، اللّهمّ والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه، وانصرْ مَن نصره، وأحِبَّ مَن أحبّه، وأبغضْ مَن أبغضَه». قال زياد: فقال عثمان الأعشىٰ: ما انصرفتُ إلىٰ بلدي بشيء أحبَّ إليَّ مِن هذا الحديث[١].

«فَصَدَعَ بِأَمْرِهِ»:

صدَع، بيّنه، وجهَر به[٢]، قال سبحانه: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾[٣].

رُويَ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إكتتم رسولُ الله صلّى الله عليه وآله بمكّة سنين ليس يظهر، وعليٌّ معه وخديجة، ثمّ أمره الله أن يَصدع بما يُؤمَر، فظهر رسول الله صلّى الله عليه وآله، فجعل يَعرض نفسَه علىٰ قبايل العرب، فإذا أتاهم قالوا: كذّاب! إمض عنّا!»[٤]

«وَأَوْجَبَ عَلَىٰ أُمَّتِهِ فَرْضَ طاعَتِكَ وَوِلايَتِكَ»:

الوجوب: اللّزوم، وأوجبه الله واستوجبه: استحقّه[٥].

---

١. شواهد التنزيل ١: ١٩١.
٢. المعجم الوسيط ـ كلمة صدع.
٣. الحجر: ٩٤.
٤. تفسير البرهان ٢: ٣٥٦ / ح٧.
٥. مجمع البحرين ـ كلمة وَجَب.

فَرَض: أي أوجب، والفرق بين الفريضة والواجب هو أنّ الفريضة أخصّ من الواجب؛ لأنّها الواجب الشرعيّ، والواجب إذا كان مطلقاً يجوز حمله على العقليّ والشرعيّ، والفريضة فِعليّة[١].

«**طاعَتَك**»: الإنقياد لكَ، وهكذا جعل سبحانه المتمرِّد له اتّباع الهوىٰ والإنقيادَ إليه عبادة، فقال: ﴿**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوَاهُ**﴾[٢]، وجعل طاعةَ الشيطان عبادة له[٣].

فرض على المسلمين و أوجب عليهم إطاعة أوامرَ أمير المؤمنين عليه السلام وانقيادَهم له؛ لأنّه صلّى الله عليه وآله أقامه وليّاً ومولىً لهم، وجعل ولايته حصناً لهم.

روى الحاكم الحَسكانيّ بسنده عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: «**قال لي جبرئيل: قال الله** تعالى: **ولايةُ عليٍّ بن أبي طالب حِصْني، فمَن دَخل حِصْني أمِنَ مِن عذابي**»[٤].

ويجب طاعته لأنّه مولىً لهم.

روى أحمد بسنده عن البُراء بن عازب قال: كنّا مع رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم في سفرٍ فنزلنا بغدير خمّ، فنُوديَ فينا الصلاةَ جامعة، وكُسِح لرسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم تحت شجرتين، فصلّى الظهر و أخذ بيد عليٍّ رضي الله تعالى عنه، فقال: «**ألستُم تعلمون أنّي أَولىٰ بالمؤمنين مِن أنفسهم؟!**» قالوا: بلى، قال: «**ألستُم تعلمون أنّي أَولىٰ بكلّ مؤمنٍ مِن نفسه؟!**» قالوا: بلى. قال: فأخذ بيد عليٍّ فقال: «**مَن كنتُ مَولاه فعليٌّ مولاه، اللّهمَّ والِ**

---

١. المصدر: كلمة وجب.
٢. الفرقان: ٤٣.
٣. مجمع البحرين ـ كلمة طوع.
٤. شواهد التنزيل ١: ٣٧٥.

مَن والاه، وعادِ مَن عاداه». قال: فلقيه عمر بعد ذلك فقال له: هنيئاً ياابن أبي طالب، أصبحتَ وأمسيتَ مَولىٰ كلِّ مؤمنٍ ومؤمنة![١]

قال البدخشانيّ الحارثيّ: هذا حديث صحيح مشهور، ولم يتكلّم في صحّته إلّا متعصبٌ جاحد، لَا اعتبار بقوله؛ فإنّ الحديث كثير الطُّرق جدّاً[٢].

وقال الهيتميّ: ورجال أحمد ثِقاة[٣].

«وَعَقَدَ عَلَيْهِمُ الْبَيْعَةَ لَكَ»:

بعد ما خطب رسول الله صلّى الله عليه وآله وقال: **«مَن كنتُ مَولاه، فهذا عليٌّ مولاه، اَللّهمّ والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه، وانصرْ مَن نصره، واخذلْ مَن خذله»**.

ثمّ نزل صلّى الله عليه وآله، وكان وقتَ الظهيرة، فصلّى ركعتين ثمّ زالت الشمس فأذّن مؤذّنه لصلاة الفرض، فصلّى بهم الظهر، وجلس صلّى الله عليه وآله في خيمته وأمر عليّاً عليه السلام أن يجلس في خيمة له بإزائه، ثمّ أمر المسلمين أن يدخلوا عليه فوجاً فوجاً فيُهنّئوه بالمقام ويُسلّموا عليه بإمرة المؤمنين، ففعل الناس ذلك كلّهم. ثمّ أمر أزواجَه وسائر نساء المؤمنين معه أن يدخلن عليه ويسلّمن عليه بإمرة المؤمنين، ففعلن.

وكان فيمن أطنب في تهنئته بالمقام عمرُبن الخطاب، فأظهر له من المسرّة به وقال فيما قال: بخٍ بخٍ لك يا عليّ، أصبحتَ مَولايَ ومولىٰ كلِّ مؤمنٍ ومؤمنة!!

وجاء حسّانبن ثابت إلىٰ رسول الله صلّى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله،

---

١. مسند أحمد ٤: ٢٨١.
٢. نُزل الأبرار: ٥٣.
٣. مجمع الزوائد ٩: ١٠٤.

أتأذنُ لي أن أقول في هذا المقام ما يرضاه الله ؟ فقال له : «**قلْ يا حسّان علَى اسْمِ الله**». فوقف علىٰ نشزٍمن الأرض ، وتطاول المسلمون لسماع كلامه ، فأنشأ يقول :

يُـناديهمُ يـومَ الغـدير نـبيُّهُمْ	بِخُمٍّ وأسـمِعْ بـالرسولِ مُـناديا
وقالَ : فـمَن مَـولاكُـمُ ووليُّكُـمْ	فقالوا ولم يُبدوا هناكَ التَّعاديا[١]
إلٰـهُكَ مَـولانا ، وأنت وليُّـنا	ولن تجدَنْ مِنّا لك اليومَ عاصيا
فـقال له : قـمْ يـا عـليُّ فـإنّني	رَضِيتُك مِن بعدي إماماً وهاديا
فـمَن كـنتُ مَـولاه فـهذا وليُّـهُ	فكونوا له أنصارَ صِدْقٍ مَـواليـا
هـناك دعـا : اللّـهمَّ وال وليَّـهُ	وكنْ لِلَّذي عادىٰ عـليّاً مُـعاديا

فقال له رسول الله صلّى الله عليه وآله : «**لا تزال يا حسّانُ مؤيَّداً بروح القُدُس ما نصرتَنا بلسانك**». وذلك إشعارٌ منه صلّى الله عليه وآله علىٰ عدم ثبات حسّان علىٰ ولاية أمير المؤمنين عليه السلام ، كما ظهر أثرُه بعد وفاته صلّى الله عليه وآله[٢].

قال الشهيد الأوّل : من المشاهد الشريفة «مسجد الغدير» وهو بقرب الجُحْفة ، جدرانه باقية إلى اليوم ، وهو مشهوربيّن . وقد كان طريقُ الحجّ عليه غالباً .

روى حسّان الجمّال قال : حملت أبا عبد الله (الصادق) عليه السلام من المدينة إلىٰ مكّة ، فلمّا انتهينا إلىٰ مسجد الغدير نظر إلى مَيسرة المسجد فقال : «**ذلك موضعُ قَدمِ رسول الله** صلّى الله عليه وآله وسلّم ، **حيث قال : مَن كـنتُ مَولاه ، اللّهمَّ والِ مَن والاه ، وعادِ مَن عاداه**» . ثمّ نظر إلى الجانب الآخر فقال :

---

١ . التعاميا ؟؟؟

٢ . منتهى الآمال (مُعرَّب) ١ : ١٩٦ .

«ذلك موضع فسطاط أبي فلان وسالم مَولى أبي حُذَيفة وأبي عبيدة بن الجرّاح. فلمّا أن رأوه رافعاً يديه قال بعضهم: انظروا إلى عينَيه تدوران كأنّهما عينا مجنون! فنزل جَبرئيل بقوله تعالى: ﴿**وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ**﴾[1]».[2]

فمَرِضت قلوب القوم لمّا شاهدوا ذلك، مضافاً إلىٰ ما كان مِن مرض أجسامهم.

قال الكُمَيت الأسديّ:

ويومَ الدَّوحِ دَوحِ غديرِ خُمٍّ   أبانَ له الولايةَ لو أُطيعا

ولكنَّ الرجالَ تدافعُوها   فلَم أرَ مثْلَها خَطَراً منيعاً

رأى بعض المؤمنين أميرَ المؤمنين عليه السلام في المنام، فأستنشده أبياتَ الكميت، فأنشده إيّاها، فلمّا انتهىٰ إلى هذا البيت قال أميرالمؤمنين عليه السلام:

«فَلَمْ أرَ مِثْلَ ذاكَ اليومِ يوماً   ولَم أرَ مِثْلَه حَقّاً أُضِيعا»[3]

«وَجَعَلَكَ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَما جَعَلَهُ اللّٰهُ كَذَلِكَ»:

«الأَولى» بمعنى «المَولىٰ».

قال ابن حجر: لكن لا نسلّم أنّ المراد أنّه الأَولىٰ بالإمامة، بل بالإتّباع والقرب منه، فهو كقوله تعالىٰ: ﴿**إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ**﴾[4]، هو الذي فهمه أبو بكر وعمر، وناهيك بهما من الحديث، فإنّهما لمّا سمعا قالا له: أمسيتَ يا ابنَ أبي طالبٍ مولىٰ كلِّ مؤمنٍ ومؤمنة. قيل لعمر: إنّك تصنع

---

١. القلم: ٥١.
٢. ذكرى الشيعة: ١٥٥ الطبعة القديمة.
٣. بحارالأنوار ٣٧: ١٥١ ـ عن: الطرائف لابن طاووس.
٤. آل عمران: ٦٨.

لعليٍّ شيئاً لا تصنعه بأحدٍمن أصحاب النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم؟ فقال: إنّه مَولاي[١] وهذامن ابن حجر اجتهاد في مقابل النصّ.

وقال صلّى الله عليه وآله: «**مَنْ كنتُ أولىٰ به مِن نفسه فعليٌّ وليُّه، اللّهمَّ والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه**»[٢].

قال سبط ابن الجوزيّ: قوله صلّى الله عليه وآله: «**ألستُ أولىٰ بالمؤمنين مِن أنفسهم؟!**» وهذا نصّ صريح في إثبات إمامته، وقبول طاعته[٣].

«**ثُمَّ أَشْهَدَ اللّٰهَ تَعَالىٰ عَلَيْهِمْ، فَقالَ: أَلَسْتُ قَدْ بَلَّغْتُ؟! فَقالُوا: اللّٰهُمَّ بَلىٰ**»:

وأَشْهَدَهم علىٰ أنفسهم: أمرُ رشادٍ لخوف تسويل النفس وانبعاث الرغبة فيها فتدعوهم إلى الخيانة، ورويَ أنّ الأمم يومَ القيامة يجحدون بتبليغ الأنبياء، فيطلب الله الأنبياء بالبيّنة علىٰ أنّهم قد بلّغوا، فيُوتى بأمّة محمّدٍ صلّى الله عليه وآله وسلّم ويشهدون لهم[٤].

قال الإمام أبو جعفر محمّدبن عليّ عليهما السلام: «**إنّ النبيّ** صلّى الله عليه وآله **قال: معاشرَ الناس، قولوا ما يُرضي اللهَ عنكم من القول، فإن تكفروا أنتم ومَن في الأرض جميعاً فلن تَضُرّوا اللهَ شيئاً؛ اَللّهمَّ اغفر للمؤمنين، واغضِبْ على الكافرين، والحمد لله ربِّ العالمين.**

فناداه القوم: نعم سَمِعنا وأطعنا أمرَ الله وأمرَ رسوله بقلوبنا وألسنتنا وأيدينا. وتداكّوا علىٰ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم **وعلىٰ عليٍّ** عليه السلام، **وصافقوا بأيديهم، فكان أوّلَ مَن صافق رسولَ الله** صلّى الله عليه وآله وسلّم **الأوّل، والثاني، والثالث والرابع والخامس وباقي المهاجرين والأنصار، وباقي الناس عن آخرهم**

---

١. الصواعق المحرقة: ٢٦.
٢. مفتاح النجاء: ٨٨ ونُزُل الأبرار بما صحّ من مناقب أهل البيت الأطهار: ٥١.
٣. تذكرة الخواصّ: ٣٢.
٤. مجمع البحرين ـ كلمة «شهد».

علىٰ قدر منازلهم، إلىٰ أن صُلِّيَتْ الظهر والعصر في وقت واحد، والمغرب والعشاء الآخرة في وقت واحد، وأوصلوا البيعة والمصافقة ثلاثاً، ورسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم **يقول كلّما بايع قوم: الحمدُ لله الذي فضّلَنا علىٰ جميع العالمين. وصارت المصافقة سُنّةً ورسماً يستعملها مَن ليس له حقٌّ فيها!»**[١]

«فَقالَ: اللّٰهُمَّ اشْهَدْ وَكَفىٰ بِكَ شَهِيداً وَحاكِماً بَيْنَ الْعِبادِ»:

أجمع الفريقان علىٰ رواية قضيّة «الغدير» وإتمام الحُجّة، والعجب من المخالفين مع ادّعائهم غاية الفضل والكمال، كيف طاوعتهم أنفُسهم أن يُبدوا في مقابلة تلك الدلائل والبراهين احتمالاتٍ يحكم كلُّ عقل باستحالتها! ولو كان مُجرّد التمسّك بذيل الجهالات، والإلتجاءة بمحض الإحتمالات، ممّا يكفي لدفع الإستدلالات، لم يبقَ شيء من الدلائل إلّا ولِمُباهِتٍ فيه مجال، ولا شيء من البراهين إلّا ولجاهل فيه مقال، كيف يُثبتون الصانع ويقيمون البراهين فيه على الملحدين؟! وكيف يتكلّمون في إثبات النبوّات وغيره من مقاصد الدين؟! أعاذنا الله وإيّاكم من العصبيّة والعناد، ووفّقنا جميعاً لِما يهدي إلى الرشاد[٢].

«وكفىٰ به سبحانه شهيداً وحاكماً للمعاند، وهو أحكمُ الحاكمين».

«فَلَعَنَ اللّٰهُ جاحِدَ وِلايَتِكَ بَعْدَ الْإِقْرارِ، وَناكِثَ عَهْدِكَ بَعْدَ الْمِيثاقِ»:

قال سبحانه: ﴿نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ﴾[٣] أي نقضوا عهدهم[٤].

قال السيّد مهدي الصدر: ... وإليك عرضاً مجملاً لأبرز الأسباب والعوامل التي أدّت إلىٰ تخلّف المسلمين وانتكاساتِهم المُريعة:

---

١. بحارالأنوار ٣٧: ٢١٧ / ح٨٦ ـ عن الإحتجاج.
٢. بحارالأنوار ٣٧: ٢٥٢ ـ من كلام للشيخ المجلسيّ.
٣. التوبة: ١٣.
٤. مجمع البحرين ـ كلمة نكث.

أ ـ المنافقون:

لقد تظاهرت زمرةٌ من وجهاء العرب باعتناق الإسلام ودخلوا فيه طمعاً في نواله أو رهبةً من سلطانه، واحتلَّ هؤلاء بشهرتهم وجاههم مكانةً مرموقة في المجتمع الإسلاميّ، وكانوا في واقعهم أعداءَ الإسلام وخصومه الألدّاء، لا يفتأون عن الكيد له، والتآمر عليه ما وَسِعهم ذلك. وقد فضح القرآن الكريم نواياهم الماكرة الغادرة في مواطنَ عديدةٍ وآياتٍ جمّة، حتّىٰ نزلت سورة كاملة فيهم، ولم يستطع هؤلاء أن ينالوا ثأرَهم من الإسلام في عهد الرسول صلّى الله عليه وآله لقيادته الحكيمة، وسلطانه الروحيّ المنيع. وكانوا يتحيّنون الفُرَص لمحق الإسلام والإجهاز عليه.

ولمّا تُوفّي النبيّ صلّى الله عليه وآله والتحق بالفردوس الأعلىٰ، طفقوا يعيثون في الإسلام فساداً، ويَسعَوْن جُهدَهم في وَأْد رسالته وإطفاء نوره الوضّاء، ما سبّبَ بلبلةَ المسلمين وتخلّفهم، وانهيارَ معنويّاتهم. ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً﴾[1].

وحَسْبُ القارئ أن يستطلع هذا الواقع من أحداث التاريخ الإسلاميّ المُحزنة التي كادت أن تُطفئ شعلة الإسلام لولا عنايةُ الله تعالىٰ به ورعايتُه له بالنصر والتأييد. ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[2].

ب ـ انحراف المسلمين عن قادتهم الأكفاء:

وكان مِن أقوى أسباب تخلّف المسلمين واخفاقِهم انحرافُهم عن

---

١. آل عمران: ١٤٤.
٢. التوبة: ٣٢.

الأئمّة الهُداة المعصومين من أهل البيت عليهم السلام، الذين استخلفهم رسولُ الله صلّى الله عليه وآله عليهم، وأعلن للملأ الإسلاميّ أنّ الهدىٰ والسعادة في اتّباعهم، وأنّ الضلال والشقاء في مجافاتهم والإنحراف عنهم؛ لاستكمالهم شرائط الخلافة الحقّة، وتحلّيهم بجميع الفضائل والكفاءات لقيادة المسلمين وسياستِهم سياسةً إسلاميّةً عادلة.

من أجل ذلك فقد حثّ النبيّ صلّى الله عليه وآله علىٰ مُوالاتهم والإقتداءِ بهم في مواطن عديدةٍ، وأحاديث جمّةٍ متواترة روتها صحاح المذاهب الإسلاميّة.

ومن ذلك قوله صلّى الله عليه وآله: **«إنّي تركتُ فيكم ما إن تمسّكتُم به لن تضلّوا بعدي: كتابَ الله حبلٌ ممدودٌ من السماء إلى الأرض، وعترتي أهلَ بيتي، ولن يفترقا حتّىٰ يَرِدا علَيّ الحوض، فانظروا كيف تُخْلِفوني فيهما»**.

وقوله صلّى الله عليه وآله: **«إنّما مَثَلُ أهل بيتي فيكُم كمَثَل سفينة نُوح، مَن رَكِبها نجا، ومَن تخلّف عنها غَرِق، وإنّما مثلُ أهل بيتي فيكم مَثَلُ بابِ حِطّةٍ في بني إسرائيل، مَن دخله غُفِر له»**.

وقوله صلّى الله عليه وآله: **«مَن أحبّ أن يحيا حياتي ويموت مِيتتي، ويدخل الجنّة التي وَعَدني ربّي وهي جنّة الخُلْد، فَلْيَتولَّ علياً وذُرّيّته مِن بعده؛ فإنّهم لن يُخرِجوكم مِن باب هُدىً، ولن يُدخِلوكم بابَ ضلالة»**.

وممّا يحزّ في النفس ويدعو إلى الأسىٰ والأسف البالِغَيْن، أن تَولّى الخلافة الإسلامية وقيادة المسلمين أشخاص لا يفقهون واقع الإسلام، ولا يتحَلَّون بسماته، ولا يعنون بشريعته، ولم يكن لهم هدف في الحياة إلّا التحكّمُ في المسلمين، وابتزازُ أموالهم باسم الإسلام وصرفها على اللّهو الداعر والمجون الآثم والدعاية المزيّفة، كما صوّر ذلك تاريخ المتحلّلين

من خلفاء الأُمويين والعبّاسيّين، الذين سبّبوا نكبة الإسلام وفجيعة المسلمين وانحطاطهم.

وحَسْبُ الباحث أن يستقرئ سيرة أولئك الحكّام المتحلّلين ليُدرك مبلغ غيّهم واستهانتهم بقيم الدين والأخلاق، واستهانتهم بدماء المسلمين وأموالهم وكراماتهم[١].

لعنهم الله ورسوله لنكث عهدهم وميثاقهم.

البلوغ والبلاغ: الإنتهاء إلىٰ أقصى المقصد مكاناً أو زماناً أو أمراً من الأمور المقدَّرة[٢].

بلّغ الأنبياء بما أرسلوا وقالوا: ﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾[٣]، وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ وَإِن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾[٤] أي إن لم تبلّغْ ما حُمِّلت تكنْ في حكم مَن لم يُبلِّغ شيئاً من رسالته؛ وذلك أنّ حكم الأنبياء وتكليفاتهم أشدّ، وليس حكمهم كحكم سائر الناس الذين يتجافى عنهم إذا خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيّئاً.

قال سماحة آية الله الحاجّ الشيخ محمّد حسين الغَرويّ الأصفهانيّ:

وما أتىٰ إلى النبيِّ الأُمّي   كما أتاهُ في غديرِ خُمٍّ
مِن آيةٍ في غاية التشديدِ   حاويةٍ للوعدِ والوعيدِ
آمرةٍ بنصبِ مَن لَولاهُ   ما بَلغَ المبدأُ مُنْتهاهُ
فأوقفَ القومَ عن المَسيرِ   في شدّة الرمضاءِ والهَجيرِ
واتّخذوا من الحُدوجِ مِنْبرا   فقامَ بالتبليغِ سيِّدُ الوَرىٰ

---

١. أصول العقيدة في النبوّة ٢: ٢٧٩.
٢. المفردات في غريب القرآن، كلمة (بلَغ).
٣. يس: ١٧.
٤. المائدة: ٦٧.

لمّا رقىٰ نبيُّنا الحُدُوجا ثنىٰ به إلى السما العُروجا
ومذْ تَلاه الصِنوُ راقياً بِها أشرقتِ الأرضُ بنورِ ربِّها
فاجتمعَ البحرانِ في الغديرِ واقترن السَّعْدانِ في الأثيرِ
واتّصل القوسانِ في الوجودِ مِن مبدأ الغَيبِ إلى الشُّهودِ
فيه تجلّتْ لِأُولي الكمالِ مراتبُ الجَلالِ والجَمالِ
ثمّ ابتدىٰ بخطبةٍ فصيحة بليغةٍ بالَغَ في النصيحة
أبانَ في خطبتهِ المُفصَّلة ما لعليٍّ من عظيم المنزلة
وقال لِلناسِ: ألستُ أَولىٰ بالمؤمنينَ كالعليِّ الأعلىٰ ؟!
قالوا: بلىٰ، والغدرُ في الفؤادِ مُكتمِنٌ كالنارِ في الرمادِ
فقالَ والوصيُّ في يُمناهُ: مَن كنتُ مَولاهُ فذا مَولاهُ
فالمرتضى العليّ قَدْراً وسِمَة مَولاهمُ بكلِّ معنَى الكلمة
والنظمُ والترتيبُ في القولِ يَفي بكَوْنِه أحقَّ بالتصرّفِ
بل هو أقصىٰ رُتَبِ الوِلاية ليس لها حَدٌّ ولا نهاية
فإنّه مُجْلى صفاتِ الباري في موضع الإيرادِ والاصدارِ
ونشأةُ التكوين والإبداعِ منقادةٌ لأمرِه المُطاعِ
والقلمُ الأعلىٰ ولوحُ الحكمة أمُّ الكتابِ وأبو الأئمَّة[١]

«وَخَلِيفَتُهُ فِي أُمَّتِهِ»:

الخلافة: النيابة عن الغير، إمّا لغَيبة المنوب عنه وإمّا لموته، وإمّا لعجزه، وإمّا لتشريف المستخلَف، وعلىٰ هذا الوجه الأخير استخلف اللهُ أولياءَ في الأرض[٢].

١. الأنوار القدسيّة.
٢. المفردات في غريب القرآن، كلمة (خلف).

الخلافة أمرٌ جعله الله للأنبياء ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ﴾[١].

وجعل سبحانه وتعالى هارونَ خليفةَ موسى عليه السلام وذكر اسمه في عشرين آية، فكانت خلافته بالنصّ، لا بالإنتخاب، ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيّاً﴾[٢]، ﴿وَاجْعَل لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي﴾[٣]، ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيراً﴾[٤]، ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾[٥].

والآيات تدلّ على أعلميّة هارون بعدَ موسى عليه السلام من جميع بني إسرائيل، كذلك خلافة عليّ بن أبي طالب عليه السلام بالنصّ.

وقد أجمع الفريقان على قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: **«أنت مِنّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيَّ بَعدي»**.

والحديث قطعيُّ الصدور والدِّلالة، ولكنْ قبوله وردُّه بما تدور عليه مصالح القوم، فمتىٰ رأوا مصالحهم اعتمدوا عليه، ومتىٰ كان الحديث يضرّهم ويهدم أساس خلافتهم تركوه.

وحديث المنزلة يشير إلىٰ أعلميّة أميرالمؤمنين عليه السلام علی الصحابة، وأنّه باب علم النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، حيث قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: **«أنا مدينةُ العلم وعليٌّ بابُها، فمَن أراد المدينةَ فَلْيَأْتِها مِن بابها»**، والحديث دالٌّ علىٰ خلافة أميرالمؤمنين عليه السلام وإمامته وأفضليّته وعصمته.

---

١. نفس المصدر، والآية في سورة ص: ٢٦.
٢. مريم: ٥٣.
٣. طه: ٢٩ ـ ٣٠.
٤. الفرقان: ٣٥.
٥. الأعراف: ١٤٢.

«وَجَعَلَكَ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ»:

إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾[1].

و ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ يختار ما اختاره لهم ولم يكن لهم الخِيَرة.

قال السيّد الطباطبائيّ في تفسير الميزان: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ أنفسُ المؤمنين هم المؤمنون، فمعنىٰ كون النبيِّ أولىٰ بهم مِن أنفسهم أنّه أَولىٰ بهم منهم، ومعنى الأولويّة هو رجحان الجانب إذا دار الأمر بينه وبين ما هو أولى منه، فالمحصَّل أنّ ما يراه المؤمن لنفسه مِن الحفظ والكلاءة، والمحبّة والكرامة واستجابة الدعوة وإنفاذ الإرادة، فالنبيُّ أَولىٰ بذلك من نفسه، ولو دار الأمر بين النبيّ وبين نفسه في شيء من ذلك كان جانبُ النبيّ أرجح من جانب نفسه.

ففيما إذا توجّه شيء من المخاطر إلى نفس النبيّ فَلْيَقِه المؤمنُ بنفسه ويفْدِه نفسَه، وليكن النبيُّ أحبَّ إليه مِن نفسه وأكرمَ عنده من نفسه، ولو دَعَتْه نفسُه إلىٰ شيء والنبيُّ إلىٰ خلافه، أو أرادت نفسه منه شيئا وأراد النبيُّ خلافه، كان المتعيَّن استجابةَ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وطاعتَه وتقديمَه علىٰ نفسه.

وكذا النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أَولىٰ بهم فيما يتعلّق بالأمور الدنيويّة أو الدينيّة؛ كلّ ذلك لمكان الإطلاق في قوله: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾.

ومن هنا يظهر ضعف ما قيل: إنّ المراد أنّه أَولىٰ بهم في الدعوة، فإذا دعاهم إلى شيءٍ ودَعَتْهم أنفسهم إلىٰ خلافه كان عليهم أن يطيعوه ويعصوا

---

١. الأحزاب: ٦.

أنفسهم، فتكون الآية في معنى قوله: ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ (النساء: ٥٩)، وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ﴾ (النساء: ٦٤)، وما أشبه ذلك من الآيات، وهو مدفوع بالإطلاق.

وكذا ما قيل: إنّ المراد أنّ حكمه فيهم أنفذ من حكم بعضهم علىٰ بعض، كما في قوله: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾ (النور: ٦١)، ويُؤوَّل إلىٰ أنّ ولايته على المؤمنين فوق ولاية بعضهم علىٰ بعض المدلول عليه بقوله: ﴿الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ (براءة: ٧١)[١].

عوامل إعراض الإمام عليّ عليه السلام عن التنازع على الخلافة:

لمّا فرغ الإمام عليّ عليه السلام من تجهيز الجثمان الطاهر للنبيّ ودفنه، وإذا به يجد كلَّ شيءٍ قد تمّ للقوم، ولم يبقَ معه سوىٰ أهل بيته، ونفرٍ قليل من الصحابة، يقول عليه السلام: «**فنظرتُ فإذا ليس لي مُعينٌ إلّا أهلَ بيتي، فضَنِنْتُ بِهم عنِ الموت، وأغضَيتُ علَى القَذىٰ، وشَرِبتُ عَلَى الشَّجا، وصَبَرتُ علىٰ أخذِ الكَظْم، وعلىٰ أَمَرَّ مِنْ طَعْمِ العَلْقَم**»[٢].

وفي ضوء ما تقدّم لم يبقَ أمام الإمام عليّ عليه السلام غير خيارين:

الأوّل: الجهاد في طلب حقّه، وأخذه بالقوّة.

الثاني: الاكتفاء بدعوة الناس إلىٰ نفسه بالتي هي أحسن، وإقامة الحجّة عليهم، وترك التنازع على الخلافة، وحقّه المُغتصَب فيها عند عدم قبول الناس هذا الأسلوب، يقول عليه السلام: «**وطَفِقْتُ أَرْتَئي بينَ أن أصولَ بِيدٍ جَذّاء، أو أصبِرَ علىٰ طَخْيَةٍ عَمياء، يَهْرَمُ فيها الكبير، ويَشيبُ فيها الصغير،**

---

١. تفسير الميزان ١٦: ٢٧٦.

٢. نهج البلاغة: الخطبة ٢٦.

ويَكْدَحُ فيها مؤمنٌ حتّىٰ يَلقىٰ ربّه، فرأيتُ أنّ الصبرَ علىٰ هاتا أحجىٰ، فصبرتُ وفي العَينِ قَذىً، وفي الحَلْقِ شجاً، أرىٰ تُراثي نَهْباً...».

إنّ عدم وجود الأنصار من جهة، ولأنّ قسماً لا يستهان به من قريش ومن المنافقين كانوا يراقبون الوضع ليحصلوا على فرصة مواتية من جرّاء حصول أيّ نزاع للإجهاز على الإسلام، وما رواه المؤرّخون في وصف موقف أبي سفيان يومذاك، يُلقي الضوء علىٰ ما ذكرناه، حيث أراد أن يرفع لواء الجاهليّة باسم الإسلام ليتدارك ما فاته من القضاء على الإسلام في بدر وأُحد والأحزاب.

روى الطبريّ: لمّا اجتمع الناس علىٰ بيعة أبي بكر، أقبل أبو سفيان وهو يقول: واللهِ إنّي لَأرىٰ عجاجةً، لا يُطفئها إلّا دمٌ، يا آلَ عبدِ مُناف، فيمَ أبوبكر من أموركم ؟!... أين المستضعفان ؟!... أين الأذلّانِ عليٌّ والعبّاس ؟!... وقال: يا أبا الحسن، أُبسطْ يدَك أُبايعْك، فأبىٰ عليٌّ عليه، فجعل أبو سفيان يتمثّل بشعر المُلتمّس:

ولن يُقيمَ علىٰ خسفٍ يُرادُ بِهِ   إلّا الأذلّان عِيرُ الحيِّ والوَتَدُ
هذا على الخَسْفِ معكوسٌ برُمَّتِهِ   وذا يُشَجُّ فلا يبكي لَه أحدُ

فزجره عليّ عليه السلام وقال: **«إنّك ـ والله ـ ما أردتَ بهذا إلّا الفتنة، وإنّك ـ والله ـ طالَما بغيتَ للإسلام شرّاً، لا حاجة لنا في نصيحتك!».**

وروى أيضاً أنّ أبا سفيان قال لعليّ: ما بالُ هذا الأمر في أقلّ حيٍّ من قريش؛ واللهِ لَئِن شئتَ لَأملأنّها عليه خيلاً ورجالاً، فقال عليٌّ عليه السلام: **«يا أبا سفيان! طالما عاديتَ الإسلامَ وأهلَه، فلم تَضُرَّه بذلك شيئاً!»**

لقد كان الإمام عليه السلام في ظلّ تلك الظروف يخشىٰ أن تنجم الفتنة فتعصفَ بالناس، وتُعيدَ كثيراً من الناس إلى جاهليّتهم، حيث كانت

الظروف مواتيةً للرِّدّة، وحيث كان أكثر الناس يؤيّدون الوضع القائم لسببٍ أو لآخر، ولم يبق مع الإمام عليه السلام إلّا عددٌ قليل لا يقوىٰ على التغيير[1].

---

١. شرح زيارة الغدير: ١٧٤ عن تاريخ الطبريّ ٣: ٢٠٩.

الفصل الرابع :

وَأَشْهَدُ أَنَّكَ وَفَيْتَ بِعَهْدِ اللّٰهِ تَعالَىٰ وَأَنَّ اللّٰهَ تَعالَىٰ مُوفٍ لَكَ بِعَهْدِهِ «وَمَنْ أَوْفَىٰ بِما عاهَدَ عَلَيْهُ اللّٰهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً»، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْحَقُّ الَّذِي نَطَقَ بِوِلايَتِكَ التَّنْزِيلُ، وَأَخَذَ لَكَ الْعَهْدَ عَلَىٰ الْأُمَّةِ بِذٰلِكَ الرَّسُولُ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ وَعَمَّكَ وَأَخاكَ الَّذِينَ تاجَرْتُمُ اللّٰهَ بِنُفُوسِكُمْ فَأَنْزَلَ اللّٰهُ فِيكُمْ : «إِنَّ اللّٰهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْراةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللّٰهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللّٰهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ» (التوبة : ١١١ ـ ١١٣).

«وَأَشْهَدُ أَنَّكَ وَفَيْتَ بِعَهْدِ اللّٰهِ تَعالَىٰ» :

أشهد يا أمير المؤمنين : أنّك مِن الذين ﴿يُوفُونَ بِعَهْدِ اللّٰهِ وَلاَ يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾[١].

---

١. الرعد : ٢٠.

أخذ الله العهد والميثاق منهم قبل أن يَخلق آدم عليه السلام.

روى الإمام جعفربن محمّد عن أبيه عن جدّه عن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام، عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال في وصيّته له: **«يا عليّ، إنّ الله عزّ وجلّ أشرَفَ على الدنيا فاختارني منها علىٰ رجال العالمين، ثمّ اطّلعَ الثانية فاختارك علىٰ رجال العالمين بَعدي، ثمّ اطّلع الثالثة فاختار الأئمّةَ من وُلْدك علىٰ رجال العالمين، ثمّ اطّلع الرابعة فاختار فاطمةَ علىٰ نساء العالمين»**[١].

وقال عليه السلام: **«لو يعلم الناسُ متىٰ سُمِّيَ عليٌّ أميرَ المؤمنين لم يُنكروا حقَّه»**، فقيل له: متى سُمّي؟ فقرأ: **﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾**[٢] الآية. قال: **«محمّدٌ رسول الله** صلّى الله عليه وآله، **وعليٌّ أمير المؤمنين** عليه السلام**»**[٣].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: **«قال رسول الله** صلّى الله عليه وآله وسلّم: **أنا سيّدُ الأوّلين والآخِرين، وأنت يا عليّ سيّدُ الخلائق بَعدي، أوّلُنا كآخرنا، وآخرُنا كأوّلنا»**[٤].

«وَأَنَّ اللّٰهَ تَعالَىٰ مُوفٍ لَكَ بِعَهْدِهِ»:

جعل الأئمّة من ذُرّيّته، وجمع فيهم الخصال المتفرّقة في الأنبياء عليهم السلام: كالشكر في داوود وسليمان، والصبر في أيّوب، والزهد في زكريّا وعيسى ويحيى، والصدق في إسماعيل، والتضرّع في يونُس، والمعجزات الباهرة في موسىٰ وهارون.

---

١. بحارالأنوار ٢٦: ٢٧٠ ـ ٢٧١ / ح٧ ـ عن: الخصال للصدوق: ٢٠٦ ـ ٢٠٧ / ح٥ ـ باب الأربعة.
٢. الأعراف: ١٧٢.
٣. بحارالأنوار ٢٦: ٢٨٥ / ح٤٤ ـ عن: اليقين في إمرة أمير المؤمنين عليه السلام للسيّد ابن طاووس: ٥٥ / الباب الحادي والسبعون.
٤. بحارالأنوار ٢٦: ٣١٦ / ح٧٩ ـ عن: كتاب تفضيل الأئمّة (مخطوط).

«وَمَنْ أَوْفَىٰ بِما عاهَدَ عَلَيْهُ اللّٰهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً»:

قال سُلَيم بن قيس الكوفيّ: حدّثني عليُّ بن أبي طالب عليه السلام أنّه قال: «**كنتُ أمشي مع رسول الله** صلّى الله عليه وآله وسلّم **في بعض طرق المدينة، فأتينا علىٰ حديقةٍ فقلت: يا رسول الله، ما أحسنها مِن حديقة! قال** صلّى الله عليه وآله وسلّم: **ما أحسَنَها ولك في الجنّة أحسن منها. ثمّ أتينا علىٰ حديقة أخرىٰ فقلت: يا رسول الله، ما أحسَنَها مِن حديقة! قال** صلّى الله عليه وآله وسلّم: **ما أحسَنَها ولك في الجنّة أحسنُ منها. حتّىٰ أتينا علىٰ سبع حدائق، أقول: يا رسول الله ما أحسَنَها، ويقول: لك في الجنّة أحسنُ منها. فلمّا خلا له الطريق اعتنقني، ثمّ أجهش باكياً وقال: بأبي الوحيدَ الشهيد! فقلت: يا رسول الله، ما يُبكيك ؟! فقال: ضغائنُ في صدورِ أقوامٍ لا يُبْدونها لك إلّا مِن بعدي: أحقاد بدر، وتِرات أُحد! قلت: في سلامةٍ مِن دِيني ؟! قال: في سلامةٍ مِن دِينك، فأبشرْ يا عليّ، فإنّ حياتك وموتك معي، وأنت أخي وأنت وصيّي، وأنت صفيّي ووزيري، ووارثي، والمؤدّى عنّي، وأنت تَقضي دَيني وتُنجز عِدتي عنّي، وأنت تُبرئ ذِمّتي وتُؤدّي أمانتي، وتقاتل علىٰ سُنّتي الناكثين مِن أُمّتي والقاسطين والمارقين، وأنت منّي بمنزلة هارون مِن موسى، ولك بهارون أُسوةٌ حسنة إذ ٱستضعفَه قومه وكادوا يقتلونه، فاصبرْ لظلم قريشٍ إيّاك وتظاهرهم عليك؛ فإنّك بمنزلة هارون من موسى ومَن تَبِعه، وهم بمنزلة العِجْل ومَن تَبِعه، وإنّ موسى أمَرَ هارون حين استخلفه عليهم إن ضلّوا فوجد أعواناً أن يجاهدهم بهم، وإن لم يجد أعواناً أن يكفّ يده ويحقن دمه ولا يفرّقَ بينهم. يا عليّ، ما بعَث الله رسولاً إلّا وأسلم معه قومٌ طوعاً وقومٌ آخَرون كُرهاً، فسلّط الله الذين أسلموا كرهاً على الذين أسلموا طوعاً فقتلوهم، ليكون أعظمَ لأجورهم. يا عليّ، وإنّه ما اختلفت أُمّة بعد نبيّها إلّا ظهر أهل باطلها علىٰ أهل حقّها، وإنّ الله قضىٰ الفُرقة والإختلاف علىٰ هذه الأمّة، ولو شاء لَجَمَعَهُم على**

الهدىٰ حتّىٰ لا يختلفَ اثنان من خلقه، ولا يتنازعَ في شيءٍ من أمره، ولا يجحد المفضول ذا الفضل فضلَه، ولو شاء عجّل النقمة فكان منه التغيير حتىٰ يُكـذَّب الظالم ويعلم الحقّ أين مصيره، ولكن جعل الدنيا دار الأعمال، وجعل الآخرة دار القرار؛ ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَىٰ﴾[١]. فقلت: الحمد لله شكراً علىٰ نعمائه، وصبراً علىٰ بلائه، وتسليماً ورضىً بقضائه»[٢].

حديث الحدائق السبع متواتر لدى الشيعة والسنّة.

«وَأَشْهَدُ أَنَّكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْحَقُّ»:

الجملة تدلّ بأنْ جعل اللهُ عليَّ بن أبي طالب عليه السلام أميرَ المؤمنين حقّاً، وغيره لم يكن أميرَ المؤمنين.

روى الجوينيّ بسنده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: **«يا أنس، اسكب لي وضوءً»**. ثمّ قام فصلّى ركعتين، ثمّ قال: **«يا أنس، أوّلُ مَن يدخل عليك من هذا الباب أمير المؤمنين، [وسيّد المسلمين]، وقائد الغرّ المُحجّلين، وخاتم الوصيّين»**. قال أنس: قلت: اللّهمّ اجعلْه رجلاً من الأنصار ـ وكتَمتُه ـ إذ جاء عليّ [صلوات الله عليه وآله] فقال: **«مَن هذا يا أنس؟»** فقلت: عليّ. فقام مستبشراً فاعتنقه، ثمّ جعل يمسح عرق وجهه بوجهه، ويمسح عرق وجه عليٍّ بوجهه. فقال عليّ عليه السلام: **«يا رسول الله، لقد رأيتك صنعت شيئاً ما صنعتَ بي مِن قبل؟»** قال: **«وما يمنعُني وأنت تؤدّي عنّي، وتُسمعهم صوتي، وتبيّن لهم ما اختلفوا فيه بعدي»**[٣].

---

١. النجم: ٣١.
٢. كتاب سُلَيم بن قيس الكوفيّ: ٧٢، طبع قمّ.
٣. فرائد السمطين ١: ١٤٥ / الباب السابع والعشرون ح ١٠٩

«الَّذِي نَطَقَ بِوِلايَتِكَ التَّنْزِيلُ»:

الوليّ، قال ابن الأثير في أسماء الله تعالىٰ: «الوليّ» هو الناصر... وقد تكرّر ذِكر المولىٰ في الحديث، وهو اسم يقع علىٰ جماعة كثيرة: فهو الربّ، والمالك، والسيد، والمنعم، والمعتِق، والناصر، والمحبّ، والتابع، والجار، وابن العمّ، والحليف، والعقيد، والصِّهْر، والعبد، والمعتَق، والمنعم عليه. وأكثرها قد جاءت في الحديث، فيُضاف كلّ واحدٍ إلى ما يقتضيه الحديث الوارد فيه. وكلّ مَن وَليَ أمراً أو قام فيه فهو مولاه ووليّه، وقد تختلف مصادر هذه الأسماء: فالوَلاية بالفتح، في النسب، والنصرة والمعتق، والوِلاية بالكسر في الإمارة... ومنه الحديث: **«مَن كنتُ مَولاه فعليٌّ مَولاه»**، وقول عمر لعليّ: أصبحت مولىٰ كلّ مؤمنٍ، أي وليّ كلّ مؤمن... وقيل: سبب ذلك أنّ أسامة قال لعليٍّ: لست مولاي، إنّما مولايَ رسولُ الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، فقال صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: **«مَن كنتُ مَولاه، فعليٌّ مولاه»**[1].

آية الولاية:

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَن يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾[2]، **﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾**[3]، **﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾**[4].

---

١. النهاية ٥: ٢٢٧ ـ كلمة وليَ.
٢. المائدة: ٥٥ و ٥٦.
٣. آل عمران: ٥٣.
٤. آل عمران: ٨.

اللّغة: الزيغ: المَيل عن الحقّ، ومنه قوله: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾[١]: أي فلمّا مالوا عن الحقّ والطاعة، أمال اللهُ قلوبَهم عن الإيمان والخير. (مجمع البحرين)

نزول الآية:

إتّفق علماء المسلمين من الفريقين: المفسّرون والمحدّثون والحفّاظ، علىٰ نزول هذه الآية الكريمة في الإمام عليّ عليه السلام عندما تصدّق بخاتَمه على المسكين وهو يصلّي في المسجد في حال الركوع، وننقل هنا نماذج من الروايات في نزولها فيه، واستعمال صيغة الجمع للمفرد من الأساليب المألوفة في اللّغة العربيّة، ومِن مسوّغاته فيها إرادة الإجلال والتعظيم.

يعتبر الشيعة هذه الآية الكريمة من جملة النصوص الصريحة التي يَستدلّون بها علىٰ إمامة الإمام عليّ عليه السلام؛ لأنّ الآية عطفت ولايته علىٰ ولاية الله تعالىٰ وولاية الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم، ويُستفاد من أداة الحصر «إنّما» قَصْر هذه الولاية عليه بعدهما، فهي تتفرّع عن ولايتهما التي هي ولاية التصرّف في أمور المسلمين، وهذه الولاية أكّدها الرسول المصطفى صلّى الله عليه وآله يوم غدير خمّ، وفسّرها عندما ناشد مَن حضر من المسلمين، فقال: **«أيُّها الناس، مَن أَولىٰ بالمؤمنين مِن أنفسهم؟»**

قالوا: اللهُ ورسولُه أعلم.

قال: **«إنّ الله مَولاي، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أَولىٰ بهم مِن أنفسهم، فمَن كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه»** ـ يكرّرها ثلاثاً أو أربعاً.

وممّا لا شكّ فيه أنّ السُّنّة النبويّة الشريفة تفسّر ما جاء به الكتاب العزيز، وما حديث الغدير إلّا تفسيراً لهذه الآية الكريمة يفصّل ما تضمّنته

---

١. الصف: ٥.

بوضوح لا لَبْسَ فيه. أمّا صرف معنى الولاية إلى النُّصرة والحبّ، وما شابههما من معانٍ، فهو تأويل بلا دليل، وتوجيهٌ لمعنى آيات الذكر الحكيم بتمحّل، وابتعاد عمّا يحتمله اللّفظ مِن معنى؛ ليتّفق مع عمل السلف وآرائهم وإن خالفوا الكتابَ والسنة، وهو بالتالي تحريف معنويّ لِما جاء به القرآن المجيد.

ويؤيّد ما ذهب إليه الشيعةُ من المقصود بالولاية بعضُ ما رواه السنّة في سبب نزول الآية الكريمة: عن عمّار بن ياسر قال: وقف علىٰ عليّ بن أبي طالب سائل وهو راكعٌ في تطوّع، فنزع خاتَمه فأعطاه السائل، فأتىٰ رسولَ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فأعلمه بذلك، فنزلت علىٰ رسول الله صلّى الله عليه وآله هذه الآية: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾، فقرأها رسول الله صلّى الله عليه وآله ثمّ قال: «**مَن كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه، اللّهمّ والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه**»[1].

وعن أبي ذرّ الغِفاريّ قال: أما إنّي صلّيتُ مع رسول الله يوماً من الأيّام صلاة الظهر، فسأل سائل في المسجد فلم يُعطه أحد، فرفع السائل يده إلى السماء وقال: اللّهمّ اشْهدْ أنّي سألتُ في مسجد رسول الله فلم يُعطِني أحدٌ شيئاً، وكان عليّ راكعاً، فأومىٰ إليه بخنصره اليمنىٰ ـ وكان يتختّم فيها ـ فأقبل السائل حتّىٰ أخذ الخاتم مِن خنصره، وذلك بعين النبيّ، فلمّا فرغ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم رفع رأسه إلى السماء وقال: «**اللّهمّ إنّ أخي موسىٰ سألك فقال: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِن لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَل لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ***

١. شواهد التنزيل ١: ٢٢٣، ومجمع الزوائد ٧: ١٧.

وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾[١]**، فأنزلتَ عليه كتاباً ناطقاً: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ﴾**[٢]**. اللّهمّ وأنا محمّدٌ نبيّك، وصفيّك، اللّهمّ فاشرحْ لي صدري، ويسّرْ لي أمري، واجعل لي وزيراً مِن أهلي، عليّاً أخي اَشْدُدْ بِه أزْري».**

قال: فَوَ الله ما استتمّ رسولُ الله الكلام حتّىٰ نزل جَبرائيل من عند الله وقال: **«يا محمّد، هنيئاً ما وهب لك في أخيك»**. قال: **«وماذا يا جبرائيل؟»** قال: **«أمرَ الله أمّتك بموالاته إلىٰ يوم القيامة، وأنزل عليك: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾»**[٣].

وهذان الحديثان واضحا الدلالة علىٰ ما ذهب إليه الشيعة من إرادة ولاية التصرّف من معنى «الوليّ»؛ لنصّ الأوّل منهما بما تضمّنه حديث الغدير، ونصّ الثاني علىٰ أنّ نزول الآية الكريمة كان استجابةً لدعاء النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بما دعا به موسىٰ لأخيه هارون عليهما السلام، فولاية عليّ عليه السلام في أُمّة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم كولاية هارون في أمّة موسىٰ عليهما السلام، ولا شكّ أنّ ولاية هارون عليه السلام كانت ولايةَ تصرّف؛ لأنّه كان نبيّاً، والذي يُفهم مِن نصّ حديث المنزلة أنّ ما لِهارون عليه السلام ثابتٌ لعليٍّ عليه السلام باستثناء النبوّة.

والآية الثانية بيّنت فضلَ مَن يلتزم بالولاية التي نصّت عليها الآية السابقة لها، وهي ولاية الإمام عليّ عليه السلام الذي تصدّق بخاتمه حالَ الركوع، فوصفت الآية الكريمة الّذين يتولّونه بأنّهم حزبُ الله، وما ذلك إلّا لأنّهم أطاعوا الله ورسوله صلّى الله عليه وآله في التزامهم بولاية الإمام عليّ عليه

---

١. طه: ٢٥ ـ ٣٢.
٢. القصص: ٣٥.
٣. شواهد التنزيل ١: ٢٣٠، ونظم درر السمطين: ٧٨.

السلام، وهي الولاية المتفرّعة عن ولايتهما، والمتمّمة لها، ولم تمل بهم الأهواء، ولم تؤثّر فيهم نزعات الجاهليّة، بل آثروا أوامر الله تعالىٰ والتزموا بها. ولهذا الإلتزام ولِما تمسّكوا به من أوامر الكتاب العزيز والسنّة النبويّة الشريفة، تحقّق لهم وعدُ الله تعالىٰ بالنصر والغلبة[١].

قال ابن منظور: الوَلاية بالفتح المصدر، والوِلاية بالكسر الإسم، مثل الإمارة والنقابة؛ لأنّه اسم لما تَولّيتَه... الولي والمولىٰ، واحد في كلام العرب، ومنه قول سيّدنا رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: **«مَن كنتُ مولاه، فعليٌّ مولاه»** أي: مَن كنت وليَّه... ويقال: تولّاك الله، أيّ وليُّك الله، ويكون بمعنى نَصَرك الله. وقوله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: **«اللّهمّ والِ مَنْ والاه»**، أي أحبِبْ مَن أحبّه، وانصرْ مَن نصره[٢].

وإذا أردتَ مزيد التحقيق في معنى الحديث فراجع كتاب نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار.

«التنزيل»:

روى الحفّاظ من الصحابة، والتابعين في صِحاحهم ومسانيدهم أحاديثَ ما نزل من الآيات في فضائل أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام.

روى الحاكم الحسكانيّ بسنده عن يزيد بن مارون قال: ما نزل في أحدٍ من القرآن مثلُ ما نزل في عليّ بن أبي طالب عليه السلام[٣].

وروىٰ بسنده عن عبدالرحمن بن أبي ليلىٰ قال: نزلت في عليٍّ ثمانون

---

١. شرح زيارة الغدير: ٢٨٣.
٢. لسان العرب ١٥: ٤٠٦ ـ كلمة «وَلي».
٣. شواهد التنزيل ١: ٤١ / ح٥٣.

آيةً صفواً في كتاب الله، ما يَشركُه فيها أحدٌ مِن هذه الأُمّة[١].

«وَأَخَذَ لَكَ الْعَهْدَ عَلَىٰ الْأُمَّةِ بِذٰلِكَ الرَّسُولُ»:

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾[٢].

قال الإمام الصادق عليه السلام: «**... نزلت في ولاية عليّ بن أبي طالب** عليه السلام، **وما كان مِن قوله** صلّى الله عليه وآله وسلّم: **سلّموا علىٰ عليٍّ بإمرة المؤمنين**»[٣].

وروى الشيخ المجلسيّ بسنده عن أبي جعفر عن أبيه عن جدّه عليهم السلام قال: «**إنّ الله** جلّ جلاله **بعث جبرئيل إلىٰ محمّدٍ أن يشهد لعليّ بن أبي طالب** عليه السلام **بالولاية في حياته ويُسمّيَه بأمير المؤمنين قبل وفاته، فدعا نبيُّ الله بسبعة رهط، فقال: إنّما دعوتُكم لتكونوا شهداءَ الله في الأرض، أقمتم أم كتمتم، ثمّ قال: يا أبابكر، قمْ فسلّمْ علىٰ عليٍّ بإمرة المؤمنين، فقال: أعَن أمر الله ورسوله؟ قال: نعم، فقام فسلّم عليه بإمرة المؤمنين. ثمّ قال يا عمر، قمْ فسلِّمْ علىٰ عليٍّ بإمرة المؤمنين، فقال: أعَن أمر الله ورسوله نُسمّيه أميرَ المؤمنين؟ قال: نعم، فقام فسلّم عليه.**

ثمّ قال للمِقداد بن الأسود الكنديّ: قمْ فسلّم علىٰ عليٍّ بإمرة المؤمنين، فقام فسلّم ولم يقل مثل ما قال الرجلان مِن قَبله، ثمّ قال لأبي ذرّ الغِفاريّ: قمْ فسلّمْ علىٰ عليٍّ بإمرة المؤمنين، فقام فسلّم عليه. ثمّ قال لحذَيفة اليمانيّ: قمْ فسلّمْ علىٰ عليٍّ أمير المؤمنين، فقام فسلّم، ثمّ قال لعمّار بن ياسر: قمْ فسلِّمْ علىٰ أمير

---

١. شواهد التنزيل ١: ٤٢ / ح٥٥.

٢. النحل: ٩١.

٣. بحارالأنوار ٣٧: ٣٣٣ / ح٧٣ ـ عن: مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ١: ٥٤٦.

المؤمنين، فقام فسلّم، ثمّ قال لبريدة: قمْ فسلِّمْ علىٰ أمير المؤمنين ـ وكان بريدة أصغرَ القوم سِنّاً ـ فقام فسلّم، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: **إنّما دعوتكم لهذا الأمر لتكونوا شهداءَ الله، أقمتُم أَم تركتم»**[١].

وروىٰ عن عِمران بن حُصَين الخُزاعيّ أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أمر فلاناً وفلاناً أن يُسلِّما علىٰ عليٍّ بإمرة المؤمنين، فقالا: مِن الله ومِن رسوله؟ فقال: **«مِن الله ورسوله»**. ثمّ أمر حُذَيفة وسلمان فسلّما عليه، ثمّ أمر المقداد فسلّم، وأمر بريدة أخي ـ وكان أخاه لأمّه ـ فقال: **«إنّكم قد سألتموني مَن وليُّكم بعدي، وقد أخبرتكم به، وقد أخذتُ عليكم الميثاق كما أخذ الله تعالىٰ علىٰ بَني آدم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾، وأيمُ الله، لَئن نقضتُموها لتكفرنّ»**[٢].

«وَأَشْهَدُ أَنَّكَ وَعَمَّكَ وَأَخاكَ الَّذِينَ تاجَرْتُمُ اللّٰهَ بِنُفُوسِكُمْ»:

الإمام عليّ عليه السلام وحمزة وجعفر تاجروا مع الله سبحانه أنفسهم، والمشتري هو الله جلّ جلاله.

أمّا أميرالمؤمنين عليه السلام فقد ملأ الخافقين جهادُه في الحروب والغزوات، وبذل نفسه، وكانت شهادتُه في محرابه.

وأمّا حمزة سيّد الشهداء في زمانه، فقد كان أكبرَ مِن النبيّ صلّى الله عليه وآله بأربع سنين، وكان أخاه من الرضاع، فكلاهما ارتضعا من «ثُوَيبة» وقد تُوفّيت مسلمةً سنة سبعٍ من الهجرة[٣].

وكان الوفيّ الأوّل لرسول الله صلّى الله عليه وآله حمزة، والثاني أبو طالب

---

١. بحارالأنوار ٣٧: ٣٣٥ ـ ٣٣٦ / ح ٧٤ ـ عن: أمالي الشيخ المفيد: ١٠ ـ ١١.
٢. بحارالأنوار ٣٧: ٣٣٦ ح ٧٦ ـ عن رجال الكشّيّ: ٦٢.
٣. بحارالأنوار ١٥: ٢٨١ / ح ٢٥ ـ عن: إعلام الورىٰ بأعلام الهدىٰ للطبرسيّ ١: ٤٥.

عليه السلام[١]، وقال الإمام أبو جعفر عليه السلام: «**علىٰ قائمة العرش مكتوبٌ: حمزةُ أسدُ الله وأسد رسوله، سيّد الشهداء**».

وقد أمر النبيّ صلّى الله عليه وآله بزيارة قبر حمزة وأصحابه الشهداء[٢].

وأمّا جعفربن أبي طالب، فكنيته أبو المساكين، وقد ورد في فضله أحاديث كثيرة عن رسول الله صلّى الله عليه وآله، ولمّا فتح خيبر قَدِم جعفربن أبي طالب من الحبشة فالتزمه رسولُ الله صلّى الله عليه وآله وجعل يقبّل بين عينيه ويقول: **ما أدري بأيّهما أنا أشدُّ فرَحاً: بقدوم جعفر، أم بفتح خيبر!** [على يد أخيه عليّ بن أبي طالب عليه السلام] وقال صلّى الله عليه وآله: «**خيرُ الناس: حمزة، وجعفر، عليّ**». وقال لجعفر: «**أشْبَهتَ خَلْقي وخُلُقي**». وقال الإمام الباقر عليه السلام: «**وكان عُمره يومَ قُتل إحدىٰ وأربعين سنة**». وقال عليه السلام: «**جعفر ذو الجناحَين، والقبلتَين، والهجرتَين، والبيعتين، من الشجرة المباركة، صحيح الأريم. وحمزة، وجعفر هما الشاهدان للأنبياء** عليهم السلام **بما بلّغوا رسالتهم**».

روى المحدّث القمّيّ: عن يوسف بن أبي سعيد قال: كنتُ عند أبي عبدالله عليه السلام ذاتَ يوم فقال: «**إذا كان يومُ القيامة وجمع الله تبارك وتعالى الخلائقَ كان نوحُ** صلّى الله عليه **أوّلَ مَن يُدعىٰ به، فيقال له: هل بلّغت؟ فيقول: نعم، فيقال له: من يشهد لك؟ فيقول: محمّد بن عبد الله** صلّى الله عليه وآله. **قال: فيخرج نوح فيتخطّى الناسَ حتّى يجيىء إلى محمّد** صلّى الله عليه وآله **وهو علىٰ كثيب المِسك ومعه عليّ** عليه السلام، **وهو قول الله** عزّ وجلّ: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ

---

١. بحارالأنوار ٢٠: ٧٢ / ح ٩.
٢. بحارالأنوار ٢٢: ٢٨٠ / ح ٣٥ ـ عن: بصائر الدرجات للصفّار القمّي: ٣٤.

وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾[١]، فيقول نوح لمحمّد صلّى الله عليه وآله: يا محمّد، إنّ الله تعالى سألني هل بلّغت؟ فقلت: نعم، فقال: من يشهد لك؟ فقلت: محمّد صلّى الله عليه وآله. فيقول: يا جعفر ويا حمزة، إذهبا واشهدا له أنّه قد بلّغ». فقال أبو عبد الله عليه السلام: «فجعفر وحمزة هما الشاهدان للأنبياء عليهم السلام بما بلّغوا»، فقلت: جُعِلتُ فداك، فعليٌّ عليه السلام أين هو؟ فقال: «هو أعظم منزلةً من ذلك»[٢].

«فَأَنْزَلَ اللّٰهُ فِيكُمْ: إِنَّ اللّٰهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْراةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللّٰهِ...»[٣]:

والآيات يفسّر بعضُها بعضاً.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَاللهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[٤] فمعنى يشري يبيع فصار ذلك كقوله: ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَىٰ...﴾[٥] الآية.

حقيقة الإشتراء لا يجوز على الله تعالىٰ؛ لأنّ المشتري إنّما يشتري ما لا يملك، وهو عزّ اسمُه مالِكُ الأشياء كلّها، لكنّه مثل قوله: ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً﴾[٦] في أنّه ذكر لفظ الشراء والقرض تلطّفاً؛ لتأكيد الجَزاء، ولمّا كان سبحانه ضَمِنَ الثواب على نفسه عبّر عن ذلك بالإشتراء، وجعل الثواب ثمناً والطاعات مُثْمَناً علىٰ ضربٍ من المَجاز. والجهاد قد يكون بالسيف، وقد يكون باللّسان، وربّما كان جهاد اللّسان أبلغَ لأنّ سبيل الله دينُه، والدعاء إليه يكون أوّلاً باللّسان، والسيف تابعٌ له، ولأنّ إقامة الدليل

---

١. الملك: ٢٧.
٢. الكافي ٨: ٢٦٧ / ح٣٩٢ ـ عنه: بحارالأنوار ٧: ٢٨٢ / ح٤.
٣. التوبة: ١١١.
٤. البقرة: ٢٠٧.
٥. التوبة: ١١١.
٦. البقرة: ٢٤٥.

علىٰ صحّة المدلول أَولىٰ، وإيضاح الحقّ وبيانه أحرىٰ، وذلك لا يكون إلّا باللّسان. وقد قال النبيّ صلّى الله عليه وآله: **«لَأَن يَهديَ اللهُ علىٰ يديك نَسَمةَ خير ممّا طلعت عليه الشمس»**، وإنّما ذكر سبحانه شراء النفس والمال لأنّ العبادات علىٰ ضربين: بدنيّة، وماليّة، ولا ثالث لهما. ورُوي أنّ الله تعالى تاجَرَ المؤمنين فأغلىٰ لهم الثمن، فجعل ثمنَهم الجنّة[١].

روى السيّد البحرانيّ بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **«لَقيَ عبّاد البصريّ عليَّ بن الحسين في طريق مكّة فقال له: يا عليَّ بن الحسين، تركتَ الجهاد وصعوبته وأقبلت على الحجّ ولينته، إنّ الله** عزّ وجلّ **يقول: ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾**[٢]**، فقال عليّ بن الحسين: إذا رأينا هؤلاء الذين هذه صفتُهم فالجهادُ معهم أفضل مِن الحجّ»**[٣].

روى الشيخ المجلسيّ بسنده عن الرضا، عن آبائه، عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال: **«بينما أميرُ المؤمنين عليّ بن أبي طالب** عليه السلام **يخطب الناسَ ويحضّهم على الجهاد، إذ قام إليه شابٌّ فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرْني عن فضل الغُزاة في سبيل الله، فقال عليّ** عليه السلام: **كنتُ رديفَ رسول الله** صلّى الله عليه وآله **علىٰ ناقته العضباء ونحن قافلون من غزوة ذاتِ السلاسل، فسألتُه عمّا سألتني عنه، فقال: إنّ الغُزاة إذا همّوا بالغزو كتبَ اللهُ لهم براءةً من النّار، فإذا تجهّزوا لغزوهم باهى اللهُ** تعالى **بهم الملائكة، فإذا ودّعهم أهلوهم بكت عليهم**

---

١. ذيل تفسير الصافي ١: ٧٣٣.
٢. التوبة: ١١١.
٣. تفسير البرهان ٢: ١٦٣/ح ١.

الحيطان والبيوت، ويخرجون من ذنوبهم كما تخرج الحيّة من سلخها، ويُوكِّل الله عزّ وجلّ **بهم بكلّ رجل منهم أربعين ألف مَلَكٍ يحفظونه من بين يديه ومِن خلفه، وعن يمينه وعن شماله»**(١).

وثائق التجارة: التوراة، والإنجيل، والقرآن، والوفيّ هو الله سبحانه وتعالىٰ.

«فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ»:

مع أنّ العبد وما في يده للمولىٰ، فيجعل الله تعالى نفسَه المشتري، والعبد بايعاً ما هو مِلكٌ لله، ويبشّرهم في هذه التجارة بالنفع.

«وَذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ»:

الفوز: الربح، و أفازه الله بكذا: أناله إيّاه(٢)، وعظم: أي كَبُر فهو عظيم.

«التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللّٰهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ»(٣):

بشّر رسولُ الله صلّى الله عليه وآله المؤمنين: حمزةَ وجعفر، وعليَّ بن أبي طالب عليهم السلام سيّدُهم، بشّرهم بالشهادة.

﴿ إِنَّ اللهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ... ﴾ (التوبة: ١١١)

في الآية لطائف:

الأولىٰ: المشتري هو سبحانه تعالىٰ، والبائع المؤمنون، والثمن الجنّة، والمُثمن الأنفس والأموال، والواسطة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، واللهُ هو الضامن له.

---

١. بحارالأنوار ١٠٠: ١٢ /ح٢٧ ـ عن: صحيفة الرضا عليه السلام: ٢٦.
٢. المعجم الوسيط كلمة «فاز».
٣. التوبة: ١١٢.

الثانية: المعاملة عامّة لكلّ مجاهدٍ بنفسه ومالِه في سبيل الله إلىٰ يوم القيامة.

الثالثة: أنّه سبحانه مالِكٌ لِما سواه.

الرابعة: الشراء بين الخلق أن يعرضوا عمّا بأيديهم ما كان أنفع لهم، فاشترى الله سبحانه من عباده إتلاف أنفسهم في الجهاد وأموالَهم في الصدقات وإهلاكها في طاعة الله ومرضاته، فمِن العبد تسليم النفس والمال ومن الله الوفاء بالعهد من الثواب.

الخامسة: الآية دليل علىٰ جواز معاملة المَولىٰ مع عبده وإن كان العبد للمولىٰ، لكنْ إذا ملك شيئاً عامَلَه فيما جعل مُلكاً إليه.

السادسة: عبّر سبحانه بالشراء؛ لِكَي يتيقّنَ المطيع بالجزاء والثمن علىٰ طاعته كما يثق البائع بالثمن بذلاً عن سلعته.

السابعة: إنّ الإيمان ليس مجرد كلمات في الأفواه، بل هو بذل تضحيته بالنفس والأموال النفيسين.

الثامنة: أعزّ شيءٍ على الإنسان حياته ونفسه التي بين جنبيه، وحبّه للمال؛ لأنّه الوسيلة لحفظ نفسه، وتحقّق أهوائها، وقد امتحن الله سبحانه مَن يدّعون الإيمان والإسلام بأعزّ الأشياء لديهم: الأنفس والأموال، حتّى يتميّز الصادق من الكاذب، المدّعي الذي يبخل عن بذل نفسه وماله.

التاسعة: في بذل النفس والمال، قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: **«فوقَ كلِّ برٍّ برّ حتّىٰ يُقتَل الرجل في سبيل الله، فإذا قُتِل في سبيل الله عزّ وجلّ فليس فوقه برّ...»**[١].

العاشرة: مرّ أعرابيّ بالنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وهو يقرأ الآية، فسأله:

---

١. بحارالأنوار ١٠٠: ١٠ / ح١٤ ـ عن: الخصال للشيخ الصدوق: ٩ / ح٣١ ـ باب الواحد.

كلامُ مَن هذا؟ قال: كلام الله، قال الأعرابيّ: بيعٌ واللهِ مُربح، لا نقيله ولا نستقيله. فخرج إلى الغزوة واستُشهد[١].

الحادية عشر: دعاء أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

روى أبو عبد الله عليه السلام: «**إنّ أمير المؤمنين** عليه السلام **كان إذا أراد القتال قال هذه الدعوات: اللّهمّ إنّك أعلمتَ سبيلاً مِن سُبلِك، وجعلتَ فيه رضاك وندبتَ إليه أولياءك، وجعلتَه أشرف سُبلِك عندك ثواباً، وأكرمها لديك مآباً، وأحبَّها إليك مسلكاً، ثمّ اشتريتَ فيه مِن المؤمنين أنفسَهم وأموالهم بأنّ لهم الجنّة، يُقاتِلون في سبيلِ الله فيَقتُلون ويُقتَلون وَعْدْ عليك حقّاً، فاجعلني مِمّن اْشترىٰ فيه منك نفسَه، ثمّ وفىٰ لك ببيعِه الذي بايَعك عليه، غيرَ ناكثٍ ولا ناقضٍ عهداً، ولا مبدّلاً تبديلاً**»، والدعاء طويل أخذنا منه موضع الحاجة[٢].

عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألتُه عن قول الله: ﴿**إِنَّ اللهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْـجَنَّةَ**﴾، الآية قال: يعني في الميثاق.

وفي تفسير مجمع البيان: ﴿**أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ**﴾ إنّما اشترى من المؤمنين أنفسهم يبذلونها بالجهاد في سبيل الله، والجهاد قد يكون بالسيف وقد يكون باللّسان، وربّما كان جهاد اللّسان أبلغ؛ لأنّ سبيل الله دينُه، والدعاء إلى الدين يكون أوّلاً باللّسان، وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «**لَئِن يهدي الله علىٰ يديك نسَمةً خيرٌ ممّا طلعت عليه الشمس**». وكان الصادق عليه السلام يقول: «**يا مَن ليست له هِمّةٌ أنّه ليست لأبدانكم ثمنٌ إلّا**

---

١. تفسير القرطبيّ ج٨.
٢. تفسير نور الثقلين ٢: ٢٧٢ / الرقم ٣٥٩.

الجنّة، فلا تبيعوها إلّا بها»[١].

أُثـامِنُ بـالنفس النـفيسةِ ربَّـها   فليسَ لَها في الخَلْقِ كلِّهمُ ثَـمَنُ

بها تُشترى الجنَّاتُ إنْ أنا بِعْتُها   بشـيءٍ سـواهـا إنّ ذلكـمُ غَـبْنُ

إذا أذهبَتْ نفسي بدنياً أصبتُها   فقد ذهب الدنيا وقد ذهب الثمنُ

لا يجوز أن يشتري الله شيئاً في الحقيقة؛ لأنّ المشتري إنّما يشتري ما لا يملك، وكيف يشتري أنفُساً هو خلَقها و أموالاً هو أوجدها ورزَقها؟!

لكن هذا البيان لحسن التلطّف في الترغيب إلى الطاعة، وبيّن سبحانه أنّ المؤمن متىٰ قاتل في سبيل الله حتّى يُقتَل فيذهب روحه، وينفق مالاً في سبيله أخذ من الله الأجر الجنّة جزاءً لما فعل، فجعل هذا الأمر استبدالاً وشراء.

وهذا معنى ﴿اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ أي بالجنّة، وهذه واللهِ بيعةٌ رابحة، وكفّة راجحة، بايع اللهَ فيها كلُّ مؤمن، وما على الأرض مؤمن إلّا ودخل في هذه البيعة، قال الإمام الصادق عليه السلام: **«ليس لأبدانكم ثمنٌ إلّا الجنّة فلا تبيعوها إلّا بها»**، وقوله: **«وأموالَهم»** يريد: التي ينفقونها في سبيل الله وعلىٰ طاعة الله في المثوبات، والمشتري لابدّ له من بايع، وهاهنا بحسب الواقع البايعُ والمشتري هو الله، وبحسب الظاهر المشتري هو الله، والبايع الذين بذلوا أنفسهم وأموالهم في مرضاة الله بالجهاد.

وأضاف سبحانه الأنفس والأموال إليهم؛ لأنّ الإنسان عبارة عن الجوهر الأصليّ الباقي، وهذا البدن يجري مجرى الآلة والأدوات والمركّب، وكذلك المال وسيلة لرعاية مصالح هذا المركّب، فالله سبحانه إشترىٰ من

---

١. تفسير نور الثقلين ٢: ٢٧٣ / الرقم ٣٦٥.

الإنسان هذا المركب وهذا المال بالجنّة ؛ لأنّ ذلك الإنسان الذي عبّرنا عنه بالجوهر الأصليّ مادام يبقى متعلّقَ الإرادة والقلب بمصالح عالم الجسم المتغير المتبدّل ، وهو البدن والمال ، إمتنع وصوله إلى السعادات العالية والدرجات الشريفة ؛ لاشتغاله بهذين .. فإذا إنقطع التفاتُه منهما وبلغ ذلك الإنقطاع بحيث إن عرّض البدنَ للقتل والفَناء ، والمالَ عرّضه للإنفاق في طلب رضوان الله ، فقد بلغ أعلىٰ درجةِ الهدىٰ ، وفاز بالقدح المُعلّىٰ[1] .

وهم الذين وصفهم سبحانه : ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[2] .

---

١ . تفسير مُقتنيات الدُّرر ٥ : ١٨٩ للسيد علي الحائري .
٢ . التوبة : ١١٢ .

الفصل الخامس:

أَشْهَدُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ الشَّاكَّ فِيكَ مَا آمَنَ بِالرَّسُولِ الْأَمِينِ، وَأَنَّ الْعادِلَ بِكَ غَيْرَكَ عانِدٌ عَنِ الدِّينِ الْقَوِيمِ الَّذِي ارْتَضَاهُ لَنَا رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَأَكْمَلَهُ بِوِلايَتِكَ يَوْمَ الْغَدِيرِ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ الْمَعْنِيُّ بِقَوْلِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ: وَأَنَّ هٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ، ضَلَّ وَاللّٰهِ وَأَضَلَّ مَنِ اتَّبَعَ سِواكَ وَعَنَدَ عَنِ الْحَقِّ مَنْ عاداكَ. اللّٰهُمَّ سَمِعْنا لِأَمْرِكَ وَأَطَعْنا وَاتَّبَعْنا صِراطَكَ الْمُسْتَقِيمَ فَاهْدِنا رَبَّنا وَلَا تُزِغْ قُلُوبَنا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنا إِلىٰ طاعَتِكَ، وَاجْعَلْنا مِنَ الشّاكِرِينَ لِأَنْعُمِكَ.

«أَشْهَدُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ الشَّاكَّ فِيكَ مَا آمَنَ بِالرَّسُولِ الْأَمِينِ»:

الشّك حالة نفسيّة يتردّد معها الذهن بين الإثبات والنفي ويتوقّف عن الحكم[1].

روى الگنجيّ الشافعيّ عن عطا قال: سألت عائشة عن عليّ عليه السلام فقالت: ذاك خير البشر، لا يشكّ فيه إلّا كافر[2].

---

١. المعجم الوسيط: ٤٩١.

٢. كفاية الطالب: ٢٤٦ / الباب الثاني والستون.

وروي عن جابر قال: قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: **«عليٌّ خير البشر، فمَن أبى فقد كفر»**[١].

وروي عنه سُئل عن عليّ عليه السلام، فقال [صلّى الله عليه وآله]: **«ذاك خير البريّة، لا يبغضه إلّا كافر!»**[٢]

«وَأَنَّ الْعادِلَ بِكَ غَيْرَكَ عانِدٌ عَنِ الدِّينِ الْقَوِيمِ»:

لعناده، قوله تعالىٰ: ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾[٣]، والعنيد هو الجائر عن القصد، الباغي: الذي يردّ الحقَّ مع العلم به... فهو عنيد وعاند[٤].

ومُبغض عليٍّ عليه السلام عاند لانحرافه عن الحقّ والخطّ الذي يمثّله الإمام عليه السلام.

قال الگنجيّ الشافعيّ: وذلك من وجوه: منها أنّ مبغضه مخالف لرسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم؛ لأنّه قد صحّ الحديث في عليٍّ عليه السلام أنّه يحبّه اللهُ ويحبُّه رسولُه، فمَن خالف اللهَ ورسوله وجبت له النار، ومن أبغض ما أحبَّ اللهُ ورسولُه وجبت له النار، ومن أبغضَ مَن شنأ أهلَ الشرك والنفاق لأجل ذلك كان من المشركين والمنافقين، وقد توعّدهم الله بأشدّ العذاب[٥] في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾[٦].

وقال النبيّ صلّى الله عليه [وآله]: **«كذبَ مَن زعم أنّه يُحبّني ويبغض هذا [عليّاً]** عليه السلام»[٧]. لأنّه معاند عن الدين القويم.

---

١. كفاية الطالب: ٢٤٦ / الباب الثاني والستون.
٢. المصدر نفسه.
٣. إبراهيم: ١٥.
٤. مجمع البحرين ـ كلمة عند.
٥. كفاية الطالب: ١١٦ / الباب العشرون.
٦. النساء: ١٤٥.
٧. كفاية الطالب: ٣٢٠ / الباب الثامن والثمانون.

«الَّذِي ارْتَضَاهُ لَنَا رَبُّ الْعَالَمِينَ»:

قال سليمان النبيّ على نبيّنا وآله وعليه السلام: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾[١]، فسأل من اللّه تعالى أن يُمكّنه من شكر نعمائه، ونحن بدورنا نسأله تعالى أن يثبّتنا على نعمة معرفة الإمام عليه السلام ويوفّقنا لشكر نعمة الولاية.

روى الشيخ الطوسيّ عن محمّدبن سليمان الديلميّ أنّه قال للإمام الصادق عليه السلام: إنّ شيعتك تقول: إنّ الإيمان قسمان: فمستقرٌّ ثابت، ومُستودَع يزول، فعلِّمْني دعاءً يكمل به إيماني إذا دعوتُ به فلا يزول، قال عليه السلام: «قلْ عقيبَ كلِّ صلاةٍ مكتوبة: رَضِيتُ بالله ربّاً، وبمحمّدٍ صلّى الله عليه وآله نبيّاً، وبالإسلام دِيناً، وبالقرآن كتاباً، وبالكعبةِ قِبلةً، وبعَليٍّ وليّاً وإماماً، وبالحسن والحسين وعليِّ بن الحسين ومحمّدِ بن عليٍّ وجعفرِ بن محمّدٍ وموسى بن جعفرٍ وعليِّ بن موسىٰ ومحمّدِ بن عليٍّ وعليِّ بن محمّدٍ والحسنِ بن عليٍّ والحجّة بن الحسن صلوات الله عليهم أئمّةً. اللّهمّ إنّي رضيتُ بهم أئمّةً، فارضَني لهم إنّك علىٰ كلّ شيءٍ قدير»[٢].

«وَأَكْمَلَهُ بِوِلايَتِكَ يَوْمَ الْغَدِيرِ»:

﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾[٣].

والجملة: «اليوم» إشارة إلى الجملة الثالثة من الآية الثالثة من سورة

---

١. النمل: ١٩.
٢. مفاتيح الجنان المعرّب ـ عن: أمالي الطوسيّ.
٣. المائدة: ٣.

المائدة التي نزلت في المدينة، إلّا الجملتين المصدَّرتَين به «اليوم».

إتّفق جمهور مفسري السنّة وحفّاظ الحديث علىٰ نزول الجملتين في مكّة: فمنهم مَن قال يومَ التاسع في عرفات، ومنهم مَن قال يومَ النحر، وقال بعض علماء التفسيرمن الشيعة[١]: نزلت سورة المائدة بالمدينة، إلّا قولَه تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ فإنّها نزلت بعرفة في حجّة الوداع، والنبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم واقف بعرفة، فقرأها النبيّ صلّى الله عليه [وآله] في خطبة، وقال: يا أيّها الناس، إنّ سورة المائدة في آخر القرآن نزولاً، فأحِلّوا حلالها، وحرِّموا حرامَها[٢].

وقيل: نزلت جملة الإكمال يومَ دخوله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم مكّةَ لثمانٍ بقين من رمضان سنةَ تسع، وقيل: سنة ثمانٍ للهجرة[٣].

ونقل الشيخ الأمينيّ عن النقّاش نزولَها في عام الحديبيّة سنة ٦[٤].

واتّفق علماء الشيعة في تفاسيرهم ومسانيدهم، وكلامهم وتواريخهم، علىٰ أنهما نزلتا يومَ الثامن عشر من ذي الحجّة سنة حجّة الوداع يومَ غدير خمّ في الجُحْفة، وأيّدهم من الصحابة جمع كثير:

قال أبو سعيد الخُدْريّ وأبو هُريرة: لمّا كان يومُ غدير خمّ، وهو يوم ثمانية عشر من ذي الحجّة، قال النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: «مَن كنتُ

---

١. منهم: السيد عبد الله شبّر في تفسيره، والنجفيّ الهمدانيّ في «أنوار درخشان» والدكتور محقّق في شأن نزول الآيات، وإبراهيم العامليّ في تفسير العامليّ، والحويزيّ في تفسير نور الثقلين ١: ٥٨٧ / الحديث ٢٦، والزنجانيّ في تاريخ القرآن.
وروى ابن كثير عن ابن الحنفيّة عن الإمام عليّ [عليه السلام] نزلت هذه الآية علىٰ رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم وهو قائم عشيّةَ يوم عرفة.

٢. تفسير الخازن ١: ٤٢٩.

٣. تفسير روح المعاني ٦: ٥٤ و تفسير الجلالين: ٩٤ والقرطبيّ في المسألة الحادية والعشرين / الجزء السادس ص٢٩ و ٣٠.

٤. الغدير ١: ٢٢٧.

مَولاه، فعليٌّ مولاه». فأنزل الله: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**﴾[1].

روى زيدبن أرقم: فقام عليّبن أبي طالب... فحَمِدَ اللهَ وأثنىٰ عليه، ثمّ قال: «**أُنْشِدُ اللهَ مَن شَهد يومَ غدير خمّ إلّا قام، ولا يقول رجل يقول نُـبِّئتُ، أو بلَغني إلّا رجل سَمِعَت أُذُناه ووعا قلبه**». فقام سبعة عشر رجلاً...[2].

روى ضمرة الأسلميّ (١) وحُذَيفةبن أُسَيد (٢) وأبو رافع مَولى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم (٣) وأمّ سلمة رضي الله عنها (٤) وحذيفةبن اليمان (٥) وحبشي بن جُنادة (٧) وجرير (٨).

وأخرج أحمد، عن عليّ (٩) وأبو أيّوب الأنصاريّ (١٠) وعمروبن مرّة (١١) وزيدبن أرقم (١٢) وثلاثون رجلاًمن الصحابة (١٣) والبُراء عن ابن عبّاس (١٤) وعُمارة (١٥) وبُرَيدة (١٦) وأبو يَعلىٰ، عن أبي هريرة (١٧) وابن أبي شيبة عنه، وعن اثني عشرمن الصحابة، والطبرانيّ (١٨) عن سعدبن أبي وقّاص (١٩) وعبداللهبن عمر (٢٠) وأبي أيّوب الأنصاريّ (٢١) وأنس بن مالك (٢٢) ومالكبن الحُوَيرث والحاكم عن عليّ (٢٣) وطلحة، وأبو نُعَيم، من (فضائل الصحابة) (٢٤) عن سعد (٢٥) والخطيب البغداديّ عن أنس (٢٦)، أنّ رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم قال بغدير خمّ: «**مَن كنتُ مَولاه فعليٌّ مولاه، اللّهمّ والِ مَن والاه**»[3].

أقول: آخرج الحفّاظ متواتراً قولَه صلّى الله عليه وآله يوم الغدير: «مَن كنتُ مَولاه فعليٌّ مولاه»، ولم يتكلّم في الصحّة إلّا متعصّب جاحد لا اعتبار بقوله كالرازيّ وابن تيمية وغيرهما، ولمزيد التحقيق يراجع ما رواه حفّاظهم.

---

١. تفسير الدرّ المنثور ٢: ٢٥٩.
٢. جواهر العقدين / القسم الثاني، الجزء الأول الذكر الرابع ص٧٣ و ٨٠ و ٨٣ و ٨٧ و ٨٨ و ٨٩ مخطوط.
٣. نُزُل الأبرار: ٥١.

وقال العلّامة السيّد محمّد حسين الطباطبائيّ في تفسير قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾:

أمرُ الآية في حلولها محلَّها ثمّ في دلالتها عجيب؛ فإنّك إذا تأملت صدر الآية أعني قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ ـ إلى قوله: ـ ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾، وأضفت إليه ذيلها أعني قوله: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وجدتَه كلاماً تامّاً غير متوقّف في تمام معناه، وإفادة المراد منه إلىٰ شيء من قوله: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾ (إلخ) أصلا، وألفيتَه آيةً كاملةً مماثلةً لِما تقدّم عليها في النزول من الآيات الواقعة في سورة الأنعام والنحل والبقرة المبيِّنة لمحرمات الطعام، ففي سورة البقرة: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ويماثله ما في سورتي الأنعام و النحل.

وينتج ذلك أنّ قوله: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (إلخ) كلامٌ معترض موضوع في وسط هذه الآية غير متوقّف عليه لفظ الآية في دلالتها وبيانها، سواء قلنا: إنّ الآية نازلة في وسط الآية فتخلّلت بينهما من أول ما نزلت، أو قلنا إن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم هو الذي أمر كتّاب الوحي بوضع الآية في هذا الموضع مع انفصال الآيتين واختلافهما نزولاً. أو قلنا: إنّها موضوعة في موضعها الذي هي فيه عند التأليف من غير أن تصاحبها نزولاً، فإنّ شيئاً من هذه الإحتمالات لا يؤثّر أثراً فيما ذكرناه من كون هذا الكلام المتخلّل معترضا إذا قِيس إلىٰ صدر الآية و ذيلها.

ويؤيد ذلك أنّ جُلّ الروايات الواردة في سبب النزول ـ لو لم يكن

كلّها، وهي أخبار جمّة ـ يخصّ قوله: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (إلخ) بالذكر من غير أن يتعرّض لأصل الآية أعني قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾، أصلاً، وهذا يؤيّد أيضا نزول قوله: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ﴾ (إلخ) نزولاً مستقلّاً منفصلاً عن الصدر و الذيل، وأنّ وقوع الآية في وسط الآية مستند إلىٰ تأليف النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أو إلى تأليف المؤلّفين بعده.

ويؤيّده ما رواه في الدرّ المنثور عن عبد بن حميد عن الشعبيّ قال: نزل على النبي صلّى الله عليه [وآله] وسلّم هذه الآية ـ و هو بعرفة ـ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ وكان إذا أعجبَتْه آيات جعلهنّ صدر السورة، قال: وكان جبرئيل يعلّمه كيف ينسك.

ثمّ إنّ هاتين الجملتين أعني قوله: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾ وقوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ متقاربتان مضمونا، مرتبطتان مفهوما بلا ريب، لظهور مابين يأس الكفّار من دين المسلمين وبين إكمال دين المسلمين من الإرتباط القريب، وقبول المضمونين لأن يمتزجا فيتركّبا مضموناً واحداً مرتبطَ الأجزاء، متّصلَ الأطراف بعضها ببعض، مضافاً إلىٰ مابين الجملتين من الإتّحاد في السياق.

ويؤيّد ذلك ما نرى أنّ السلف و الخلف من مُفسّري الصحابة والتابعين والمتأخّرين إلىٰ يومنا هذا أخذوا الجملتين متّصلتين يُتمّ بعضُهما بعضا؛ وليس ذلك إلّا لأنّهم فهموا من هاتين الجملتين ذلك، وبنَوا علىٰ نزولهما معا، واجتماعِهما من حيث الدلالة علىٰ مدلولٍ واحد.

وينتج من ذلك أنّ هذه الآية المعترضة أعني قوله: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ

الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ ـ إلى قوله : ـ وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً ﴾ كلامٌ واحد متّصلٌ بعضُ أجزائه ببعض ، مَسوق لغرضٍ واحد ، قائم بمجموع الجملتين من غير تشتّت ، سواءٌ قلنا بارتباطه بالآية المحيطة بها أو لم نقل ، فإنّ ذلك لا يؤثّر البتّة في كون هذا المجموع كلاما واحدا معترضا لا كلامين ذوَي غرضَين ، وأنّ اليوم المتكرّر في قوله : ﴿ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ، وفي قوله : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ ، أريد به يومٌ واحد يَئِس فيه الكفّار وأُكمل فيه الدِّين .

ثمّ ما المراد بهذا اليوم الواقع في قوله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ ﴾ ؟ فهل المراد به زمان ظهور الإسلام ببعثة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ودعوته فيكون المراد أنّ الله أنزل إليكم الإسلام ، وأكمل لكم الدين وأتمّ عليكم النعمة وأيْأسَ منكم الكفّار ؟

لا سبيلَ إلىٰ ذلك ؛ لأنّ ظاهر السياق أنّه كان لهم دِين كان الكفار يطمعون في إبطاله أو تغييره ، وكان المسلمون يخشَونهم علىٰ دِينهم ، فأيأسَ اللهُ الكافرين ممّا طمِعُوا فيه وآمن المسلمين ، وأنه كان ناقصا فأكملَه الله وأتمّ نعمته عليهم ، ولم يكن لهم قبلَ الإسلام دِين حتّىٰ يطمع فيه الكفّار أو يُكمله الله ويتمّ نعمته عليهم .

علىٰ أنّ لازم ما ذُكر من المعنى أن يتقدّم قوله : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ ﴾ ، على قوله : ﴿ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ، حتّىٰ يستقيم الكلام في نظمه .

أو أنّ المراد باليوم هو ما بعد فتح مكّة ، حيث أبطل الله فيه كيدَ مشركي قريش و أذهب شوكتهم ، وهدم فيه بنيان دِينهم ، وكسر أصنامهم فانقطع رجاؤهم أن يقوموا على ساق ، ويضادُّوا الإسلام ويمانعوا نفوذ أمره و انتشار صِيته ؟

لا سبيل إلىٰ ذلك أيضا ؛ فإنّ الآية تدلّ على إكمال الدين وإتمام النعمة ولمّا يكمل الدين بفتح مكّة ـ وكان في السنة الثامنة من الهجرة ـ فكم من فريضة نزلت بعد ذلك ، وكم من حلالٍ أو حرام شُرِّع فيما بينه وبين رحلة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم .

علىٰ أنّ قوله : ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعمّ جميع مشركي العرب ولم يكونوا جميعا آيسين مِن دين المسلمين ، ومِن الدليل عليه أنّ كثيرا من المعارضات والمواثيق علىٰ عدم التعرّض كانت باقية بعدُ على اعتبارها واحترامها ، وكانوا يحجّون حجّة الجاهليّة علىٰ سنن المشركين ، و كانت النساء يحججن عارياتٍ مكشوفاتِ العورة حتّىٰ بعث رسولُ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عليّاً عليه السلام بآيات البراءة فأبطل بقايا رسوم الجاهليّة .

أو أنّ المراد باليوم ما بعد نزول البراءة من الزمان ، حيث انبسط الإسلام علىٰ جزيرة العرب تقريبا ، وعفت آثار الشرك ، وماتت سُنن الجاهليّة ، فما كان المسلمون يرون في معاهد الدين و مناسك الحج أحدا من المشركين ، وصفا لهم الأمر ، و أبدلهم الله بعد خوفهم أمنا يعبدونه و لا يشركون به شيئا ؟

لا سبيل إلىٰ ذلك ؛ فإنّ مشركي العرب و إن أيسوا من دِين المسلمين بعد نزول آيات البراءة وطيّ بساط الشرك من الجزيرة وإعفاء رسوم الجاهليّة ، إلاّ أنّ الدين لم يكمل بعد ، وقد نزلت فرائض وأحكام بعد ذلك ومنها ما في هذه السورة (سورة المائدة) ، وقد اتّفقوا على نزولها في آخر عهد النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ، وفيها شيء كثير من أحكام الحلال والحرام والحدود والقِصاص .

فتحصّل أنه لا سبيل إلى احتمالِ أن يكون المراد باليوم في الآية معناه الوسيع ممّا يناسب مفاد الآية بحسب بادئ النظر كزمان ظهور الدعوة الإسلاميّة أو ما بعد فتح مكّةمن الزمان، أو ما بعد نزول آيات البراءة، فلا سبيل إلّا أن يُقال: إنّ المراد باليوم يومُ نزول الآية نفسها، وهو يومُ نزول السورة إن كان قوله: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، معترضاً مرتبطاً بحسب المعنى بالآية المحيطة بها، أو بعد نزول سورة المائدة في أواخر عهد النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم؛ وذلك لمكان قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ﴾.

فهل المراد باليوم يومُ فتح مكّة بعينه؟ أو يومُ نزول البراءة بعينه؟ يكفي في فساده ما تقدّم من الإشكالات الواردة على الإحتمال الثاني و الثالث المتقدّمَين.

أو أنّ المراد باليوم هو يومُ عرفةمن حجّة الوداع، كما ذكره كثير من المفسّرين و به ورد بعض الروايات؟ فما المراد من يأس الذين كفروا يومئذ من دين المسلمين؟ فإن كان المراد باليأس من الذين يأسَ مشركي قريش من الظهور على دين المسلمين فقد كان ذلك يومَ الفتح عام ثمانية لا يوم عرفةمن السنة العاشرة، و إن كان المراد يأسَ مشركي العرب من ذلك فقد كان ذلك عند نزول البراءة و هو في السنة التاسعةمن الهجرة، و إن كان المراد به يأسَ جميع الكفّار الشامل لليهود والنصارىٰ والمجوس و غيرهم ـ و ذلك الذي يقتضيه إطلاق قوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ـ فهؤلاء لم يكونوا آيسين من الظهور على المسلمين بعد، ولمّا يظهر للإسلام قوّةٌ وشوكة وغلبة في خارج جزيرة العرب اليوم.

ومن جهة أخرى يجب أن نتأمّل فيما لهذا اليوم ـ وهو يوم عرفة تاسع ذي الحجة سنة عشر من الهجرة ـ من الشأن الذي يناسب قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ في الآية.

فربّما أمكن أن يُقال: إنّ المراد به إكمال أمر الحجّ بحضور النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بنفسه فيه، وتعليمِه الناسَ تعليما عمليّاً مشفوعا بالقول.

لكنْ فيه أنّ مجرّد تعليمه الناسَ مناسكَ حجّهم ـ وقد أمرهم بحجّ التمتّع ولم يلبث دون أن صار مهجوراً، وقد تقدّمه تشريع أركان الدين من صلاةٍ وصومٍ وحجٍّ وزكاةٍ وجهادٍ و غير ذلك ـ لا يصح أن يُسمّى إكمالاً للدين، وكيف يصحّ أن يُسمّى تعليمُ شيءٍ من واجبات الدين إكمالا لذلك الواجب فضلاعن أن يُسمّى تعليم واجب من واجبات الدين لمجموع الدين؟!

علىٰ أنّ هذا الإحتمال يوجب انقطاع رابطة الفقرة الأولىٰ، أعني قوله: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾ بهذه الفقرة، أعني قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ وأيّ ربط ليأس الكفّار عن الدين بتعليم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حجَّ التمتّع للناس؟!

وربّما أمكن أن يُقال إنّ المراد به إكمالُ الدين بنزول بقايا الحلال والحرام في هذا اليوم في سورة المائدة، فلا حلال بعده ولا حرام، وبإكمال الدين استولى اليأس على قلوب الكفّار، ولاحت آثاره على وجوههم.

لكنْ يجب أن نتبصّر في تمييز هؤلاء الكفار الذين عُبِّر عنهم في الآية بقوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ علىٰ هذا التقدير، وأنّهم مَن هم؟ فإن أُريد

بهم كفّار العرب فقد كان الإسلام عمَّهم يومئذ ولم يكن فيهم من يتظاهر بغير الإسلام وهو الإسلام حقيقة، فمن هم الكفار الآيسون؟!

وإن أُريد بهم الكفّار من غيرهم كسائر العرب من الأمم والأجيال، فقد عرفتَ آنفا أنّهم لم يكونوا آيسين يومئذ من الظهور على المسلمين.

ثمّ نتبصّر في أمر انسداد باب التشريع بنزول سورة المائدة وانقضاء يوم عرفة، فقد وردت روايات كثيرة لا يُستهان بها عددا بنزول أحكامٍ وفرائضَ بعدَ اليوم كما في آيات الربا، حتّىٰ أنّه رُوي عن عمر أنّه قال في خطبةٍ خطبها: من آخر القرآن نزولا آية الربا، وإنّه مات رسولُ الله ولم يبيّنه لنا، فدَعُوا ما يريبكم إلىٰ ما لا يريبكم، الحديث. وروى البخاريّ في الصحيح عن ابن عبّاس قال: آخر آية نزلت على النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم آيةُ الربا. إلىٰ غير ذلك من الروايات.

وليس للباحث أن يضعِّف الروايات فيقدّمَ الآية عليها؛ لأنّ الآية ليست بصريحة ولا ظاهرة في كون المراد باليوم فيها هذا اليوم بعينه، وإنما هو وجه محتمل يتوقّف في تعيّنه على انتفاء كلّ احتمال ينافيه، وهذه الأخبار لا تقصر عن الإحتمال المجرّد عن السند.

أو يُقال: إنّ المراد بإكمال الدين خلوصُ البيت الحرام لهم، وإجلاء المشركين عنه حتّى حجّه المسلمون وهم لا يخالطهم المشركون.

وفيه: أنّه قد كان صفا الأمر للمسلمين فيما ذُكر قبل ذلك بسنة،

فما معنى تقييده باليوم في قوله: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ ؟! علىٰ أنّه لو سُلِّم كون هذا الخلوص إتماما للنعمة لم يسلَّم كونه إكمالاً للدين، وأيّ معنى لتسمية خلوص البيت إكمالاً للدين، وليس الدين إلّا مجموعة من عقائد وأحكام، وليس إكماله إلّا أن يُضاف إلىٰ عدد أجزائها وأبعاضها عدد ؟! وأما صفاء الجوّ لإجرائها، وارتفاع الموانع والمزاحمات عن العمل بها، فليس يُسمّىٰ إكمالاً للدين البتّة، علىٰ أنّ إشكالَ يأسِ الكفّار عن الدين علىٰ حاله.

ويمكن أن يقال: إنّ المراد من إكمال الدين بيان هذه المحرّمات بياناً تفصيليّاً ليأخذ به المسلمون، ويجتنبوها ولا يخشَوُا الكفّارَ في ذلك، لأنّهم قد يئسوا من دينهم بإعزاز الله المسلمين، وإظهار دينهم وتغليبهم على الكفّار.

توضيح ذلك أنّ حكمة الإكتفاء في صدر الإسلام بذكر المحرّمات الأربعة، أعني المِيتةَ والدم ولحم الخنزير وما أهِلّ لغير الله به، الواقعة في بعض السور المكّيّة وترك تفصيل ما يندرج فيها ممّا كرهه الإسلام للمسلمين من سائر ما ذُكر في هذه الآية إلىٰ ما بعد فتح مكّة، إنّما هي التدرّج في تحريم هذه الخبائث والتشديد فيها كما كان التدريج في تحريم الخمر لئلا ينفر العرب من الإسلام، ولا يَرَوا فيه حَرَجاً يرجون به رجوع من آمن مَن فقرائهم وهم أكثر السابقين الأوّلين.

جاء هذا التفصيل للمحرّمات بعد قوّة الإسلام، وتوسعةِ الله علىٰ أهله وإعزازهم وبعد أن يئس المشركون بذلك من نفور أهله منه، وزال طمعهم في الظهور عليهم، وإزالة دينهم بالقوة القاهرة، فكان

المؤمنون أجدرَ بهم أن لا يبالوهم بالمداراة، ولا يخافوهم على دينهم وعلى أنفسهم.

فالمراد باليوم يومُ عرفة من عام حجّة الوداع، وهو اليوم الذي نزلت فيه هذه الآية المُبيّنة لِما بقيَ من الأحكام التي أبطل بها الإسلام بقايا مهانة الجاهليّة وخبائثها وأوهامها، والمبشّرة بظهور المسلمين على المشركين ظهورا تامّاً لا مطمعَ لهم في زواله، ولا حاجة معه إلىٰ شيءٍ من مداراتهم أو الخوف من عاقبة أمرهم.

فالله سبحانه يُخبرهم في الآية أنّ الكفّار أنفسهم قد يَئِسوا من زوال دِينهم، وأنّه ينبغي لهم ـ وقد بدّلهم بضعفهم قوة، وبخوفهم أمناً، وبفقرهم غنىً ـ أن لا يخشَوا غيرَه تعالى، وينتهوا عن تفاصيل ما نهى الله عنه في الآية، ففيها كمال دِينهم.. كذا ذكره بعضهم بتلخيص ما في النقل.

وفيه: أنّ هذا القائل أراد الجمع بين عدّةٍ من الإحتمالات المذكورة، ليدفع بكلّ احتمال ما يتوجّه إلى الإحتمال الآخر من الإشكال، فتورّط بين المحاذير برمّتها وأفسد لفظ الآية ومعناها جميعا.

فذُهل عن أنّ المراد باليأس إن كان هو اليأس المستند إلىٰ ظهور الإسلام وقوّته، وهو ما كان بفتح مكّة أو بنزول آيات البراءة لم يصحّ أن يُقال يومَ عرفة من السنة العاشرة: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ﴾ وقد كانوا يئسوا قبل ذلك بسنة أو سنتين، وإنّما اللّفظ الوافي له أن يُقال: قد يَئِسوا، كما عبّر به القائل نفسه في كلامه في توضيح المعنى أو يقال: إنّهم آيسون.

وذُهل عن أنّ هذا التدرّج الذي ذكره في محرّمات الطعام، وقاس تحريمها بتحريم الخمر إن أريد به التدرّج من حيث تحريم بعض الأفراد بعد بعض، فقد عرفتَ أنّ الآية لا تشتمل على أزيد ممّا تشتمل عليه آيات التحريم السابقة نزولا على هذه الآية، أعني آيات البقرة والأنعام والنحل، وأنّ المنخنقة والموقوذة (إلخ) مِن أفراد ما ذُكر فيها.

وإن أريد به التدرّج من حيث البيان الإجماليّ والتفصيليّ خوفاً من امتناع الناس من القبول، ففي غير محلّه، فإنّ ما ذُكر بالتصريح في السور السابقة على المائدة، أعني المِيتة والدم ولحم الخنزير وما أهِلّ لغير الله به، أغلبُ مصداقا، وأكثرُ ابتلاءً، وأوقع في قلوب الناس من أمثال المنخنقة والموقوذة وغيرها، وهي أمور نادرة التحقّق وشاذّة الوجود، فما بال تلك الأربعة وهي أهمّ وأوقع وأكثر يصرح بتحريمها من غير خوف من ذلك ثمّ يتّقي مِن ذكرها ما لا يعبأ بأمره بالإضافة إليها فيتدرّج في بيان حرمتها، ويخاف من التصريح بها ؟!

علىٰ أنّ ذلك لو سُلّم لم يكن إكمالا للدين، وهل يصحّ أن يُسمّىٰ تشريع الأحكام ديناً وإبلاغها وبيانها إكمالاً للدين ؟! ولو سُلّم فإنّما ذلك إكمال لبعض الدين وإتمام لبعض النعمة لا للكلّ والجميع، وقد قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ فأطلق القولَ مِن غير تقييد.

علىٰ أنّه تعالى قد بيّن أحكاما كثيرة في أيّامٍ كثيرة، فما بال هذا الحُكم في هذا اليوم خُصّ بالمزيّة فسمّاه الله أو سمى بيانَه تفصيلاً بإكمال الدين وإتمام النعمة ؟!

أو أنّ المراد بإكمال الدين إكمالُه بسدّ باب التشريع بعد هذه الآية المبينة لتفصيل محرّمات الطعام، فما شأن الأحكام النازلة مابين نزول المائدة ورحلة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم؟! بل ما شأن سائر الأحكام النازلة بعد هذه الآية في سورة المائدة؟! تأمّل فيه.

وبعد ذلك كلّه، ما معنى قوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾ ـ وتقديره: اليومَ رَضِيتُ (إلخ) ـ لو كان المراد بالكلام الإمتنانَ بما ذُكر في الآيةمن المحرّمات يومَ عرفةمن السنة العاشرة؟! وما وجه اختصاص هذا اليوم بأنّ الله سبحانه رضيَ فيه الإسلامَ دِيناً، ولا أمرَ يختصّ به اليوم ممّا يناسب هذا الرضا؟!

وبعد ذلك كلّه يَرِد علىٰ هذا الوجه أكثر الإشكالات الواردة على الوجوه السابقة أو ما يقرب منها ممّا تقدّم بيانُه، ولا نطيل بالإعادة.

أو أنّ المراد باليوم واحدٌمن الأيّام التيبين عرفةوبين ورود النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم المدينةَ علىٰ بعض الوجوه المذكورة في معنىٰ يأس الكفّار ومعنى إكمال الدين.

وفيهمن الإشكال ما يَرِد علىٰ غيره على التفصيل المتقدّم.

فهذا شطرمن البحثعن الآية بحسب السير فيما قيل أويمكن أن يقال في توجيه معناها، ولنبحث عنهامن طريق آخر يناسب طريق البحث الخاصّ بهذا الكتاب.

قوله: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ﴾ ـ واليأس يقابل الرجاء، والدين إنما نزلمن عند الله تدريجًا ـ يدلّ علىٰ أنّ الكفّار قد كان لهم مطمع فيدين المسلمين وهو الإسلام، وكانوا يرجون زواله بنحو منذ عهدٍ وزمان، وأنّ أمرهم ذلك كان يهدّد الإسلام حيناً بعد

حين، وكان الدين منهم علىٰ خطر يوماً بعد يوم، وأنّ ذلك كان من حقّه أن يحذر منه ويخشاه المؤمنون.

فقوله: ﴿فَلا تَخْشَوْهُمْ﴾، تأمينٌ منه سبحانه للمؤمنين ممّا كانوا منه علىٰ خطر، ومِن تسرّ بِهِ علىٰ خَشية، قال تعالىٰ: ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾ (آل عمران: ٦٩)، وقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: ١٠٩).

والكفّار لم يكونوا يتربّصون الدوائر بالمسلمين إلّا لدينهم، ولم يكن يضيق صدورهم وينصدع قلوبهم إلّا من جهة أنّ الدين كان يذهب بسؤددهم وشرفهم واسترسالهم في اقتراف كلّ ما تهواه طباعهم، وتألفه وتعتاد به نفوسهم، ويختم على تمتّعهم بكل ما يشتهون بلا قيد وشرط.

فقد كان الدين هو المبغوضَ عندهم دون أهل الدين إلّا من جهة دينهم الحق، فلم يكن في قصدهم إبادة المسلمين وإفناء جمعهم، بل إطفاء نور الله وتحكيم أركان الشرك المتزلزلة المضطربة به، وردَّ المؤمنين كفّاراً، كما مرّ في قوله: ﴿لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً﴾ (الآية) قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (الصف: ٨ و ٩).

وقال تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (المؤمن ـ غافر ـ: ١٤).

ولذلك لم يكن لهم هَمٌّ إلّا أن يقطعوا هذه الشجرة الطيّبة من أصلها، ويهدموا هذا البنيانَ الرفيع من أسّه، بتفتين المؤمنين وتسرية النفاق في جماعتهم وبثّ الشُّبَه والخرافات بينهم لإفساد دينهم.

وقد كانوا يأخذون بادئ الأمر يُفتّرون عزيمة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ويستمحقون همّته في الدعوة الدينيّة بالمال والجاه، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هٰذا لَشَيْءٌ يُرادُ﴾ (ص: ٦)، أو بمخالطة أو مداهنة، كما يشير إليه قوله: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ (القلم: ٩)، وقوله: ﴿وَلَوْ لَا أَنْ ثَبَّتْناكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً﴾ (إسراء: ٧٤)، وقوله: ﴿قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ﴾ (الكافرون: ١ ـ ٣) على ما ورد في أسباب النزول.

وكان آخر ما يرجونه في زوال الدين، وموت الدعوة المحقّة، أنّه سيموت بموت هذا القائم بأمره ولا عَقِب له، فإنّهم كانوا يَرَون أنّه مَلِك في صورة النبوة، وسلطنة في لباس الدعوة والرسالة، فلو مات أو قُتل لَانقطع أثره ومات ذِكره وذِكرُ دينه، علىٰ ما هو المشهود عادةً من حال السلاطين والجبابرة أنّهم مهما بلغ أمرهم من التعالي والتجبّر وركوب رقاب الناس فإنّ ذكرهم يموت بموتهم، وسننهم وقوانينهم الحاكمة بين الناس وعليهم تُدفن معهم في قبورهم. يشير إلىٰ رجائهم هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ شانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ (الكوثر: ٣)، علىٰ ما ورد في أسباب النزول.

فقد كانت هذه وأمثالها أمانيَّ تُمكّن الرجاء من نفوسهم، وتُطْمعهم في إطفاء نور الدين، وتزيّن لأوهامهم أن هذه الدعوة

الطاهرة ليست إلّا أحدوثة ستكذبه المقادير ويقضي عليها ويعفو أثرها مرور الأيّام واللّيالي ،لكنّ ظهور الإسلام تدريجاً علىٰ كلٍّ ما نازله من دين وأهله ، وانتشار صيته ، واعتلاء كلمته بالشوكة والقوّة ، قضىٰ علىٰ هذه الأمانيّ ، فيئسوا من إفساد عزيمة النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ، وإيقاف همّته عند بعض ما كان يريده ، وتطميعه بمال أو جاه.

قوّة الإسلام وشوكته أيْأسَتْهم من جميع تلك الأسباب : ـ أسباب الرجاء ـ إلّا واحداً ، وهو أنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم مقطوع العَقِب لا ولد له يَخْلفه في أمره ، ويقوم علىٰ ما قام عليه من الدعوة الدينيّة ، فسيموت دينه بموته ، وذلك أنّ من البديهي أنّ كمال الدين من جهة أحكامه ومعارفه ـ وإن بلغ ما بلغ ـ لا يقوىٰ بنفسه على حفظ نفسه ، وأنّ سنّةً من السنن المحدثة والأديان المتّبعة لا تبقىٰ علىٰ نضارتها وصفائها لا بنفسها ولا بانتشار صيتها ولا بكثرة المنتحلين بها ، كما أنّها لا تنمحي ولا تنطمس بقهرٍ أو جبرٍ أو تهديدٍ أو فتنةٍ أو عذابٍ أو غير ذلك ، إلّا بموت حَمَلَتِها وحفَظَتِها والقائمين بتدبير أمرها.

ومن جميع ما تقدّم يظهر أنّ تمام يأس الكفار إنّما كان يتحقّق عند الإعتبار الصحيح بأن ينصب الله لهذا الدين مَن يقوم مقامَ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم في حفظه وتدبير أمره ، وإرشاد الأمّة القائمة به ، فيتعقّب ذلك يأسُ الذين كفروا مِن دين المسلمين لِما شاهدوا خروج الدين عن مرحلة القيام بالحامل الشخصيّ إلىٰ مرحلة القيام بالحامل النوعيّ ، ويكون ذلك إكمالاً للدين بتحويله من صفة الحدوث إلىٰ صفة البقاء ، وإتماما لهذه النعمة ، وليس يبعد أن يكون

قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: ١٠٩) باشتماله علىٰ قوله: ﴿حَتَّى يَأْتِيَ﴾، إشارة إلى هذا المعنى.

وهذا يؤيد ما ورد من الروايات أنّ الآية نزلت يومَ غدير خم، وهو اليومُ الثامن عشر مِن ذي الحجّة سنة عشرٍ من الهجرة في أمر ولاية عليّ عليه السلام، وعلىٰ هذا فترتبط الفقرتان أوضح الإرتباط، ولا يَرِد عليه شيء من الإشكالات المتقدّمة.

ثمّ إنّك بعد ما عرفتَ معنى اليأس في الآية تعرف أنّ اليوم في قوله: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾ ظرف متعلّق بقوله: «يَئِسَ»، وأنّ التقديم للدلالة علىٰ تفخيم أمر اليوم، وتعظيم شأنه، لِما فيه من خروج الدين مِن مرحلة القيام بالقيّم الشخصيّ إلىٰ مرحلة القيام بالقيّم النوعيّ، ومن صفة الظهور والحدوث إلىٰ صفة البقاء والدوام.

ولا تُقاس الآية بما سيأتي من قوله: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾ (الآية)، فإنّ سياق الآيتين مختلف، فقوله: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ﴾، في سياق الإعتراض، وقوله: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ﴾، في سياق الإستيناف، والحكمان مختلفان: فحكمُ الآية الأولىٰ تكوينيّ مشتمل على البشرىٰ من وجه والتحذير من وجه آخر، وحكمُ الثانية تشريعيّ منبئ عن الإمتنان.

فقوله: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ﴾، يدلّ علىٰ تعظيم أمر اليوم لاشتماله علىٰ خيرٍ عظيمِ الجدوىٰ، وهو يأس الذين كفروا مِن دين المؤمنين، والمراد بالذين كفروا ـ كما تقدّمت الإشارة إليه ـ مطلقُ الكفّار من الوثنيين واليهود والنصارىٰ وغيرهم؛ لمكان الإطلاق.

وأمّا قوله: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾ فالنهي إرشاديّ لا مولويّ، معناه أن لا مُوجِبَ للخشية بعد يأس الذين كنتم في معرض الخطر من قِبلِهم ـ ومن المعلوم أنّ الإنسان لا يهمّ بأمر بعد تمام اليأس من الحصول عليه ولا يسعى إلىٰ ما يعلم ضلال سعيه فيه ـ فأنتم في أمن مِن ناحية الكفّار، ولا ينبغي لكم مع ذلك الخشيةُ منهم علىٰ دِينكم، فلا تخشَوهم واخشَوني.

ومِن هنا يظهر أنّ المراد بقوله: «وَاخْشَوْنِ» بمقتضى السياق أنِ آخشَوني فيما كان عليكم أن تخشوهم فيه لو لا يأسُهم، وهو الدين ونزعه من أيديكم، وهذا نوعُ تهديدٍ للمسلمين كما هو ظاهر، ولهذا لم نحمل الآية على الإمتنان.

ويؤيّد ما ذكرنا أنّ الخشية من الله سبحانه واجبٌ علىٰ أي تقدير من غير أن يتعلّق بوضعٍ دون وضع، وشرطٍ دون شرط، فلا وجه للإضراب من قوله: «فَلَا تَخْشَوْهُمْ» إلى قوله: «وَاخْشَوْنِ» لو لا أنّها خشية خاصّة في موردٍ خاصّ.

ولا تُقاس الآية بقوله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٧٥)؛ لأنّ الأمر بالخوف من الله في تلك الآية مشروط بالإيمان، والخطاب مولويّ، ومفاده أنّه لا يجوز للمؤمنين أن يخافوا الكفّارَ علىٰ أنفسهم، بل يجب أن يخافوا اللهَ سبحانه وحدَه.

فالآية تنهاهم عمّا ليس لهم بحقّ وهو الخوف منهم علىٰ أنفسهم، سواءٌ أمِروا بالخوف من الله أم لا، ولذلك يعلّل ثانياً الأمرَ بالخوف من الله بقيدٍ مُشعرٍ بالتعليل، وهو قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، وهذا بخلاف قوله: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾ فإنّ خشيتهم هذه خشية منهم علىٰ

دِينهم، وليست بمبغوضة لله سبحانه لرجوعها إلى ابتغاء مرضاته بالحقيقة، بل إنّما النهي عنها لكون السببَ الداعي إليها ـ وهو عدم يأس الكفّار منه ـ قد ارتفع وسقط أثرُه، فالنهي عنه إرشاديّ، فكذا الأمر بخشية الله نفسه، ومفاد الكلام أنّ من الواجب أن تخشَوا في أمر الدين، لكنّ سبب الخشية كان إلى اليوم مِن الكفّار، فكنتم تخشَونهم لرجائهم في دينكم، وقد يئسوا اليومَ وانتقل السبب إلىٰ ما عند الله فاخشَوه وحده.. فافهمْ ذلك.

فالآية لمكان قوله: ﴿فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾ لا تخلو عن تهديدٍ وتحذير؛ لأنّ فيه أمرا بخشيةٍ خاصّة دون الخشية العامّة التي تجب على المؤمن علىٰ كلّ تقدير وفي جميع الأحوال، فلننظرْ في خصوصيّة هذه الخشية، وأنّه ما هو السبب الموجب لوجوبها والأمر بها؟

لا إشكال في أنّ الفقرتين، أعني قولَه: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ﴾، وقوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾، في الآية مرتبطانِ مَسوقتان لغرضٍ واحد، وقد تقدّم بيانه، فالدين الذي أكمله الله اليوم، والنعمة التي أتمّها اليوم ـ وهما أمرٌ واحد بحسب الحقيقة ـ هو الذي كان يطمع فيه الكفّار ويخشاهم فيه المؤمنون، فأَيْأسهمُ اللهُ منه وأكمله وأتمّه، ونهاهم عن أن يخشوهم فيه، فالذي أمرَهم بالخشية من نفسه فيه هو ذاك بعينه وهو أن ينزع الله الدين مِن أيديهم، ويسلبهم هذه النعمة الموهوبة.

وقد بين الله سبحانه أنْ لا سبب لسلب النعمة إلّا الكفر بها، وهدّد الكفورَ أشدَّ التهديد، قال تعالى: ﴿ذٰلِكَ بِأَنَّ اللّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا

عَلىٰ قَوْمٍ حَتّٰى يُغَيِّرُوا مٰا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللّٰهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأنفال : ٥٣) ، وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللّٰهِ مِنْ بَعْدِ مٰا جٰاءَتْهُ فَإِنَّ اللّٰهَ شَدِيدُ الْعِقٰابِ ﴾ (البقرة : ٢١١) ، وضرب مثلا كلّيّاً لِنعمِه وما يؤول إليه أمر الكفر بها فقال ﴿ وَضَرَبَ اللّٰهُ مَثَلًا قَرْيَةً كٰانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهٰا رِزْقُهٰا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكٰانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّٰهِ فَأَذٰاقَهَا اللّٰهُ لِبٰاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمٰا كٰانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ (النحل : ١١٢).

فالآية ، أعني قوله : ﴿ الْيَوْمَ يَئِسَ ـ إلى قوله ـ دِيناً ﴾ تُؤْذن بأنّ دين المسلمين في أمن من جهة الكفّار ، مَصونٌ من الخطر المتوجّه مِن قِبلهم ، وأنّه لا يتسرّب إليه شيء من طوارق الفساد والهلاك إلّا مِن قِبل المسلمين أنفسهم ، وأنّ ذلك إنّما يكون بكفرهم بهذه النعمة التامّة ، ورفضِهم هذا الدينَ الكامل المرضيّ ، ويومئذ يسلبهم الله نعمته ويغيّرها إلى النقمة ، ويُذيقهم لباسَ الجوع والخوف ، وقد فعلوا وفعل !

ومَن أراد الوقوف على مبلغ صدق هذه الآية في ملحمتها المستفادة من قوله : ﴿ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ ﴾ فعليه أن يتأمّل فيما استقرّ عليه حال العالم الإسلاميّ اليوم ، ثمّ يرجع القهقرىٰ بتحليل الحوادث التاريخيّة حتّى يحصل علىٰ أصول القضايا وأعراقها.

ولآياتِ الولاية في القرآن ارتباط تامّ بما في هذه الآية من التحذير والإيعاد ولم يحذّر الله العبادَ عن نفسه في كتابه إلّا في باب الولاية ، فقال فيها مرّةً بعد مرّة : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللّٰهُ نَفْسَهُ ﴾ (آل عمران : ٢٨ ، ٣٠) وتعقيب هذا البحث أزيد من هذا خروج عن طور الكتاب.

قوله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ

الْإِسْلَامَ دِيناً﴾ الإكمال والإتمام متقاربا المعنى، قال الراغب: كمال الشيء حصولُ ما هو الغرض منه. وقال: تمام الشيء انتهاؤه إلىٰ حدٍّ لا يحتاج إلىٰ شيء خارجٍ عنه. والناقص ما يحتاج إلىٰ شيء خارجٍ عنه.

ولك أن تحصل علىٰ تشخيص معنى اللّفظَين من طريق آخر، وهو أنّ آثار الأشياء التي لها آثار علىٰ ضَرْبَيْن: فضربٌ منها ما يترتّب على الشيء عند وجود جميع أجزائه ـ إن كان له أجزاء ـ بحيث لو فقد شيئا من أجزائه أو شرائطه لم يترتّب عليه ذلك الأمر، كالصوم، فإنّه يفسد إذا أخلَّ بالإمساك في بعض النهار، ويُسمّى كون الشيء علىٰ هذا الوصف بالتمام، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ (البقرة: ١٨٧) وقال: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً﴾ (الأنعام: ١١٥).

وضربٌ آخر: الأثر الذي يترتّب على الشيء مِن غير توقّفٍ علىٰ حصول جميع أجزائه، بل أثر المجموع كمجموع آثار الأجزاء، فكلّما وُجد جزء ترتّب عليه من الأثر ما هو بحسبه، ولو وجد الجميع ترتّب عليه كلّ الأثر المطلوب منه، قال تعالى: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ (البقرة: ١٩٦)، وقال: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾ (البقرة: ١٨٥)، فإنّ هذا العدد يترتّب الأثر علىٰ بعضه كما يترتّب علىٰ كلّه، ويُقال: تمّ لفلانٍ أمرُه، وكمُلَ عقلُه، ولا يُقال تم عقلُه وكمل أمره.

وأمّا الفَرق بين الإكمال والتكميل، وكذا بين الإتمام والتتميم، فإنّما هو الفرق بين بابَي الإفعال والتفعيل، وهو أنّ الإفعال بحسب الأصل يدلّ على الدفعة والتفعيل على التدريج، وإن كان التوسّع

الكلاميّ أو التطوّر اللّغويّ ربّما يتصرّف في البابَين بتحويلهما إلىٰ ما يبعد مِن مجرى المجرّد أو من أصلهما، كالإحسان والتحسين، والإصداق والتصديق، والإمداد والتمديد، والإفراط والتفريط، وغير ذلك، فإنّما هي معانٍ طرأت بحسب خصوصيّات الموارد ثمّ تمكّنت في اللّفظ بالاستعمال.

وينتج مِمّا تقدّم أنّ قوله: ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ يفيد أنّ المراد بالدِّين هو مجموعُ المعارف والأحكام المشرعة، وقد أضيف إلىٰ عددها اليوم شيء، وأنّ النعمة أيّاً مّا كانت، أمرٌ معنويٌّ واحد، كأنّه كان ناقصا غيرَ ذي أثر فتُمّم وترتّب عليه الأثر المتوقَّع منه.

والنعمة بناءُ نوع وهي ما يلائم طبع الشيء من غير امتناعه منه، والأشياء وإن كانت بحسب وقوعها في نظام التدبير متّصلة مرتبطة متلائماً بعضُها مع بعض، وأكثرها أو جميعها نِعمٌ إذا أضِيفت إلىٰ بعضٍ آخر مفروض كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللّٰهِ لَا تُحْصُوهٰا﴾ (إبراهيم: ٣٤) وقال: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظٰاهِرَةً وَبٰاطِنَةً﴾ (لقمان: ٢٠).

إلّا أنّه تعالىٰ وصف بعضها بالشرّ والخِسّة واللّعِب واللّهو، وأوصافٍ أخَر غير ممدوحة كما قال: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمٰا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمٰا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدٰادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذٰابٌ مُهِينٌ﴾ (آل عمران: ١٧٨)، وقال: ﴿وَمٰا هٰذِهِ الْحَيٰاةُ الدُّنْيٰا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدّٰارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوٰانُ﴾ (العنكبوت: ٦٤)، وقال: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلٰادِ مَتٰاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوٰاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهٰادُ﴾ (آل عمران: ١٩٧) إلى غير ذلك.

والآيات تدلّ على أنّ هذه الأشياء المعدودة نِعماً إنّما تكون نعمةً إذا وافقت الغرضَ الإلهيّ من خلقتها لأجل الإنسان، فإنّها إنّما خُلِقت لتكون إمدادا إلهيّاً للإنسان يتصرّف فيها في سبيل سعادته الحقيقيّة، وهي القرب منه سبحانه بالعبوديّة، والخضوع للربوبيّة، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦).

فكلّ ما تصرّف فيه الإنسان للسلوك به إلىٰ حضرة القرب من الله وابتغاء مرضاته فهو نعمة، وإن انعكس الأمر عاد نقمة في حقّه، فالأشياء في نفسها عُزل، وإنّما هي نعمة لاشتمالها علىٰ روح العبوديّة، ودخولهامن حيث التصرّف المذكور تحت ولاية الله التي هي تدبير الربوبيّة لشؤون العبد، ولازمُه أنّ النعمة بالحقيقة هي الولاية الإلهيّة، وأن الشيء إنّما يصير نعمة إذا كان مشتملاً علىٰ شيء منها، قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (البقرة: ٢٥٧)، وقال تعالى: ﴿ذٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ (محمد: ١١)، وقال في حقّ رسوله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ (النساء: ٦٥)، إلىٰ غير ذلك.

فالإسلام وهو مجموع ما نزل من عند الله سبحانه ليعبده به عبادُه دِين، وهو من جهة اشتماله ـ من حيث العمل به ـ على ولاية الله وولاية رسوله وأولياء الأمر بعده نعمة.

ولا تتمّ ولاية الله سبحانه أي تدبيره بالدين لأمور عباده إلّا بولاية رسوله، ولا ولاية رسوله إلّا بولاية أولي الأمر من بعده، وهي تدبيرهم لأمور الأمّة الدينيّة بإذن من الله، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

آمَنُوا أَطِيعُوا اللّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ (النساء: ٥٩)، وقد مرّ الكلام في معنى الآية، وقال: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ (المائدة: ٥٥)، وسيجيء الكلام في معنى الآية إن شاء الله تعالى.

فمحصَّل معنى الآية: اليومَ ـ وهو اليومُ الذي يَئِس فيه الذين كفروا مِن دِينكم ـ أكملتُ لكم مجموعَ المعارف الدينيّة التي أنزلتُها إليكم بفرض الولاية، وأتممتُ عليكم نعمتي وهي الولاية التي هي إدارة أمور الدين وتدبيرها تدبيرا إلهيّا، فإنّها كانت إلى اليوم ولاية الله ورسوله، وهي إنّما تكفي ما دام الوحي ينزل، ولا تكفي لما بعد ذلك من زمان انقطاع الوحي، ولا رسولَ بين الناس يحمي دينَ الله ويذبّ عنه، بل من الواجب أن ينصب مَن يقوم بذلك، وهو وليّ الأمر بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم القيّم على أمور الدِّين والأمّة.

فالولاية مشروعة واحدة، كانت ناقصة غير تامّة، حتّى إذا تمّت بنصب وليّ الأمر بعد النبيّ.

وإذا كمل الدين في تشريعه، وتمّت نعمة الولاية، فقد رضيتُ لكم من حيث الدين الإسلامَ الذي هو دين التوحيد الذي لا يُعبَد فيه إلّا الله، ولا يطاع فيه ـ والطاعة عبادة ـ إلّا الله، ومن أمر بطاعته من رسول أو وليّ.

فالآية تنبئ عن أنّ المؤمنين اليوم في أمنٍ بعد خوفهم، وأنّ الله رضي لهم أن يتدينوا بالإسلام الذي هو دين التوحيد، فعليهم أن يعبدوه ولا يُشركوا به شيئا بطاعة غير الله أو من أمر بطاعته. وإذا تدبّرت قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذٰلِكَ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (النور: ٥٥)، ثم طبّقتَ فقرات الآية على فقرات قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾ (إلخ) وجدتَ آية سورة المائدة من مصاديق إنجاز الوعد الذي تشتمل عليه آية سورة النور على أن يكون قوله: ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً﴾ مَسوقاً سَوق الغاية كما ربّما يشعر به قوله: ﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذٰلِكَ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

وسورة النور قبل المائدة نزولا كما يدلّ عليه اشتمالها علىٰ قصّة الإفك وآية الجَلد وآية الحجاب وغير ذلك....

بحث روائي

في غاية المرام، عن أبي المؤيّد موفّق بن أحمد في كتاب فضائل عليّ، قال: أخبرني سيّد الحفّاظ شهردار بن شيرويه بن شهردار الديلميّ فيما كتب إليّ من همدان، أخبرنا أبو الفتح عبدوس بن عبد الله بن عبدوس الهمدانيّ كتابة، حدّثنا عبد الله بن إسحاق البغويّ، حدّثنا الحسين بن عليل الغنويّ، حدّثنا محمّد بن عبد الرحمن الزرّاع، حدّثنا قيس بن حفص، حدّثنا عليّ بن الحسين، حدّثنا أبو هريرة عن أبي سعيد الخدريّ: أن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم يوم دعا الناس إلى غدير خم ـ أمر بما تحت الشجرة من شوك فقُمَّ، وذلك يوم الخميس ـ يوم دعا الناس إلى عليّ وأخذ بضبعه ـ ثمّ رفعها حتّى نظر الناس إلى بياض إبطيه ـ ثمّ لم يفترقا حتّى نزلت هذه الآية:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾

فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «**الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضا الرب برسالتي والولاية لعليّ**»، ثمّ قال: «**اللّهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله**».

وقال حسّان بن ثابت: أتأذن لي يا رسول الله أن أقول أبياتاً؟ قال: «**قل ينزله الله تعالى**»، فقال حسّان بن ثابت:

يناديهم يوم الغدير نبيّهم
بخمٍّ وأسمِع بالنبيّ مناديا

بأنّي مولاكم نعم ووليّكم
فقالوا ولم يُبدو هناك التعاميا

إلهك مولانا وأنت ولينا
ولا تجدن في الخلق للأمر عاصيا

فقال له قُمْ يا عليّ فإنّني
رضيتك من بعدي إماما وهاديا

وعن كتاب نزول القرآن، في أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب للحافظ أبي نعيم رفعه إلى قيس بن الربيع، عن أبي هارون العبديّ، عن أبي سعيد الخدريّ: مثله، وقال في آخر الأبيات:

فمن كنت مولاه فهذا وليّه
فكونوا له أنصار صدق مواليا

هناك دعا اللّهمّ وال وليّه
وكن للذي عادى عليّاً معاديا

وعن نزول القرآن، أيضا يرفعه إلى عليّ بن عامر عن أبي الحجاف

عن الأعمش عن عضة قال: نزلت هذه الآية على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في عليّ بن أبي طالب: ﴿يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ وقد قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾ ....

وعن المناقب الفاخرة، للسيّد الرضي ـ رحمه الله ـ عن محمّد بن إسحاق، عن أبي جعفر، عن أبيه عن جدّه قال: «**لمّا انصرف رسول الله** صلّى الله عليه وآله وسلّم **من حجّة الوداع نزل أرضاً يقال له: ضوجان، فنزلت هذه الآية: ﴿يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ - وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَاللّٰهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النّاسِ﴾ فلمّا نزلت عصمته من الناس نادى: الصلاة جامعة فاجتمع الناس إليه، وقال: من أولىٰ منكم بأنفسكم: فضجّوا بأجمعهم فقالوا: الله ورسوله فأخذ بيد عليّ بن أبي طالب، وقال: من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، لأنّه منّي وأنا منه، وهو منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبي بعدي ـ وكانت آخر فريضة فرضها الله تعالى على أمّة محمّد ـ ثمّ أنزل الله تعالى على نبيه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾**».

قال أبو جعفر: «**فقبلوا من رسول الله** صلّى الله عليه وآله وسلّم **كلّ ما أمرهم الله من الفرائض في الصلاة والصوم والزكاة والحج، وصدّقوه على ذلك**».

وعن المناقب، لابن المغازليّ يرفعه إلى أبي هريرة قال: من صام يوم ثمانية عشر من ذي الحجة كتب الله له صيام ستّين شهراً، وهو يوم غدير خمّ، بها أخذ النبيّ بيعة عليّ بن أبي طالب، وقال: من كنت

مولاه فعليّ مولاه اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره، فقال له عمر بن الخطاب: بخّ بخّ لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة، فأنزل الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ﴾ ....

فظهر أنّ هذه الأحاديث الدالّة علىٰ نزول الآية في مسألة الولاية ـ وهي تزيد على عشرين حديثا من طرق أهل السنّة والشيعة ـ مرتبطةٌ بما ورد في سبب نزول قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ الآية (المائدة: ٦٧) وهي تربو على خمسة عشر حديثاً رواها الفريقان، والجميع مرتبط بحديث الغدير: «مَن كنتُ مَولاه فعليٌّ مولاه»، وهو حديث متواتر مرويّ عن جمٍّ غفير من الصحابة، إعترف بتواتره جمع كثير من علماء الفريقَين.

ومن المتّفَق عليه أنّ ذلك كان في منصرف رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من مكّة إلى المدينة. وهذه الولاية (لو لم تُحمَل على الهزل والتهكّم) فريضة من الفرائض كالتوليّ والتبرّي اللذَينِ نصّ عليهما القرآن في آيات كثيرة، وإذا كان كذلك لم يَجُزْ أن يتأخر جعلُها نزول الآية، أعني قولَه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ﴾، فالآية إنّما نزلت بعد فرضها من الله سبحانه، ولا اعتماد علىٰ ما يُنافي ذلك من الروايات لو كانت منافية.

وأمّا ما رواه بعضُ العامّة أنّ الآية نَزلت يوم عَرفة فقد عرفت ما ينبغي أن يُقال فيها، غيرَ أن هاهنا أمراً يجب التنبّه له، وهو أنّ التدبّر في الآيتين الكريمتين: ﴿يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ﴾ (الآية) على ما سيجيء من بيان معناه، وقوله:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ (الآية) والأحاديث الواردة من طُرق الفريقين فيهما وروايات الغدير المتواترة، وكذا دراسة أوضاع المجتمع الإسلاميّ الداخليّة في أواخر عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم والبحث العميق فيها، يُفيد القطعَ بأنّ أمر الولاية كان نازلاً قبل يوم الغدير بأيّام، وكان النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم يتّقي الناسَ في إظهاره، ويخاف أن لا يتلقّوه بالقبول أو يسيئوا القصد إليه فيختلّ أمر الدعوة، فكان لا يزال يؤخّر تبليغه الناسَ مِن يومٍ إلىٰ غد حتّى نزل قوله: ﴿يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ﴾ (الآية) فلم يُمهَل في ذلك.

وعلىٰ هذا فمِن الجائز أن يُنزل الله سبحانه معظم السورة وفيه قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ (الآية) ويُنزل معه أمرَ الولاية كلّ ذلك يومَ عرفة، فأخّر النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بيانَ الولاية إلىٰ غدير خمّ، وقد كان تلا آيتها يوم عرفة وأمّا اشتمال بعض الروايات علىٰ نزولها يومَ الغدير فليس من المُستبعَد أن يكون ذلك لتلاوته صلّى الله عليه وآله وسلّم الآيةَ مُقارنةً لتبليغ أمر الولاية لكونها في شأنها.

وعلىٰ هذا فلا تَنافيَ بين الروايات، أعني ما دلّ علىٰ نزول الآية في أمر الولاية، وما دلّ على نزولها يومَ عرفة، كما رُوي عن عمرَ وعليٍّ ومعاوية وسَمُرة، فإنّ التنافي إنّما كان يتحقّق لو دلّ أحد القبيلَين على النزول يومَ غدير خمّ، والآخر على النزول علىٰ يوم عرفة.

وأمّا ما في القبيل الثاني من الروايات أنّ الآية تدلّ علىٰ كمال الدين بالحجّ وما أشبهه، فهومِن فهم الراوي لا ينطبق به الكتاب ولا بيانٌ مِن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم يُعتمَد عليه.

وربّما استُفيد هذا الذي ذكرناه ممّا رواه العيّاشيّ في تفسيره، عن جعفربن محمّدبن محمّد الخزاعيّ عن أبيه قال: سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: «لمّا نزل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عرفات يوم الجمعة أتاه جبرئيل فقال له: إنّ الله يُقرئك السلامَ ويقول لك: قُلْ لأمّتك: اليومَ أكملتُ دِينكُم بولاية عليّ بن أبي طالب، وأتممتُ عليكم نِعمتي ورَضِيتُ لكمُ الإسلامَ دِيناً، ولست أُنزل عليكم بعد هذا، قد أنزلتُ عليكم الصلاة والزكاة والصوم والحجّ، وهي الخامسة، ولستُ أقبل عليكم بعد هذه الأربعة إلّا بها».

علىٰ أنّ فيما نُقل عن عمرمن نزول الآية يومَ عرفة إشكالاً آخر، وهو أنّها جميعا تذكر أنّ بعض أهل الكتاب ـ وفي بعضها: أنّه كعب ـ قال لعمر: إنّ في القرآن آيةً لو نزلت مثلُها علينا معشرَ اليهود لَاتّخذنا اليومَ الذي نزلَتْ فيه عِيدا، وهي قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ (الآية)، فقال له عمر: واللهِ إنّي لَأعلمُ اليومَ، وهو يومُ عرفةمن حجّة الوداع.

ولفظ ما رواه ابن راهَوَيه وعبدبن حميد عن أبي العالية هكذا: قال: كانوا عند عمر فذكروا هذه الآية، فقال رجل من أهل الكتاب: لو عَلِمنا أيَّ يوم نزلت هذه الآية لَاتّخذناه عيدا، فقال عمر: الحمد لله الذي جعله لنا عيداً واليوم الثاني، نزلت يوم عرفة واليوم الثاني يوم النحر، فأكمل لنا الأمرَ فعلمنا أنّ الأمر بعد ذلك في انتقاص.

وما يتضمّنه آخر الرواية مرويّ بشكل آخر، ففي الدرّ المنثور: عن ابن أبي شيبة وابن جرير عن عنترة قال: لمّا نزلت ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، وذلك يومَ الحجّ الأكبر، بكىٰ عمر، فقال له النبيّ صلّى الله

عليه وآله وسلّم ما يُبكيك ؟! قال: أبكاني أنا كنّا في زيادة مِن ديننا، فأمّا إذ كَمُل فإنّه لم يكمل شيء قطّ إلّا نقص، فقال: صدقت.

ونظيره الرواية بوجه رواية أخرى رواها أيضا في الدرّ المنثور: عن أحمدعن علقمةبن عبد الله المزنيّ قال: حدّثني رجل قال: كنتُ في مجلس عمربن الخطّاب فقال عمر لرجل من القوم: كيف سمعتَ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ينعت الإسلام ؟ قال: سمعتُ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول: إنّ الإسلام بدأ جذعاً ثمّ ثنياً ثمّ رباعيّاً ثمّ سدسيّاً ثمّ بازلاً، قال عمر: فما بعد البزول إلّا النقصان.

فهذه الروايات ـ كما ترى ـ تروم بيان أنّ معنىٰ نزول الآية يومَ عرفة إلفاتُ نظر الناس إلىٰ ما كانوا يشاهدونه من ظهور أمر الدين واستقلاله بمكّة في الموسم، وتفسير إكمال الدين وإتمام النعمة بصفاء جوّ مكّة ومُحوضة الأمر للمسلمين يومئذ فلا دِينَ يُعبد به يومئذ هناك إلّا دينهم من غير أن يخشَوا أعداءهم ويتحذّروا منهم.

وبعبارة أخرىٰ، المراد بكمال الدين وتمام النعمة كمال ما بأيديهم يعملون به من غير أن يختلط بهم أعداؤهم أو يُكلَّفوا بالتحذّر منهم دون الدين بمعنى الشريعة المجعولة عند الله من المعارف والأحكام، وكذا المراد بالإسلام ظاهر الإسلام الموجود بأيديهم في مقام العمل. وإن شئت فقل: المراد بالدين صورة الدين المشهودة من أعمالهم، وكذا في الإسلام، فإنّ هذا المعنى هو الذي يقبل الإنتقاص بعد الإزدياد.

وأمّا كلّيّات المعارف والأحكام المشرَّعة من الله فلا يقبل الإنتقاص بعد الإزدياد الذي يشير إليه قوله في الرواية: «إنّه لم يكمل

شيء قطّ إلّا نقص»، فإنّ ذلك سُنّة كونيّة تجري أيضا في التاريخ والإجتماع بتبع الكون، وأمّا الدين فإنّه غير محكوم بأمثال هذه السنن والنواميس إلّا عند مَن قال: إنّ الدين سُنة اجتماعيّة متطوّرة متغيّرة كسائر السنن الإجتماعيّة!

إذا عرفتَ ذلك علمتَ أنّه يرد عليه أوّلاً: أنّ ما ذُكر من معنى كمال الدين لا يصدق عليه قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ وقد مرّ بيانه.

وثانياً: أنّه كيف يمكن أن يَعدّ الله سبحانه الدين بصورته التي كان يترائى عليها كاملا وينسبه إلىٰ نفسه امتنانا بمجرّد خلو الأرض من ظاهر المشركين، وكون المجتمع على ظاهر الإسلام فارغاً من أعدائهم المشركين، وفيهم مَن هو أشدّ من المشركين إضرارا وإفسادا، وهم المنافقون علىٰ ما كانوا عليه من المجتمعات السرّيّة والتسرّب في داخل المسلمين، وإفساد الحال، وتقليب الأمور، والدسّ في الدين، وإلقاء الشُّبَه، فقد كان لهم نبأ عظيم تعرض لذلك آيات جمة من القرآن كسورة المنافقين وما في سور: البقرة والنساء والمائدة والأنفال والبراءة والأحزاب وغيرها.

فليت شعري أين صار جمعُهم؟ وكيف خمدت أنفاسهم؟ وعلىٰ أيّ طريق بطل كيدهم وزهق باطلهم؟ وكيف يصحّ مع وجودهم أن يمتنّ الله يومئذٍ على المسلمين بإكمال ظاهر دينهم، وإتمام ظاهر النعمة عليهم، والرضىٰ بظاهر الإسلام بمجرّد أنْ دفع مِن مكّة أعداءَهم من المسلمين، والمنافقون أعدىٰ منهم وأعظم خطرا وأمر أثرا! وتصديق ذلك قوله تعالى يخاطب نبيَّه فيهم: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾ (المنافقون: ٤).

وكيف يمتنّ الله سبحانه ويصف بالكمال ظاهرَ دينٍ هذا باطنه، أو يذكر نعمه بالتمام وهي مَشوبة بالنقمة، أو يُخبر برضاه صورة إسلامٍ هذا معناه! وقد قال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً﴾ (الكهف: ٥١)، وقال في المنافقين: ـ ولم يُرد إلّا دينهم ـ ﴿فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللّٰهَ لَا يَرْضىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (البراءة: ٩٦). والآية بعد هذا كلّه مطلقة لم تقيد شيئا من الإكمال والإتمام والرضىٰ ولا الدين والإسلام والنعمة بجهة دون جهة.

فإن قلت: الآية ـ كما تقدّمت الإشارة إليه ـ إنجازٌ للوعد الذي يشتمل عليه قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللّٰهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً﴾ الآية (النور: ٥٥).

فالآية ـ كما ترىٰ ـ تعدهم بتمكين دينهم المرضيّ لهم، ويحاذي ذلك من هذه الآية قولُه: ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ وقوله: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾، فالمراد بإكمال دينهم المرضيّ تمكينُه لهم، أي تخليصه من مزاحمة المشركين، وأمّا المنافقون فشأنهم شأن آخر غير المزاحمة، وهذا هو المعنى الذي تشير إليه روايات نزولها يوم عرفة، ويذكر القوم أنّ المراد به تخليص الأعمال الدينيّة والعاملين بها من المسلمين من مزاحمة المشركين.

قلت كون آية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ﴾، من مصاديق إنجاز ما وعد في قوله: ﴿وَعَدَ اللّٰهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (الآية) وكذا كون قوله في هذه الآية: ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، محاذيا لقوله: ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضىٰ

لَهُمْ﴾، في تلك الآية ومُفيداً معناه، كلّ ذلك لا ريب فيه.

إلّا أنّ آية سورة النور تبدأ بقوله: ﴿وَعَدَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وهم طائفة خاصة من المسلمين، ظاهر أعمالهم يوافق باطنها، وما في مرتبة أعمالهم من الدين يحاذي وينطبق على ما عند الله سبحانه من الدين المشرَّع، فتمكين دينهم المرضيّ لله سبحانه لهم إكمالُ ما في علم الله وإرادته من الدين المرضيّ بإفراغه في قالب التشريع، وجمع أجزائه عندهم بالإنزال ليعبدوه بذلك بعد إياس الذين كفروا من دينهم.

وهذا ما ذكرناه: أنّ معنىٰ إكمالِه الدينَ إكمالُه مِن حيث تشريع الفرائض فلا فريضة مشرَّعة بعد نزول الآية لا تخليصَ أعمالهم وخاصّة حجّهم من أعمال المشركين وحجّهم، بحيث لا تختلط أعمالهم بأعمالهم. وبعبارة أخرىٰ، يكون معنىٰ إكمال الدين رفعَه إلىٰ أعلىٰ مدارج الترقّي حتّىٰ لا يقبل الإنتقاص بعد الإزدياد.

وفي تفسير القمّيّ، قال: حدّثني أبي، عن صفوان بن يحيى، عن العلاء، عن محمّد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: **«آخرُ فريضةٍ أنزلها الولاية، ثمّ لم يُنزل بعدها فريضة، ثمّ أنزل: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ بكراع الغميم، فأقامها رسول الله** صلّى الله عليه وآله وسلّم **بالجُحفة فلم ينزل بعدها فريضة»**.

أقول: وروىٰ هذا المعنى الشيخ الطبرسيّ في تفسير مجمع البيان عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام، ورواه العيّاشيّ في تفسيره عن زُرارة عن الإمام الباقر عليه السلام.

وفي أمالي الشيخ الطوسيّ بإسناده، عن محمّد بن جعفر بن محمّد، عن أبيه أبي عبد الله عليهم السلام، عن عليٍّ أمير المؤمنين عليه

السلام قال: «**سمعتُ** رسول **الله** صلّى الله عليه وآله وسلّم **يقول: بناءُ الإسلام علىٰ خمس خصال: على الشهادتين، والقرينتَين. قيل له: أمّا الشهادتان فقد عرفنا، فما القرينتان؟ قال: الصلاة والزكاة، فإنّه لا تُقبل إحداهما إلّا بالأخرىٰ، والصيام، وحجّ بيت الله مَن استطاع إليه سبيلاً، وختَمَ ذلك بالولاية فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾**».

وفي روضة الواعظين للفتّال النيشابوريّ عن أبي جعفر عليه السلام وذكر قصة خروج النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم للحجّ، ثمّ نصبَه عليّاً للولاية عند منصرفه إلى المدينة ونزول الآية، وفيه خطبة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يومَ الغدير، وهي خطبة طويلة جدّاً.

أقول: روىٰ مثلَه الشيخ الطبرسيُّ في الإحتجاج بإسناد متّصل عن الحضرميّ عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، وروى نزولَ الآية في الولاية أيضا الشيخ الكلينيّ في الكافي والشيخ الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام، جميعاً مسنداً عن عبد العزيزبن مسلم عن الرضا عليه السلام، وروىٰ نزولَها فيها أيضا الشيخ الطوسيّ في أماليه بإسناده عن ابن أبي عُمَير عن المفضّل بن عمر عن الصادق عن جدّه أمير المؤمنين عليهما السلام، وروىٰ ذلك أيضاً الشيخ الطبرسيّ في تفسير مجمع البيان بإسناده عن أبي هارون العبديّ عن أبي سعيد الخُدريّ، وروىٰ ذلك الشيخ في أماليه بإسناده عن إسحاق بن إسماعيل النيسابوريّ عن الصادق عن آبائه عن الحسن بن عليّ عليهم السلام، وقد تركنا إيراد الروايات علىٰ طولها إيثارا للإختصار، فمَن أرادها فليراجع محالّها، والله الهادي[١].

١. تفسير الميزان ٥: ١٦٧ ـ ٢٠١.

عمّم رسولُ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عليّاً عليه السلام يـومَ غدير خمّ

روى الزرنديّ الحنفيّ المدنيّ ...عن عليٍّ رضي الله تعالى عنه قال: «**عمّمني رسول الله** صلّى الله عليه وآله وسلّم **يومَ غدير خم بعمامة، فسدل نمرقها على مَنكِبي وقال: إنّ الله أمدّني يومَ بدرٍ وحُنينٍ بملائكةٍ مُعْتمّين هذه العمامة**». وعن جعفر بن محمّد عن أبيه عن جدّه أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عمّم عليَّ بن أبي طالبٍ عمامتَه السحاب وأرخاها مِن بين يديه ومن خلفه، ثـمّ قـال: أقْبِلْ. فأقبل، ثمّ قال: أدْبِرْ. فأدبر، فقال: هكذا جاءتْني الملائكة. ثمّ قال: **«مَن كنتُ مَولاه فعليٌّ مَولاه، اللّهمَّ وال مَن والاه، وعادِ مَن عاداه، وانصرْ مَـن نصره، واخذُلْ مَن خَذَلَه»**. قال حسّان بن ثابت: يا رسولَ الله، اِئـْذنْ لي أن أقول أبياتاً تسمعها، فقال: قلْ على بركة الله. فقام حسّان فقال: يا معشرَ قريش، اسمعوا قولي بشهادةٍ من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم. ثمّ أنشأ يقول:

يُـنادِيهُمُ يـومَ الغـديرِ نَـبِيُّهُمْ ... بِـخُمٍّ وأَسْـمِعْ بـالرسولِ مُـناديا

فـقالَ: فَـمَن مَـولاكُـمُ ونـبيُّكمْ ... فقالوا ولم يُبدوا هُـناك التَّعاميا:

إلهُك مَـولانا وأنت وَليُّـنا ... ولَن تَجِدنْ منّا لَك اليـومَ عـاصيا

هـناك دعـا آللّـهمَّ والِ وَليَّـهُ ... وكنْ لِـلذي عـادىٰ عـليّاً مُـعاديا

فقال لَـه: قُـمْ يـا عـليُّ فـإنّني   رَضِيتُك مِن بَعدي وليّاً وهاديا[١]

عن عبد الأعلى بن عَدِيّ النهروانيّ أنّ رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم دعا عليّاً يومَ غدير خمّ، فعمّمه وأرخىٰ عذبة العمامة من خلفه[٢].

وعن عبد الله بن بِشر عن أبي راشد عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: «قال رسول الله: إنّ الله عزّ وجلّ أيّدني يومَ بدرٍ وحُنينٍ بملائكة معتمّين هذه العمامة، والعمامة [هي] الحاجز بين المسلمين والمشركين»[٣].

وعن الإمام جعفر بن محمّد عليه السلام قال: «حدّثني أبي، عن جدّي أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله عمّم عليَّ بن أبي طالب صلوات الله عليه وآله عمامة السحاب، فأرخاها مِن بين يديه ومِن خلفه، ثمّ قال: أقْبِلْ. فأقبل، ثمّ قال [له]: أدْبِرْ. فأدبر، فقال: هكذا جاءتني الملائكة»[٤].

وعن عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه وآله قال: «عمّمني رسولُ الله صلّى الله عليه وآله يومَ غدير خمّ بعمامة، فسدل طَرفها علىٰ مَنكِبي وقال: إنّ الله أيّدني يومَ بدرٍ وحُنَينٍ بملائكة مُعتمّين بهذه العمامة»[٥].

وروى المتّقي الهنديّ عن الإمام عليّ عليه السلام قال: «عمّمني رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم يوم غدير خمّ بعمامة، فسدلها خلفي ـ وفي لفظ: فسدل طَرَفَيها علىٰ مَنكِبي ـ ثمّ قال: إنّ الله أمدّني يومَ بدرٍ وحُنَينٍ بملائكةٍ يعتمّون هذه العِمّة؛ وقال: إنّ العمامة حاجزةٌ بين الكفر والإيمان ـ وفي لفظ: بين المسلمين والمشركين ـ ورأىٰ رجلاً يرمي بقوسٍ فارسيّة، فقال: ارمِ بها! ثمّ نظر إلى قوسٍ

---

١. نظم درر السمطين، طبع النجف الأشرف: ١١٢.
٢. الرياض النضرة ٣: ٢٤٧.
٣. فرائد السمطين ١: ٧٥.
٤. فرائد السمطين ١: ٧٦ / ح٤٢.
٥. فرائد السمطين ١: ٧٦ / ح٤٣.

عربيّة فقال: عليكم بهذه وأمثالها ورماح القنا، فإنّ بهذه يمكّن الله لكم في البلاد ويؤيّد لكم النصر»[١].

وعن واثلة قال: رأيتُ علىٰ رسـول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم عـمامةً سوداء[٢].

وعن ابن عَدِيّ أنّ رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم دعا عليَّ بـن أبـي طالبٍ فعمّمه، وأرخى عذبة العمامة مِن خلفه ثمّ قال: **«هكذا فاعتمُّوا؛ فإنّ العمامة سيماء الإسلام، وهي حاجزةٌ بين المسلمين والمشركين»**[٣].

وعن ابن عبّاس قال: لمّا عمّم رسـولُ الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم عـليّاً بالسحاب[٤] قال له: **«يا عليّ، العمائم تـيجان العـرب، والإحـتباءُ حـيطانها، وجلوس المؤمن في المسجد رباطُه»**[٥].

وعن الإمام عليّ عليه السلام أنّ النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم عمّمه بيده، فذنّب العمامة من ورائه ومن بين يديه، ثمّ قال له النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: **«أدْبِر»**. فأدبر، ثمّ قال له: **«أقْبِلْ»**. فأقبل، وأقبل علىٰ أصحابه فقال النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: **«هكذا تكون تيجان الملائكة»**[٦].

وعن أبي رزين قال: شَهِدتُ عليَّ بن أبي طالب يومَ عـيدٍ مُـعْتمّاً قـد أرخى عمامته مِن خلفه والناسُ مِثلُ ذلك[٧].

---

١. كنز العمّال ١٥: ٤٨٢ / ح٤١٩٠٩.
٢. كنز العمّال ١٥: ٤٨٢ ح٤١٩١٠.
٣. كنز العمّال ١٥: ٤٨٣ / ح٤١٩١١.
٤. السحاب: إسم العمامة.
٥. المصدر ١٥: ٤٨٣ / ح٤١٩١٢.
٦. المصدر: ٤٨٣ / ح٤١٩١٣.
٧. المصدر: ٤٨٤ / ح٤١٩١٤.

«وَأَشْهَدُ أَنَّكَ الْمَعْنِيُّ بِقَوْلِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ: وَأَنَّ هٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ»:

اللّغة:

«السِّراط، والصِّراط، والسبيل»

السراط: الطريق المستَسهل، الصراط: الطريق المستقيم، والسُّبُل: الطرق[1].

الحديث:

رُويَ عن النبيّ صلّى الله عليه وآله في هذه الآية [قال] في خطبة الغدير: **«معاشرَ الناس، إنّ الله قد أمرني ونهاني، وقد أمرتُ عليّاً ونهيتُه، فعلمَ الأمرَ والنهي مِن ربّه، فاسمعوا لأمره تسلموا، وأطيعوه تهتدوا، وانتهُوا نهيَه تُرشَدوا، وصيروا إلىٰ مراده ولا تتفرّقْ بِكمُ السُّبُلُ عن سبيلِه. معاشرَ الناس، أنا الصراط المستقيم الذي أمرَكم الله باتّباعه، ثمّ عليٌّ مِن بَعدي، ثمّ وُلْدي مِن صلبه، أئمّة يهدون بالحقّ وبه يَعْدلون».**

روى العيّاشيّ عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال لبرَيد العِجْليّ: **«تدري ما يعني بـ﴿صِرَاطِي مُسْتَقِيماً﴾ ؟!»** قال: قلت: لا، قال: **«ولاية عليّ والأوصياء** عليهم السلام». قال: **«وتدري ما يعني ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾ ؟!»** قال: قلت: لا، قال: **«يعني عليَّ بن أبي طالب»**. قال: **«وتدري ما يعني ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ ؟!»** قال: قلت: لا، قال: **«ولاية فلانٍ وفلانٍ، والله»**. قال: **«وتدري ما يعني ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ ؟!»** قال: قلت: لا، قال: **«يعني سبيل عليٍّ عليه السلام»**[2].

---

١. المفردات في غريب القرآن، كلمة «السراط».
٢. تفسير الصافي ١: ٥٥٧ الطبعة القديمة.

قال عليّ بن إبراهيم: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ يعني غيرَ الإمام، فتَفَرّقَ بكم عن سبيله يعني تفترقوا وتختلفوا في الإمام[١].

وروىٰ أبو بصير عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في قوله: ﴿هٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾، قال: «نحن السبل، فمن أبىٰ هذه السُّبَل فقد كفر»![٢]

وروىٰ أبو حمزة الثُّماليّ عن الإمام الصادق عليه السلام قال: سألته عن قول اللّه تبارك وتعالى: ﴿وَأَنَّ هٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ﴾ قال: «هو واللّه عليٌّ عليه السلام، هو والله الصراطُ والميزان»[٣].

وروىٰ سعد عن أبي جعفر عليه السلام ﴿وَأَنَّ هٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ﴾ قال: «آل محمّد الصراط الذي دلّ عليه»[٤].

ورُوي عن ابن عبّاس قال: كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يحكم وعليّ عليه السلام بين يديه مقابله، ورجلٌ عن يمينه ورجل عن شماله، فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «اليمين والشمال مضلّة، والطريق المستوي (هي) الجادّة». ثمّ أشار بيده ﴿أَنَّ هٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ﴾ الآية[٥].

«ضَلَّ وَاللّٰهِ وَأَضَلَّ مَنِ اتَّبَعَ سِواكَ وَعَنَدَ عَنِ الْحَقِّ مَنْ عاداكَ»:

ضلّ: أي بَطل وهَلَك، وأضلّهم الله: ضيّع اللهُ أعمالهم ولم يجازِهِم علىٰ ما عملوا[٦].

---

١. تفسير البرهان ١: ٥٦٣.
٢. المصدر نفسه.
٣. المصدر نفسه.
٤. تفسير البرهان ١: ٥٦٣.
٥. المصدر نفسه.
٦. المعجم الوسيط: ٥٤٢.

عَنَدَ: تباعد، إستكبر وتجاوز الحدّ في العصيان، وخالف الحقّ وردّه وهو يعرفه، فهو عانِدٌ له، لأنّهم جَحَدوا بآياتِ ربِّهم وعَصَوا رسُلَهُ ﴿**وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ**﴾[1] جحدوا رسولَ الله صلّى الله عليه وآله، وعَصَوا ما أمرهم به واتّبعوا الجبّارَ العنيد، ومالوا مِن الحقّ إلى الباطل، وعادَوا عليّاً عليه السلام.

«اللّهُمَّ سَمِعْنا لِأَمْرِكَ وَأَطَعْنا وَاتَّبَعْنا صِراطَكَ الْمُسْتَقِيمَ»:

روى الجوينيّ بسنده عن عبد الله بن مسعود قال: كنتُ مع رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم وقد أصْحرَ فتنفّس الصعداء، فقلت: يا رسول الله، ما لك تتنفّس؟! قال: «**يا ابن مسعود، نُعِيَتْ إليّ نفسي**»، فقلت: إستخلِفْ يا رسول الله، قال: «**مَن؟**» قلت: أبا بكر. فسكت، ثمّ تنفّس، قلت: ما لي أراك تتنفّس يا رسول الله؟! قال: «**نُعِيتْ إليَّ نفسي**»، قلت: عُمرَ بن الخطّاب!!! فسكت، ثمّ تنفّس، فقلت: ما لي أراك تتنفّس يا رسول الله؟! قال: «**نُعِيتْ إليّ نفسي**»، قلت: استخلِفْ، قال: «**مَنْ؟**» قلت: عليَّ بن أبي طالب، قال: «**أُوه، ولن تفعلوه إذاً أبداً!!! واللهِ لئن فعلتُموه لَيُدخلنّكم الجنّة**»[2].

الحمد لله الذي أكرَمنا، وجعَلَنا من الموفين بعهده إلينا وميثاقه الذي واثقنا به من ولاية وُلاة أمره والقوّام بقِسطه، ولم يجعلنا مِن الجاحدين، والمكذّبين بيوم الدين.

«فَاهْدِنا رَبَّنا وَلَا تُزِغْ قُلُوبَنا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنا إِلىٰ طاعَتِكَ»:

ويقول الزائر حين دخوله النجفَ الأشرف: الحمدُ لله الذي هدانا لِهذا وما كنّا لِنهتديَ لَولا أن هدانا الله. وقد عرفوا أمير المؤمنين وسمعوا ما قاله

---

١. هود: ٥٩.
٢. فرائد السمطين ١: ٢٦٧، ومجمع الزوائد ٥: ١٨٥.

رسولُ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في فضائله، وبايعوه يومَ الغدير، ولم يكونوا مُوفين بعهدهم بولاية عليٍّ عليه السلام والأئمّة المعصومين عليهم السلام بعده، الذين هم خلفاءُ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بأمره سبحانه، وجعلهم الله ميزانَ العدل والقسط يومَ القيامة، وقال سبحانه: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾[١].

يُنطق الله سبحانه جوارحهم بأعمالهم ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً﴾[٢].

ولم يجعلنا جاحدين بحقِّ أمير المؤمنين عليه السلام، من الذين قال سبحانه فيهم: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً﴾[٣] ولم نكن مكذّبين بما قاله رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

إذا كان يومُ القيامة أقام اللهُ عزّ وجل جَبرئيلَ ومحمّداً على الصراط، فلا يجوزه أحدٌ إلّا مَن كان معه براءة من عليّ بن أبي طالب[٤].

وقال صلّى الله عليه وآله: «**إذا كان يومُ القيامة ونُصِب الصراط علىٰ شفير جهنم، لم يَجُزْ إلّا مَن معه كتابُ ولايةِ عليٍّ بن أبي طالب** عليه السلام»[٥].

«وَاجْعَلْنا مِنَ الشّاكِرِينَ لِأَنْعُمِكَ»:

الشكر: عرفان النعمة وإظهارها والثناء بها، ومِن الله الرضىٰ والثواب[٦].

---

١. الأنبياء: ٤٧.
٢. الإسراء: ١٣.
٣. النمل: ١٤.
٤. المناقب للخوارزميّ: ١٥١.
٥. مناقب الإمام عليّ عليه السلام لابن المغازليّ الشافعيّ: ٢٤٢/ح ٢٨٩.
٦. المعجم الوسيط.

أَنعُم: جمع نِعمة ما أنعم [سبحانه] من رزق ومال وغيره من الحال الحسنة (روحاً ومادّةً)[١].

وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾[٢].

أمرنا الله بطاعته وطاعة نبيّه وأُولي الأمر بعده، الذين طاعتُهم واجبة إلىٰ يوم القيامة، ويجب كون النبيّ وأولي الأمر معصومين حتّىٰ تَثق الأمّة بأوامرهم، ويحصل لهم إيمان بأنّ ما قالا هو مِن الله سبحانه، وينحسم بكلامه مادّةُ الإختلاف. ولا يجب طاعة المخلوق، قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «**لا طاعةَ لمخلوقٍ في معصية الخالق**»[٣].

والمدّعي للإمامة غيرهم لا يجب طاعته، لعدم عصمته من الزلل والخطأ، وليس أحدٌ بعد النبيّ صلّى الله عليه وآله معصوماً إلّا عليَّ بن أبي طالب وابناءَهُ المعصومين عليهم السلام، الذين أمرَنا اللهُ بطاعتهم لولايتهم.

---

١. المصدر نفسه.

٢. النساء: ٥٩.

٣. بحارالأنوار ٤٣: ٢٩٧ / ح٥٩ ـ عن: مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب: مرّ الحسين عليه السلام على عبد الله بن عمرو بن العاص، فقال عبد الله: مَن أحبّ أن ينظر إلىٰ أحبِّ أهل الأرض إلى أهل السماء فَلْينظرْ إلىٰ هذا المجتاز، فما كلّمتُه منذ ليالي صفّين. فأتىٰ به أبو سعيد الخُدْريّ إلى الحسين عليه السلام، فقال له الحسين: أتعلمُ أنّي أَحَبُّ أهلِ الأرض إلىٰ أهلِ السماء وتقاتلُني وأبي يوم صفّين؟! واللهِ إنّ أبي لَخيرٌ منّي. فاستعذر، وقال: إنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قال لي: أطِعْ أباك، فقال له الحسين عليه السلام: أما سمعتَ قول الله تعالىٰ: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ (لقمان: ١٤)، وقولَ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إنّما الطاعة في المعروف»، وقولَه: «لا طاعةَ لمخلوقٍ في معصية الخالق»؟!

العصمة:

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً﴾[١].

اللغة:

إعتصم: إمتنع به ولجأ[٢].

قال الراغب الأصفهاني: عصمة الأنبياء حفظُ الله إيّاهم أوّلاً بما خصّهم به من صفاء الجوهر، ثمّ بما أَولاهم من الفضائل الجسميّة والنفسيّة، ثمّ بالنُّصرة وبتثبّت أقدامهم، ثمّ بإنزال السَّكينة عليهم وبحفظ قلوبِهم وبالتوفيق[٣].

الحديث:

قال الإمام الصادق عليه السلام: «**الأنبياء وأوصياؤهم لا ذنوبَ لهم؛ لأنّهم معصومون مطهّرون**»[٤].

كتب الإمام الرضا عليه السلام للمأمون: «**لا يفرض اللهُ** تعالى **طاعةَ مَن يعلم أنّه يُضلّهم ويُغويهم، ولا يختار لرسالته ولا يَصطفي مِن عباده مَن يعلم أنّه يكفر به وبعبادته ويعبد الشيطانَ دونَه**»[٥].

وقال أبو جعفر عليه السلام في قوله: ﴿لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾: «**أي لا يكون إماماً ظالماً**»[٦].

تعتقد الشيعة بوجوب عصمة الأنبياء والأوصياء، قال الشيخ الصدوق

---

١. النساء: ١٧٥.
٢. المعجم الوسيط، كلمة عَصَم.
٣. المفردات في غريب القرآن: ٣٣٧.
٤. بحارالأنوار ٢٥: ١٩٩ /ح٨ ـ عن: الخصال للشيخ الصدوق: ٦٠٨ /ح٩ ـ باب المائة.
٥. بحارالأنوار ٢٥: ١٩٩ /ح٩ ـ عن: عيون أخبار الرضا عليه السلام.
٦. بحارالأنوار ٢٥: ٢٠٢ ـ ٢٠٣ /ح١٥ ـ عن: تفسير العيّاشيّ ١: ٥٨ /ح٨٩.

(المتوفّىٰ ٣٨١هـ): إنّ جميع الأنبياء صلّى الله عليهم معصومون من الكبائر قبل النبوّة وبعدَها، وممّا يستخفّ فاعلَه من الصغائر كلّها...[١].

قال محمّدبن النعمان الشيخ المفيد (المتوفّىٰ ٤١٣هـ): «العصمة من الله لِحُججه هي التوفيق، واللّطف والإعتصام من الحجج بها من الذنوب والغَلط في دِين الله تعالىٰ، والعصمة تفضّلٌ من الله تعالىٰ علىٰ مَن عَلِم أنّه يتمسّك بعصمته، والإعتصام من فعل المعصتم وليست العصمة مانعةً من القدرة على القبيح، ولا مُضطرّةً للمعصوم إلى الحَسَن، ولا مُلجئةً له إليه، بل هي الشيء الذي يعلم اللهُ تعالىٰ أنّه إذا فعله بعبدٍ من عبيده لم يؤثر معه معصيتُه له، وليس كلّ الخلق يعلم هذا من حاله، بل المعلوم منهم ذلك هم الصفوة والأَخيار، قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِنَّا الْحُسْنَىٰ﴾ (الأنبياء: ١٠١)، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ﴾ (الدخان: ٣٢)، وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ﴾ (ص: ٤٧). والأنبياء والأئمّة مِن بعدهم معصومون في حال نبوّتهم وإمامتهم من الكبائر كلّها، والصغائر، والعقلُ يجوّز عليهم تركَ مندوبٍ إليه على غير التعمّد للتقصير، والعصيان، ولا يجوز عليهم ترك مُفترَض؛ لأنّ نبيّنا صلّى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام مِن بعدِه كانوا سالمين من ترك المندوب والمفترَض قبل حالِ إمامتهم وبعدها»[٢].

وقال الشيخ نصير الدين الطوسيّ (المتوفّىٰ سنة ٦٧٢ هـ) في تجريد الإعتقاد: يجب في النبيّ العصمة؛ ليحصل الوثوق فيحصل الغرض،

---
١. أوائل المقالات: ٢٩.
٢. تصحيح الإعتقاد: ١٢٨.

ولوجوب متابعته[١].

وقال العلّامة الحلّيّ (المتوفّى ٧٢٦ هـ) في (شرح تجريد الإعتقاد): «إختلف الناس هاهنا، فجماعة المعتزلة جوّزوا الصغائر على الأنبياء إمّا علىٰ سبيل السهو كما ذهب إليه بعضهم أو علىٰ سبيل التأويل كما ذهب إليه قوم منهم، أو لأنّها تقع محيطة بكثرة ثوابهم. وذهبت الأشاعرة والحشَويّة إلىٰ أنّه يجوز عليهم الصغائر والكبائر، إلّا الكفرَ والكذب.

وقالت الإماميّة: إنّه يجب عصمتُهم عن الذنوب كلِّها صغيرةً كانت أو كبيرة، والدليل عليه بوجوه:

أحدها: أنّ الغرض في بعثة الأنبياء عليهم السلام إنّما يحصل بالعصمة، فتجب العصمة تحصيلاً للغرض، وبيان ذلك أنّ المبعوث إليهم لو جوّزوا الكذب على الأنبياء والمعصية جوّزوا في أمرهم ونهيهم وأفعالهم التي أمروهم باتّباعهم فيها ذلك، وحينئذٍ لا ينقادون إلى امتثال أوامرهم، وذلك نقض الغرض من البعثة.

الثاني: أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله يجب متابعته، فإذا فعل معصية، فإمّا أن يجب متابعته أولاً، والثاني باطل لانتفاء فائدة البعثة، والأوّل باطل لأنّ المعصية لا يجوز فعلها.

الثالث: أنّه إذا فعل معصيةً وجب الإنكار عليه؛ لعموم وجوب النهي عن المنكر، وذلك يستلزم ايذاءَه، وهو منهيّ عنه، وكلُّ ذلك مُحال»[٢].

قال العلّامة الحلّي في نهج المسترشدين في وجوب العصمة: «لو لم يكن معصوماً لَزِمَ نقضُ الغرض، والتالي باطل، فالمقدَّم مثلُه بيان

---

١. تجريد الإعتقاد: ٣٣٣.

٢. شرح تجريد الإعتقاد: ٢١٧.

الشرطيّة: أنّه إذا فعل معصيةً، فإمّا أن يُتَّبَع، وهو قبيح لا يقع التكليف به، وإمّا أن لا، فتنتفي فائدة البعثة، وهو وجوب اتّباعه.

ولأنّه مع وقوع المعصية منه يجب الإنكار عليه ويسقط محلّه من القلوب، فلا يُصار إلىٰ ما يأمر به ويَنهىٰ عنه.

ولَجاز أن لا يؤدّيَ بعضَ ما أُمِر بأدائه، فيرتفع الوثوق ببقاء الشرع لجواز نسخه.

ومن هذا عُلِم: أنّه لا يجوز أن يقع منه الصغائر ولا الكبائر، عمداً ولا سهواً، ولا غلطاً في التأويل.

ويجب أن يكون منزَّهاً عن ذلك من أوّل عمره إلىٰ آخره، وأن يكون منزَّهاً عن دناءة الآباء وعَهْر الأمّهات؛ لئلّا يقع التنفّر عنه فتسقط فائدة البعثة. ولا يجوز السهو عليه مطلقاً في الشرع وغيره، لذلك»[١].

وقال في كتابه نهج الحقّ وكشف الصِّدْق: «المسألة الرابعة في النبوة: البحث الثاني: في أنّ الأنبياء معصومون عن الصغائر والكبائر، منزَّهون عن المعاصي قبل النبوّة وبعدها علىٰ سبيل العمد والنسيان، وعن كلّ رذيلةٍ ومنقصة، وما يدلّ على الخِسّة والضِّعة، وخالفت السُّنّةَ كافّةً في ذلك، وجوّزوا عليهم المعاصي، وبعضهم جوّزوا الكفر عليهم قبل النبوّة وبعدها، وجوّزوا عليهم السهو والغلط والخطاء، ونسبوا رسولَ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى السهو في القراءة بما يُوجب الكفر! فقالوا بأنّه صلّىٰ يوماً الصبح وقرأ في سورة النجم عند قوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّىٰ * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ﴾[٢] تلك الغرانيقُ العُلىٰ[٣]، منها الشفاعةُ تُرتجىٰ[٤]! وهذا افتراءٌ

---

١. نهج المسترشدين في أصول الدين: ٥٨ / الفصل العاشر.
٢. النجم: ١٩ ـ ٢٠.

عليه صلّى الله عليه وآله أنّ تلك الأصنام تُرتجى الشفاعة منهم، نعوذ بالله مِن هذه المقالة التي نُسِب النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم إليها، وهي تُوجب الشرك، فما عذرهم غداً عند رسول الله صلّى الله عليه وآله وقد قتل جماعةً كثرة من أهله وأقاربه علىٰ عبادة الأصنام، ولم تأخذه في الله لومةُ لائم، ويُنسَب إليه هذا القول الموجب للكفر والشرك، وهو في مقام إرشاد العالَم، وهل هذا إلّا أبلغ أنواع الضَّلال! وكيف يجامع هذا قولَه تعالىٰ: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَىٰ اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾[٥]؟! وهل أبلغُ مِن هذه الحجّة وهو أن يقول العبد: إنّك أرسلتَ إلينا رسولاً يدعو إلى الشرك والكفر، وتعظيم الأصنام وعبادتها؟! ولا ريب أنّ القائلين بهذه المقالة صدق عليهم قولُه تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾[٦].

والحديث المجعول: أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله لمّا قرأ ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّىٰ * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ﴾ ألقى الشيطان علىٰ لسانه هذه العبارات: تلك الغرانيقُ العُلىٰ، مِنها الشفاعة تُرتجىٰ! فقال المشركون: ما ذكر آلهتنا بخير قبلَ اليوم. فسجد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسجد المشركون، ثمّ جاءه جبرئيل بعد ذلك فقال: أعرِضْ علَيّ ما جئتُك به. فلمّا بلغ: تلك الغرانيق العُلىٰ وأنّ شفاعتهنّ تُرتجىٰ، قال جبرئيل: لم آتِك بهذا، هذا من الشيطان! فأنزل الله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَىٰ الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[٧].

---

٣. جميل المنظر: المعجم الوسيط.
٤. مجمع الزوائد ٧: ١١٥ والدرّ المنثور: ٣٦٨.
٥. النساء: ١٦٥.
٦. الأنعام: ٩١.
٧. الحجّ: ٥٢.

فقال المشركون: يذكر آلهتنا بالشتم والشرّ، وإنّ ذكرَها بالخير نذكر آلهتَه بالخير وأقررناه وأصحابه. فتكلّم الرسول بها فانتشر قوله صلّى الله عليه وآله «تلك الغرانيق»، وقالوا: إنّ محمّداً قد رجع إلىٰ دِينه الأوّل ودينِ قومه»![1]

وخلاصة القول: إنّ الشيعة الإماميّة تعتقد بعصمة الأنبياء والأئمّة الإثني عشر وفاطمة الزهراء سلام الله عليهم، وترفض كلَّ ما نسبه البعض إلىٰ رسول الله صلّى الله عليه وآله والأنبياء السابقين عليهم السلام والأوصياء المنتجبين سلام الله عليهم.. ممّا يخلّ بعصمتهم الشريفة ويخدشها ويتعارض معها، عن تأثّرٍ بالروايات الإسرائيليّة الخبيثة، منها ما رواه بعض مؤلّفي السُنّة كالآيات الشيطانيّة ـ لشديد الأسف والأسىٰ ـ!

---

١. نهج الحق وكشف الصدق: ١٤٢.

الفصل السادس:

وَأَشْهَدُ أَنَّكَ لَمْ تَزَلْ لِلْهَوىٰ مُخالِفاً، وَلِلتُّقىٰ مُحالِفاً، وَعَلىٰ كَظْمِ الْغَيْظِ قادِراً، وَعَنِ النَّاسِ عافِياً غافِراً، وَ إِذا عُصِيَ اللّٰهُ ساخِطاً، وَإِذا أُطِيعَ اللّٰهُ راضِياً، وَبِما عَهِدَ إِلَيْكَ عامِلاً، راعِياً لِـمَا اسْتُحْفِظْتَ، حـافِظاً لِـمَا اسْتُودِعْتَ، مُبَلِّغاً مَا حُمِّلْتَ، مُنْتَظِراً مَا وُعِدْتَ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ مَا اتَّقَيْتَ ضارِعاً، وَلاٰ أَمْسَكْتَ عَنْ حَقِّكَ جازِعاً، وَلاٰ أَحْجَمْتَ عَنْ مُجاهَدَةِ غاصِبِيكَ ناكِلاً، وَلاٰ أَظْهَرْتَ الرِّضىٰ بِخِلافِ مَا يُرْضِي اللّٰهَ مُداهِناً، وَلاٰ وَهَنْتَ لِما أَصابَكَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ، وَلاٰ ضَعُفْتَ وَلَا اسْتَكَنْتَ عَـنْ طَلَبِ حَقِّكَ مُراقِباً، مَعاذَ اللّٰهِ أَنْ تَكُونَ كَذٰلِكَ، بَلْ إِذْ ظُلِمْتَ احْتَسَبْتَ رَبَّكَ وَفَوَّضْتَ إِلَيْهِ أَمْرَكَ، وَذَكَّرْتَهُمْ فَمَا ادَّكَرُوا، وَوَعَظْتَهُمْ فَمَا اتَّعَظُوا، وَخَوَّفْتَهُمُ اللّٰهَ فَمَا تَخَوَّفُوا، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جاهَدْتَ فِي اللّٰهِ حَقَّ جِهادِهِ حَتّىٰ دَعاكَ اللّٰهُ إِلىٰ جِوارِهِ، وَقَبَضَكَ إِلَيْهِ بِـاخْتِيارِهِ، وَأَلْزَمَ أَعْداءَكَ الْحُجَّةَ بِقَتْلِهِمْ إِيَّاكَ لِتَكُونَ الْحُجَّةُ لَكَ عَلَيْهِمْ مَعَ مَا لَكَ مِنَ الْحُجَجِ الْبالِغَةِ عَلىٰ جَمِيعِ خَلْقِهِ.

«وَأَشْهَدُ أَنَّكَ لَمْ تَزَلْ لِلْهَوىٰ مُخالِفاً»:

الهوىٰ ميل النفس إلى الشهوة. ويُقال ذلك للنفس المائلة إلى الشهوة،

وقيل: سُمّي بذلك لأنّه يَهوي بصاحبه في الدنيا إلىٰ كلّ داهية، وفي الآخرة إلىٰ الهاوية[١].

وقد عظّم اللهُ ذمَّ اتّباعِ الهوىٰ، فقال: ﴿وَلاَ تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾[٢].

وقال: ﴿وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾[٣]، ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللَّهِ﴾[٤]، يعني مَن اتّخذ دينَه رأيَه بغير هُدىٰ إمامٍ مِن أئمّة الهُدىٰ[٥].

قال الشيخ المجلسيّ: قال ابن ميثم بيان أنّ الهوى مخلوقٌ أو غير مخلوق لا يفيد كثيرَ الفائدة في أمر المعاد، فلا يكون الجهل به ممّا يضرّ في ذلك، فكان ترك بيانه والإشتغال بما هو أهمّ منه أَولىٰ[٦].

وقال الإمام عليّ عليه السلام: **«أشجعُ الناس مَن غَلَب هواه»**[٧].

وقال الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام: **«احذروا أهواءكم كما تحذرون أعداءكم، فليس شيء أعدىٰ للرجال من اتّباع أَهوائِهم وحصائد ألسنتهم»**[٨].

وقال الإمام الجواد عليه السلام: **«مَن أطاع هواه، أعطىٰ عدوَّه مُناه»**[٩].

ونشهد أنّ أمير المؤمنين وأبناءَه المعصومين مخالفون للهوىٰ **«وَلِلتُّقىٰ**

---

١. المفردات في غريب القرآن، كلمة «هوي».
٢. ص: ٢٦.
٣. الكهف: ١٨.
٤. القصص: ٢٨.
٥. بحارالأنوار ٢: ٣٠٢ ـ ٣٠٣ / ح٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩ ـ عن بصائر الدرجات للصفّار القمّيّ ـ الجزء الأوّل ص١٣ ـ الباب ٨ / ح١ ـ ٥.
٦. بحارالأنوار ٧٥: ١٨٢.
٧. معاني الأخبار للشيخ الصدوق: ١٩٥.
٨. الكافي للكليني ٢: ٣٣٥ / ح١.
٩. الدرّة الباهرة من الأصداف الطاهرة للشهيد الأوّل: ٣٩.

مُحالِفاً» أي مُلازماً[١].

قال الإمام الصادق عليه السلام: **«واللهِ ما عُرِض لعليٍّ أمرانِ كلاهما لله طاعة، إلّا عَمِل بأشدِّهما وأشقِّهما»**[٢].

روىٰ رافع مولىٰ عائشة، قال: كنتُ غلاماً أخدم عائشة، فكنت إذا كان النبيّ صلّى الله عليه وآله عندها قريباً أُعاطيهم، قال: فبينما النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم عندها ذات يوم وإذا داقٌّ يدقّ الباب، فخرجت إليه فإذا جارية معها طبقٌ مغطّىٰ، فرجعتُ إلىٰ عائشة وأخبرتها، فقالت أدخِليها. فدخلت بها، فوضعَتْه بين يدَي عائشة، فوضعَتْه عائشة بين يديْ النبيّ صلّى الله عليه وآله، فجعل يتناول منه فيأكل، وخرجت الجارية، فقال النبيّ صلّى الله عليه وآله: **«ليتَ أمير المؤمنين، وسيّد المسلمين، وإمام المتقين يأكل معي»**.

فقالت عائشة: ومَن هو ـ يا رسول اللهِ ـ المُجتمِعُ فيه هذه الخصال؟ فسكت، ثمّ أعاد الكلام مرّةً أخرىٰ، فقالت عائشة مثلَ ذلك، فسكت النبيّ صلّى الله عليه وآله، فجاء أحدٌ ودقّ علينا الباب، فخرجتُ إليه فإذا هو عليُّ بن أبي طالب عليه السلام، قال رافع: فرجعت وقلت للنبيّ صلّى الله عليه وآله: عليٌّ على الباب، فقال: أدخِلْه. ثمّ قال: **«يا أبا الحسن مرحباً وأهلاً بك، لقد تمنّيتُك مرّتين حتّىٰ لمّا أبطأتَ علَيّ الدخول سألتُ اللهَ أن يأتيَني بك، اجْلسْ وكُلْ»**. فجلس وأكل معه، ثمّ قال النبيّ صلّى الله عليه وآله: **«يا عليّ، قاتَلَ اللهَ مَن قاتَلَك، وعادَى اللهَ مَن عاداك»**، فقالت عائشة: ومَن يقاتلُه ويعاديه؟ فسكت النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، ثمّ أعاد مِثل ذلك، فقالت عائشة: ومَن يقاتله

---

١. المنجد، كلمة: حَلفَ.
٢. شرح نهج البلاغة ٤: ١١٠.

ويُعاديه ؟ قال صلّى الله عليه وآله : **«أنتِ ومَن معكِ»** ـ مرّتين[١].

قال الشيخ المحقّق الدكتور محمّد هادي الأميني رحمه الله : هذا من الأحاديث الصحيحة ، وقد أجمع أئمّة الحديث علىٰ صحّته وتوثيق سند حديث الطائر المعروف ، كما تواتر وروده بطرق شتّىٰ وأسانيد مختلفة ، بالإضافة إلىٰ أنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام احتجّ به في مناقبه يوم الدار ، فقال : «أنشدُكم بالله ؛ **هل فيكم أحدٌ قال له رسول الله** صلّى الله عليه وآله : **اللّهمّ ائتِني بأحبِّ خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير ، فجاء أحد غيري ؟»** فقالوا : اللّهمّ لا ، فقال : «اللّهمّ اشهدْ» . فاعترف القوم بصحّته . (مروج الذهب ٢ : ٤٩ ، مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ٣ : ٥٩ ، وسنن الترمذيّ ٢ : ٢٩٩ ، وأُسد الغابة ٤ : ٣٠ ، وذخائر العقبىٰ : ٦١ ، والرياض النضرة ٢ : ١٦٠ ، والمستدرك على الصحيحين ٣ : ١٣ ، ومجمع الزوائد ٩ : ١٢٥ . وفيه : رواه الطبرانيّ في الأوسط والكبير ، وحلية الأولياء ٦ : ٣٣٩ ، وتاريخ بغداد ٣ : ١٧١ و٩ : ٣٦٩ ، وكنز العمّال ٩ : ٤٠٦ ، ونظم دُرر السمطين : ١٠١ ، وخصائص النَسائيّ : ٥٠ ، ومصابيح السنّة ٢ : ٢٧٥)[٢].

«وَعَلَىٰ كَظْمِ الْغَيْظِ قادِراً ، وَعَنِ النَّاسِ عافِياً غافِراً» :

كظمُ الغيظ : حَبسُه[٣] ، قال سبحانه : ﴿**وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ**﴾[٤].

وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : **«مَن كظم غيظاً ملأ الله جوفَه إيماناً ، ومَن عَفا عن مظلمة أبدله الله بها عِزّاً في الدنيا والآخرة»**[٥].

---

١. مائة منقبة من مناقب أمير المؤمنين عليه السلام لابن شاذان / المنقبة الثالثة والأربعون
٢. ذيل الباب الثالث والثلاثين من «كفاية الطالب في مناقب عليّ بن أبي طالب عليه السلام» للكنجي الشافعيّ : ١٤٥.
٣. المفردات في غريب القرآن : ٤٣٢.
٤. آل عمران : ١٣٤.
٥. بحارالأنوار ٧١ : ٤١٩ ـ ٤٢٠ / ح ٥١ ـ عن أمالي الطوسيّ ١ : ١٨٥.

وعنه صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: «**مَن كظم غيظاً وهو يَقْدر علىٰ إنفاذه ملأه الله أمناً وإيماناً ...**»[١].

وقال صلّى الله عليه وآله: «**مَن كظم غيظاً وهو يَقْدر علىٰ أن ينفذه، دعاه الله يومَ القيامة علىٰ رؤوس الخلائق حتّى يتخيّر من الحور ما شاء**»[٢].

وروىٰ أبو جعفر الباقر عليه السلام قال: «**إنّ رسول الله** صلّى الله عليه وآله **أُتي باليهوديّة التي سمّت الشاة للنبيّ** صلّى الله عليه وآله، **فقال لها: ما حَملكِ علىٰ ما صنعتِ؟! فقالت: قلتُ [في نفسي] إنْ كان نبيّاً لَم يضرَّه، وإن كان مَلِكاً أرحتُ الناسَ منه. قال: فعفا رسولُ الله** صلّى الله عليه وآله **عنها**»[٣].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «**أَولى الناس بالعفو أقدرُهم على العقوبة**»[٤].

وقال عليه السلام: «**عاتبْ أخاك بالإحسان إليه، واردُدْ شرَّه بالإنعام عليه**»[٥].

قال المحدّث القمّيّ: كان عليٌّ عليه السلام أحكمَ الناس وأكثرهم عفواً لمن أساءَ إليه، وصحّة هذا الأمر تتّضح من تعامله بالإحسان مع أعدائه، لمروان بن الحكم، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، الذين عَلم مكانَ اختفائهم بعد ما انهزموا من معركة الجمل، وفشلوا، لكنّه خلّىٰ سبيلهم، ولم يتعرّض لهم. ولمّا ظفر بصاحبة الهودج تعامل معها بغاية الشفقة والإحسان، ورفع السيف عن أهل البصرة بعد ما حاربوه وحاربوا أولاده وشتموه، فعفا عنهم ومنع مِن نَهب أموالهم وسَبْي ذراريهم.

---

١. بحارالأنوار ٧١: ٤٢٥ / ح٦٨ ـ عن: جامع الأخبار للسبزواريّ ٣٢٠ / ح٨٩٨.
٢. جامع الأخبار: ٣١٩ / ح٨٩٥.
٣. بحارالأنوار ٧١: ٤٠٢ / ح٩ ـ عن: الكافي ٢: ١٠٨.
٤. نهج البلاغة: الكلمات القصار / الرقم ٥٢.
٥. المصدر نفسه / الرقم ١٥٨.

ولا يخفىٰ ما صنع عليه السلام مع جيش معاوية في معركة صفّين بعد ما أمر معاوية بمنع الماء عن أصحابه، فإنّه بعد أن استولىٰ على الماء نهىٰ أصحابه عن منعهم من الماء، وقال لهم: إنّ السيف يُغنينا عن هذا العمل. فأمر بفتح طريق إلى الماء لجيش معاوية.

ذكر جمعٌ من أهل السنّة في كتبهم هذه الحكاية، وهي: أنّ أحد نقباء أهل السنّة رأى أميرَ المؤمنين عليه السلام في المنام، فقال له: يا أمير المؤمنين، لقد أعطيتم الأمان للناس يوم فتح مكّة وقُلتم مَن دخل دارَ أبي سفيان فهو آمِن. فقد أحسنتم إليه هذا الإحسان العظيم، لكنْ تعاملَ ابنُه بأسوأ المعاملة، حيث قتل ابنك الحسين في كربلاء، وفعل ما فعل.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ألا سمعتَ أشعار ابن الصيفيّ؟! قال: لا، قال: خذْ جوابك منه. قال: فلمّا انتبهت من نومي ذهبتُ إلى دار ابن الصيفيّ المعروف بالحَيص بَيص، فذكرتُ له رؤياي، فلمّا سمعها شهق وبكىٰ بكاءً شديداً، ثمّ قال: أمَا واللهِ قد نظمتُ هذه الأشعار التي أشار إليها أمير المؤمنين عليه السلام هذه اللّيلة، ولم يسمعْها أحدٌ منّي، ولم أكتبها لأحد. ثمّ أنشدها، وهي:

مَلَكْنا فكان العفوُ منّا سَجيّةً ... ولمّا مَلَكْتُم سالَ بالدمّ أبْطَحُ
وحلّلتمُ قتلَ الأُسارىٰ وطالما ... غدَوْنا عن الأسرىٰ نعفُّ ونصفحُ
فحَسْبُكمُ هذا التفاوتُ بينَنا ... وكلُّ إناءٍ بالذي فيه يرشَحُ[1]

قال الإمام عليّ عليه السلام: «**إذا قدرتَ علىٰ عدوّك، فاجعلِ العفوَ عنه شُكراً للقدرة عليه**»[2].

---

١. منتهى الآمال (معرّب) ١: ٢٩٩ وقد أوردها الدَّميريّ في «حياة الحيوان».
٢. بحارالأنوار ٧١: ٤٢٧ / ح٧٦ ـ عن: نهج البلاغة: الحكمة ١١.

وعن الإمام الرضا عليه السلام: ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾[١] قال: «**العفوُ مِن غير عتاب**»[٢].

وروىٰ عليه السلام عن آبائه عن أمير المؤمنين صلوات الله عليهم قال: «**قال رسول الله** صلّى الله عليه وآله: **عليكم بمكارم الأخلاق؛ فإنّ الله عزّ وجلّ بعثني بها، وإنّ من مكارم الأخلاق أن يعفوَ الرجل عمّن ظلمه، ويُعطيَ مَن حرمه، ويصلَ مَن قطعه، وأن يعود مَن لا يعوده**»[٣].

وعن الإمام جعفر عن أبيه عليهما السلام قال: «**قال رسول الله** صلّى الله عليه وآله: **إنّ العفو يزيد صاحبَه عِزّاً، فاعفُوا يُعزَّكُمُ الله**»[٤].

وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**ألا أَدُلُّكم علىٰ خير أخلاق الدنيا والآخرة، تصلُ مَن قطعك، وتُعطي مَن حرمك، وتعفو عمّن ظلمك**»[٥].

إنّ الله عزّ وجلّ أدّب نبيَّه أحسنَ الأدب فقال: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[٦].

فلمّا وعى الذي أمَرَه قال تعالىٰ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾[٧].

فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم لجَبرئيل عليه السلام: «**وما العفو؟**» قال: «**أن تصل مَن قطعك، وتُعطيَ مَن حرمك، وتعفوَ عمّن ظلمك**». فلمّا فعل ذلك أوحى الله إليه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٨].

---

١. الحِجر: ٨٥.
٢. بحارالأنوار ٧١: ٤٢١ /ح٥٦ ـ عن: معاني الأخبار: ٣٧٣.
٣. بحارالأنوار ٧١: ٤٢٠ /ح٥٣ ـ عن أمالي الطوسيّ ٢: ٩٢.
٤. بحارالأنوار ٧١: ٤١٩ /ح٤٩ ـ عن: أمالي الطوسيّ ١: ١٤.
٥. بحارالأنوار ٧١: ٣٩٩ /ح٢ ـ عن: الكافي ٢: ١٠٧.
٦. الأعراف: ١٩٩.
٧. الحشر: ٧.
٨. القلم: ٤.

عن أبي مطر البصريّ: أنّ أمير المؤمنين عليه السلام مرّ بأصحاب التمر فإذا هو بجارية تبكي، فقال: «**يا جارية ما يُبكيك ؟!**» فقالت: بعثني مولاي بدرهمٍ فابتعتُ مِن هذا تمراً فأتيتُهم به فلم يرضَوه، فلمّا أتيته به أبىٰ أن يقبَلَه. فقال الإمام عليه السلام: «**يا عبدَ الله، إنّها خادم وليس لها أمرٌ، فارددْ إليها دِرهمها وخذ التمرَ**». فقام إليه الرجل فلكزَه، فقال الناس: هذا أمير المؤمنين! فربا[١] الرجل واصفرّ وأخذ التمر وردّ إليها درهمَها، ثمّ قال: يا أمير المؤمنين، إرض عنّي، فقال: «**ما أرضاني عنك إن أصلحت أمرك**». وفي كتاب فضائل أحمد: «**إذا وفيتَ الناسَ حقوقهم**»[٢].

ودعا عليه السلام غلاماً له مراراً فلم يُجبْه، فخرج فوجده علىٰ باب البيت، فقال: «**ما حملك علىٰ ترك إجابتي ؟!**» قال: كَسِلتُ عن إجابتك، وأمنت عقوبتَك. فقال: «**الحمدُ لله الذي جعلني ممّن يَأمنه خَلقُه، اِمضَ فأنت حرٌّ لوجه الله**»[٣].

ورُوي أنّه جاءه أبو هريرة ـ وكان تكلّم فيه وأسمعه في اليوم الماضي ـ وسأله حوائجه، فقضاها، فعاتبه أصحابه علىٰ ذلك، فقال: إنّي لأَسْتحي أن يَغلبَ جهلُه عِلمي، وذنبُه عفوي، ومسألتُه جُودي[٤].

ورُوي: قالت له عائشة يومَ الجمل: ملكتَ فأسجَحْ. فجهّزها أحسنَ الجهاز، وبعث معها بتسعين امرأةً أو سبعين، واستأمَنَتْ لعبد اللهبن الزبير علىٰ لسان محمّدبن أبي بكر فآمنه وآمن معه سائرَ الناس.

وجيءَ بموسىبن طلحةبن عبيد الله فقال له: قُلْ: «**أستغفر اللهَ وأتوب**

---

١. ربا الرجل، أي: أخذه الربو، وهو ضيق التنفّس.
٢. بحارالأنوار ٤١: ٤٨ /ح١ ـ عن: مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ١: ٣١٦.
٣. بحارالأنوار ٤١: ٤٨ /ح١ ـ عن: مناقب آل أبي طالب ١: ٣١٦.
٤. بحارالأنوار ٤١: ٤٩ /ح١ ـ عن مناقب آل أبي طالب ١: ٣١٧.

إليه» ثلاث مرّات، وخلّىٰ سبيله، وقال: «**إذهبْ حيث شئت، وما وجدتَ لك في عسكرنا من سلاحٍ أو كراع فخذه، واتقِ الله فيما تستقبله من أمرك، واجلسْ في بيتك**»[١].

ولمّا أدرك عمرَوبن عبدودّ لم يضربه، فوقعوا في عليٍّ عليه السلام فردّ عنه حذيفة، فقال النبيّ صلّى الله عليه وآله: مَهْ يا حذيفة؛ فإنّ عليّاً سيذكر سبب وقفته. فلمّا جاء سأله النبيّ صلّى الله عليه وآله عن ذلك، فقال: «**شتمَ أُمّي وتفل في وجهي، فخَشِيت أن أضربه لحظِّ نفسي، فتركتُه حتّى سكن ما بي، ثمّ قتلته في الله**»[٢].

قال الجاحظ في البيان والتبيين: إنّ أوّل خُطبةٍ خطبها أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «**قد مضت أمورٌ لم تكونوا فيها بمحمودِي الرأي، أما لو أشاء أن أقول لقلت، ولكن عفا الله عمّا سلف، سبق الرجلانِ وقام الثالث كالغُراب، همّتُه بطنه، يا ويله لو قصَّ جناحه وقطع رأسه لَكان خيراً له**»!

وقال: «**اللّهمّ إنّي أستعديك علىٰ قريش؛ فإنّهم ظلموني في الحَجَر والمَدَر**»[٣].

وقد عفا الإمام عليه السلام عمّن أساء إليه، كمروان بن الحكم، فعندما ظفر عليه السلام بمروان أبىٰ أن يَفتِك به، بل أطلق سبيله ليذهب حيث يشاء، وكان يعلم أنّه ذاهب إلى الشام إلى ابن عمّه.

ومثل هذا حلمه عليه السلام مع الزبير وطلحة وكانا نكثا بيعته، وقالا: نريد عُمرة! قال: «**بل تريدان غدرة!**» فقصدا مكّة وحملا عائشة على المسير إلى

---

١. بحارالأنوار ٤١: ٥٠ / ح٢ ـ عن: مناقب آل أبي طالب ١: ٣١٧.
٢. بحارالأنوار ٤١: ٥٠ ـ ٥١ / ح٣ ـ عن: مناقب آل أبي طالب ١: ٣١٧.
٣. بحارالأنوار ٤١: ٥١ / ح٣ ـ عن: مناقب آل أبي طالب ١: ٣١٨.

البصرة، وقُتل في حرب الجمل آلافٌ من المسلمين.

أمّا عائشة،

فقد قال الإمام عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه يوم الجمل لعائشة: «كيف رأيتِ صنعَ الله بكِ يا حُمَيراء؟!» فقالت له: مَلكتَ فأسجَحْ. تعني: تكرَّم[١].

كذاك عائشةٌ قد ردّها كرماً
إلى المدينة كي بالرّغْد تأويها

أحاطها بنِسا قيسٍ معمّمة
مِثلَ الرجال سَرَتْ مَعْها تُماشيها

كانت لها خَفَراً في طُول رحلتِها
وعن مصائبها الشتّىٰ تُسلّيها

وَهْي التي ناوَأتْ ظلماً خلافتَهُ
وليس في الناس أشقىٰ مِن مُناويها[٢]

آبت (أمّ المؤمنين) عائشة إلى بيتها أسيفةً ثاكلة، رجعت إلىٰ بيتها بعد أن قُتل ابن عمّها طلحة الذي كانت تأمل أن تراه علىٰ كرسيّ الحكم. قُتل ابن عمّها هذا وقتل ابنه محمّد، وقُتل الزبير زوج أُختها أسماء، إلى آخرين مِن ذويها، رجعت إلىٰ بيتها وفي نفسها ألف حسرةٍ وندامة، بعد أن لم تسمع لمشورة نصحائها.

رجعت إلى المدينة وصدرُها يغلي على الإمام عليّ بن أبي طالب كالمِرجَل، وبقيت منطويةً علىٰ غيظها عليه مدّةَ خلافته القصيرة حتّىٰ إذا

---

١. بحارالأنوار ٣٢: ٢٦٥ /ح٢٠١ ـ عن: معاني الأخبار: ٣٠٤.
٢. القصيدة العلويّة لعبد المسيح الأنطاكيّ: ٥٢٩.

جاء نعيُه عليه السلام سجدت لله شكراً! وأظهرت السرور وتمثّلت:

فألقَتْ عَصاها واستقرّ بها النَّوىٰ   كما قرّ عَيناً بالإيابِ المسافرُ!

ثمّ قالت: مَن قتله؟

فقيل: رجلٌ من مراد.

فقالت:

فإن يكُ نائياً فَلَقَدْ نَعاه   نعيٌّ ليسَ في فيهِ الترابُ!

فقالت زينب ابنة أمّ سلمة: ألِعليٍّ تقولين هذا؟!

فقالت: إنّي أنسىٰ، فإذا نسيتُ فذكّروني(١).

«وَإذا عُصِيَ اللّٰهُ ساخِطاً، وَإذا أُطِيعَ اللّٰهُ راضِياً»:

الميزان عند أمير المؤمنين عليه السلام، رضى اللهِ وسخطُه، كائناً مَن كان ذلك الطرَف.

كان النجاشيّ شاعر الإمام عليٍّ عليه السلام بصفّين، فشرب الخمر بالكوفة، فحدّه أمير المؤمنين عليه السلام، فغضب ولحق بمعاوية وهجا عليّاً عليه السلام!

عن عوانة قال: خرج النجاشيّ في أوّل يوم من شهر رمضان، فمرّ بأبي سمّال الأسديّ وهو قاعدٌ بفِناء داره، فقال له: أين تريد؟ قال: أريد الكناسة، قال: هل لك في رؤوس وأليات قد وُضِعت في التنّور من أوّل اللّيل فأصبحَتْ قد أينعت وتهرّأت؟! قال: وَيْحك! في أوّل يومٍ من رمضان؟! قال: دَعْنا ممّا لا نعرف، قال: ثم مَه؟ قال: ثمّ أسقيك من شراب كالورس يُطيّب النفس، ويجري في العرق ويزيد في الطَّرق، يهضم

---

١. أحاديث أمّ المؤمنين عائشة: ٢٠٣.

الطعام، ويسهّل للفدم الكلام. فنزل فتغدّيا ثمّ أتاه بنبيذٍ فشرباه، فلمّا كان من آخر النهار علَت أصواتُهما، ولهما جارٌ يتشيّع من أصحاب عليٍّ عليه السلام، فأتى عليّاً عليه السلام فأخبره بقصّتهما، فأرسل إليهما قوماً فأحاطوا بالدار، فأمّا أبو سمّال فوثب إلى دُور بني أسد فأفلَت، وأمّا النجاشيّ فأُتيَ به عليّاً عليه السلام، فلمّا أصبح أقامه في سراويل فضربه ثمانين جلدةً، ثمّ زاده عشرين سوطاً، فقال: يا أمير المؤمنين، أمّا الحدّ فقد عرفتُه، فما هذه العلاوة التي لا تُعرف؟ قال: «**لجرأتك علىٰ ربّك، وإفطارِك في شهر رمضان**».

ثمّ أقامه في سراويله للناس، فجعل الصبيان يصيحون به: خرى النجاشيّ! فجعل يقول: كلّا واللهِ إنّها يمانيّةٌ [وكاؤها شِعر]. ومرّ به هندبن عاصم السلوليّ فطرح عليه مطرفاً، ثمّ جعل الناس يمرّون به فيطرحون عليه المطارف حتّى اجتمعت عليه مطارف كثيرة، ثمّ أنشأ يقول:

إذا اللهُ حَيّا صالحاً مِن عبادِهِ ... تقيّاً، فحيّا اللهُ هندَ بنَ عاصمِ
وكلُّ سلوليٍّ إذا ما دعوتَهُ ... سريعٌ إلىٰ داعي العُلىٰ والمكارمِ

ثمّ لحق بمعاوية وهجا عليّاً عليه السلام، فقال:

ألا مَن مُبلغٌ عنّي عليّاً ... بأنّي قد أمِنتُ فلا أخافُ
عَمَدتُ لمستقرِّ الحقِّ لمّا ... رأيتُ قضيّةً فيها اختلافُ

وعن أبي الزنّاد قال: دخل النجاشيّ علىٰ معاوية وقد أذن معاوية للناس عامّة، فقال لحاجبه: ادعُ النجاشيّ، قاله والنجاشيُّ بين يديه، ولكن اقتحمَتْه عينُه، فقال: ها أنا ذا النجاشيّ بين يديك يا أمير المؤمنين، إنّ الرجال ليست بأجسامها، إنّما لك من الرجل أصغراه قلبُه ولسانُه[1].

---

١. الغارات للثقفي ٢: ٥٣٣.

نماذج من عفو الإمام الحسن بن عليّ عليه السلام عمّن أساء إليه، وكرمه:

روى المحدّث القمّيّ: أنّ شامياً رآه راكباً، فجعل يلعنه والإمام الحسنُ عليه السلام لا يردّ.. فلمّا فرغ أقبل الإمام الحسن عليه السلام فسلّم عليه وضحك فقال: **«أيّها الشيخ، أظنّك غريباً، ولعلّك شبّهت، فلو استَعْتَبْتَنا أعتبناك، ولو سألتَنا أعطيناك، ولو استرشدتنا أرشدناك، ولو استحملتنا أحملناك، وإنْ كنتَ جائعاً أشبعناك، وإنْ كنتَ عرياناً كسوناك، وإنْ كنتَ محتاجاً أغنيناك، وإنْ كنتَ طريداً آويناك، وإن كان لك حاجةٌ قضيناها لك، فلو حرّكتَ رَحْلَكَ إلينا وكنتَ ضيفَنا إلىٰ وقتِ ارتحالك كان أعودَ عليك؛ لأنّ لنا موضعاً رحباً وجاهاً عريضاً ومالاً كثيراً»**.

فلمّا سمع الرجل كلامه بكىٰ، ثمّ قال: أشهدُ أنّك خليفة الله في أرضه، الله أعلمُ حيث يجعل رسالتَه، وكنتَ أنت وأبوك أبغضَ خلق الله إليّ، والآن أنت أحبُّ خلق الله إليّ. وحوّل رحله إليه، وكان ضيفَه إلىٰ أن ارتحل، وصار معتقداً لمحبّتهم[١].

ووقف رجل عليه فقال: يابن أمير المؤمنين، بالذي أنعم عليك بهذه النعمة التي ما تليها منه بشفيع منك إليه، بل إنعاماً منه عليك، إلّا ما أنصفتني من خصمي؛ فإنّه غشوم ظلوم، لا يوقّر الشيخ الكبير، ولا يرحم الطفل الصغير.

وكان عليه السلام متّكئاً فاستوى جالساً وقال له: **«مَن خصمك حتّى انتصف لك منه؟!»** فقال له: الفقر. فأطرق رأسه ساعة ثمّ رفع رأسه إلىٰ خادمه

---

١. منتهى الآمال (معرّب) ١: ٤٢٣، عن: الكامل في اللّغة والأدب للمبرّد ١: ٣٢٥، عنه: بحارالأنوار ٤٣: ٣٤٤ / ح ١٩.

وقال له: «أحضِرْ ما عندك من موجود». فأحضر خمسة آلاف درهم، فقال: «ادفعْها إليه». ثمّ قال له: «بحقّ هذه الأقسام التي أقسمتَ بها علَيّ، متىٰ أتاك خصمك جائراً إلّا ما أتيتَني منه متظلّماً»[١].

نماذج من عفو الإمام الحسين عليه السلام وأبنائه عليهم السلام عمّن أساء إليهم، ومِن كرمِهم:

رُويَ أنّ غلاماً لإمامنا الحسين بن عليّ عليهما السلام جنى جنايةً توجب العقاب عليه، فأمر به أن يُضرَب، فقال: يا مولاي، ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾، قال: «خلّوا عنه»، فقال: يا مولاي، ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾، قال: «قد عفوتُ عنك»، قال: يا مولاي: ﴿وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ قال: «أنت حرٌّ لوجه الله، ولك ضِعف ما كنتُ أعطيك»[٢].

ورُوي: جعلَتْ جاريةٌ لعليّ بن الحسين عليهما السلام تسكب الماء عليه، وهو يتوضّأ للصلاة، فسقط الإبريق من يد الجارية علىٰ وجهه فشجّه، فرفع عليّ بن الحسين عليهما السلام رأسه إليها، فقالت الجارية: إنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ فقال لها: «قد كظمتُ غيظي»، قالت: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾، قال لها: «قد عفا الله عنكِ»، قالت: ﴿وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، قال: «اذهبي فأنتِ حرّة»[٣].

وروىٰ حفص بن أبي عايشة قال: بعث أبو عبد الله الحسين عليه السلام غلاماً له في حاجة فأبطأ، فخرج أبو عبد الله علىٰ أثره لمّا أبطأ، فوجده

---

١. العُدد القويّة لدفع المخاوف اليوميّة لرضيّ الدين عليّ بن يوسف بن مطهّر الحلّيّ: ٣٥٩ / ح٢٣، اليوم الثامن والعشرون ـ عنه: بحارالأنوار ٤٣: ٣٥٠ / ح٢٢.
٢. مسند الإمام الشهيد ١: ٣٧ / ح١٧.
٣. بحارالأنوار ٧١: ٤١٣ / ح٣٠ ـ عن: أمالي الصدوق: ١٢١.

نائماً، فجلس عند رأسه يروّحه حتّى انتبه، فلمّا انتبه قال له أبو عبد الله عليه السلام: «**يا فلان، واللهِ ما ذلك لك، تنام اللّيلَ والنهار، لك اللّيل ولنا منك النهار**»[١].

«**وَعَنِ النَّاسِ عافِياً غافِراً**»:

عفوتَ عنه، قصدتَ إزالة ذنبه صارفاً عنه، والغافر والغفور في وصف الله سبحانه، نحو: غافر الذَّنْب[٢].

لمّا فرغ الإمام عليّ عليه السلام من تجهيز الجثمان الطاهر لرسول الله صلّى الله عليه وآله، ودفنه، وإذا به يجد كلَّ شيءٍ قد تمّ للقوم، ولم يبق معه سوىٰ أهل بيته ونفرٍ قليل من الصحابة، يقول عليه السلام: «**فنظرتُ فإذا ليسَ لي مُعينٌ إلّا أهلَ بيتي، فضننتُ بهم عن الموت، وأغضيت علىٰ القذىٰ، وشربتُ علىٰ الشجىٰ، وصبرتُ علىٰ أخذ الكظم، وعلىٰ أمرَّ مِن طعمِ العلقم**».

وفي ضوء ما تقدّم فلم يبق أمام الإمام عليٍّ عليه السلام غيرُ خيارين:

الأوّل: الجهاد في طلب حقّه، وأخذه بالقوّة.

الثاني: الإكتفاء بدعوة الناس إلىٰ نفسه بالّتي هي أحسن وإقامة الحجّة عليهم، وترك الخلافة وحقّه المغتصَب فيها عند عدم نجاح هذا الأسلوب، يقول عليه السلام: «**وطَفِقْتُ أرْتأي بينَ أنْ أصولَ بيدٍ جَذّاء، أو أصبرَ علىٰ طخْيةٍ عَمياء، يَهْرَمُ فيها الكبير، ويَشيبُ فيها الصغير، ويَكدحُ فيها مؤمنٌ حتّىٰ يلقىٰ رَبَّه، فرأيتُ أنّ الصبرَ علىٰ هاتا أحْجىٰ، فصبرتُ وفي العينِ قَذىٰ، وفي الحَلْقِ شَجا، أرىٰ تُراثي نَهْباً ...**»[٣].

---

١. بحارالأنوار ٧١: ٤٠٥ / ح١٧ ـ عن الكافي ٢: ١١٢.
٢. المفردات في غريب القرآن: ٣٣٩.
٣. نهج البلاغة: الخطبة ٣.

إنّ عدم وجود الأنصار من جهة؛ ولأنّ قسماً لا يُستهان به من قريش ومن المنافقين كانوا يراقبون الوضع ليحصلوا علىٰ فرصةٍ مؤاتية من جرّاء حصول أيّ نزاع للإجهاز على الإسلام، وما رواه المؤرّخون في وصف موقف أبي سفيان ـ يومذاك ـ يُلقي الضوء علىٰ ما ذكرناه، حيث أراد أن يرفع لواء الجاهليّة باسم الإسلام ليتدارك ما فاته من القضاء على الإسلام في بدرٍ وأُحُدٍ والأحزاب.

وروى ابن عبدربّه عن مالك بن دينار قال: تُوفّي رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، وأبو سفيان غائبٌ في مسعاة أخرجه فيها رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، فلمّا انصرف لقيَ رجلاً في بعض طريقه مقبلاً من المدينة، فقال له: مات محمّد؟ قال: نعم. قال: فمَن قام مقامَه؟ قال: أبو بكر. قال أبو سفيان: فما فعل المستضعَفان عليٌّ والعبّاس؟ قال: جالسَين. قال: أما والله لئن بقيتُ لهما لأرفعنَّ من أعقابهما، ثمّ قال: إنّي أرىٰ غُبرةً لا يُطفئُها إلّا دمٌ! فلمّا قدم المدينة جعل يطوف في أزقّتها ويقول:

بَني هاشمٍ لا تَطمعِ الناسُ فيكمُ ... ولا سيّما تَيمَ بنَ مُرَّةَ أو عَدِيْ
فَمَا الأمرُ إلّا فيكُمُ وإليكُمُ ... وليس لها إلّا أبو حَسنٍ عليْ[1]

«وَإذا عُصِيَ اللّٰهُ ساخِطاً، وَإِذا أُطِيعَ اللّٰهُ راضِياً»:

روى الشيخ الصدوق بسنده عن هشام بن الحكم أنّ رجلاً سأل أبا عبد الله عليه السلام عن الله تبارك وتعالىٰ: له رضىً وسخط؟ قال: **«نعم، وليس ذلك علىٰ ما يوجَد من المخلوقين، وذلك أنّ الرضىٰ والغضب دخال يدخل عليه فينقله من حال إلىٰ حال معتمل مركّب للأشياء فيه مدخل، وخالقُنا لا مدخل للأشياء فيه، واحدٌ؛ واحديُّ الذات، واحديُّ المعنىٰ، فرضاه ثوابه، وسخطُه عقابُه من غير شيء**

---
١. العقد الفريد ٤: ٢٥٧.

يتداخله فيهيّجه وينقله من حالٍ إلىٰ حال، فإنّ ذلك صفة المخلوقين العاجزين المحتاجين، وهو تبارك وتعالى القويُّ العزيز لا حاجة له إلىٰ شيءٍ ممّا خلق، وخَلْقُه جميعاً محتاجون إليه، إنّما خلق الأشياء لا من حاجة ولا سبب، اختراعاً وابتداعاً»[١]. وأمير المؤمنين عليه السلام عبدُ الله، ويسخط ويرضى له سبحانه.

ورُوىٰ عن النصربن قابوس قال: سألتُ أبا عبد الله عليه السلام عن معنى الحديث: «مَن رضيَ مِنَ اللهِ تعالىٰ باليسير مِن الرزق، رضيَ الله تعالىٰ عنه باليسير مِن العمل»، قال: «يُطيعه في بعض، ويَعصيه في بعض»[٢].

وروى الشيخ المجلسيّ بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «بينا عيسى ابن مريم عليه السلام في سياحته، إذ مرّ بقريةٍ فوجد أهلها موتىٰ في الطرق والدور، فقال: إنّ هؤلاء ماتوا بسخطة، ولو ماتوا بغيرها تدافنوا. قال: فقال أصحابه: ودَدْنا أنّا عرفنا قِصّتهم، فقيل له: نادِهِم يا روحَ الله، قال: فقال: يا أهل القرية، قال: فأجابه مجيبٌ منهم: لبّيك يا روح الله، قال: ما حالكم؟ وما قصّتكم؟ قال: أصبحنا في عافية، وبِتْنا في الهاوية. قال: فقال: وما الهاوية؟ فقال: بحار من نار، فيها جبال من النار، قال: وما بلغ بكم ما أرىٰ؟ قال: حبُّ الدنيا وعبادة الطاغوت، قال: وما بلغ مِن حبّكم الدنيا؟ قال: كحبِّ الصبيّ لأمّه، إذا أقبلت فرِحَ، وإذا أدبَرت حَزِنَ، قال: وما بلغَ مِن عبادتكم الطواغيت؟ قال: كانوا إذا أمرونا أطعناهم، قال: فكيف أنت أجَبْتَني مِن بينهم؟ قال: لأنّهم مُلجَمون بلجمٍ من نار عليهم ملائكةٌ غلاظ شِداد، وإنّي كنتُ فيهم ولم أكن منهم. فلمّا أصابهم العذاب أصابني معهم، فأنا متعلّق بشعرة علىٰ شفير جهنّم، أخاف أن أُكبكَب في

---

١. معاني الأخبار / باب معنىٰ رضى الله عزّ وجلّ وسخطه: ٢٠ / ح٣.
٢. المصدر: ٢٦٠ / ح١.

النار. قال: فقال عيسى عليه السلام لأصحابه: إنّ النومَ على المزابل وأكلَ خبز الشعير خيرٌ كثيرٌ مع سلامة الدِّين»[١].

وقال الإمام عليّ عليه السلام: «رضى الله سبحانه أقربُ غاية تُدرَك»، وقال: «رضى الله سبحانه مقرونٌ بطاعته»[٢].

ورُويَ أنّ موسىٰ عليه السلام، قال: «يا ربِّ، أخبرْني عن آيةِ رضاك عن عبدك». فأوحى الله تعالىٰ إليه: «إذا رأيتني أُهيّئ عبدي لطاعتي وأصرفه عن معصيتي فذلك آية رضاي»[٣].

«وَبِما عَهِدَ إِلَيْكَ عامِلاً»:

العهد المأخوذ بالعقل وهو الحجّة علىٰ عباده وبالرُّسل على الأمم بأنّهم إذا بُعث إليهم رسولٌ مصدَّقٌ بالمعجزات صدّقوه واتّبعوه.

قال الشيخ المجلسيّ: المراد بالعهد أصول الدين من الإقرار بالتوحيد والنبوّة، والإمامة، والمعاد، والوفاءُ بالشرط هو الإتيان بالمأمورات والإنتهاء عن المنهيّات، وقيل: أراد بالعهد الميثاقَ بقولِه: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾، وبالشرط قولَه تعالىٰ: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ...﴾[٤][٥].

وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «لا دينَ لمَن لا عهدَ له»[٦].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «أَوفُوا بعهدِ مَن عاهدتم»[٧].

---

١. بحارالأنوار ١٤: ٣٢٢ / ح٣٣ ـ عن: معاني الأخبار: ٩٧.
٢. غرر الحكم: ١٨٦.
٣. أعلام الدين للديلميّ: ٢٨٣ ـ عنه: بحارالأنوار ٧٠: ٢٦ / ح٢٩.
٤. النساء: ٣١.
٥. بحارالأنوار ٦٧: ٢٦٤.
٦. بحارالأنوار ٧٥: ٩٦ / ح٢٠ ـ عن: نوادر الراونديّ: ٥.
٧. بحارالأنوار ٧٥: ٩٤ / ح١١ ـ عن: أمالي الطوسيّ ١: ٢١١.

وروىٰ عبد الله بن سنان قال: سألتُ أبا عبد الله عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾، قال عليه السلام: «العهود»[١].

وقال الإمام الرضا عليه السلام: «إنّا أهل بيت نرىٰ ما وعَدْنا علينا دَيْناً، لِما صنع رسولُ الله صلّى الله عليه وآله»[٢].

وقال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «ثلاثٌ لم يجعل اللهُ لأحدٍ من الناس فيهنّ رخصةً: بِرّ الوالدين بَرّيْن كانا أو فاجرين، والوفاء بالعهد بالبَرّ والفاجر، وأداء الأمانة إلى البَرّ والفاجر»[٣].

«راعِياً لِمَا اسْتُحْفِظْتَ، حافِظاً لِمَا اسْتُودِعْتَ»:

استحفظَه الشيءَ، سأله أن يحفظه له وإِئْتَمَنَهُ عليه، ومنه في التنزيل العزيز: ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتابِ الله﴾[٤]، حافِظاً لِمَا اسْتُودعَ، حارساً لما استحفظه إيّاه[٥].

وقال عليه السلام: «اللّهمّ إنّي أعوذُ بك مِن أن تَحسُنَ في لامِعةِ العُيُون عَلانيتي، وتَقْبُحَ فيما أُبطِنُ لكَ سريرتي، محافظاً علىٰ رياءِ الناس من نفسي بجميع ما أنت مُطّلِعٌ عليه منّي، فأُبدي للناس حُسْن ظاهري، وأُفضي إليك بسُوءِ عَمَلي، تقرّباً إلىٰ عبادك، وتَباعُداً من مرضاتِك»[٦].

عاش الإمام عليّ عليه السلام شطراً من حياته مع الرسول المصطفى صلّى الله عليه وآله وسلّم، تكفّله طفلاً، فنشأ وترعرع في كَنَفِه، وتلقّىٰ تربيتَه وعطفَه وحنانَه، وانطبع بسلوكه، فكان مَثَلَه الأعلى الذي يقتدي به في جميع

---

١. بحارالأنوار ٧٥: ٩٥ / ح١٥ ـ عن: تفسير العيّاشيّ ١: ٢٨٩ / ح٥.
٢. بحارالأنوار ٧٥: ٩٧ / ح٢٢ ـ عن: مشكاة الأنوار ١: ٣٩٠ / ح٩٣٣.
٣. بحارالأنوار ٧٥: ٩٢ / ح٣ ـ عن: الخصال: ٨٩ / ح٢٧ ـ باب الثلاثة.
٤. المائدة: ٤٤.
٥. المصدر.
٦. نهج البلاغه: الحكمة ٢٧٦.

شؤون حياته، لم تفارق سيرتُه سنّتَه، ولم يفارق هديَ النبوّة، وهو الذي تحمّل أعباء الدعوة معه في حياته، فكان المكافحَ الأوّل من أجل إعلاء كلمة الله تعالىٰ في الأرض، ولم يزل يتحمّل أعباءها بعد وفاته ليواصل مسيرتها الظافرة.

كانت حياته جهاداً متواصلاً من أجل اتّباع الكتاب والسنّة، وتطبيق أحكامهما، حتّىٰ لقيَ ربَّه متشحّطاً بدمه في محراب مسجد الكوفة، فكانت حياته مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وموته معه؛ لأنّه استُشهِد وهو ملتزم بسُنّته، متّبعٌ لسيرته[١].

«مُبَلِّغاً مَا حُمِّلْتَ، مُنْتَظِراً مَا وُعِدْتَ»:

المبلِّغ: الموصل والمؤدّي ما أُمِرَ به[٢].

الإمام عليه السلام بلّغ ما عَهِد به رسولُ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إليه.

روى الهيثميّ عن ابن عبّاس، قال: كنّا نتحدّث أنّ رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم عهد إلى عليٍّ سبعين عهداً لم يعهدها إلى غيره[٣].

وروى الكنجيّ الشافعي عن سلمان: قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: **«صاحب سرّي عليُّ بن أبي طالب»**[٤].

وأمر صلّى الله عليه وآله بتنفيذ أوامره وإطاعته بكلّ ما أمر ونهىٰ.

وروى الطبريّ بإسناده عن الإمام عليّ بن أبي طالب [عليه السلام] قال: **«لمّا نزلت هذه الآية علىٰ رسول الله** صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: **﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ دعاني رسول الله** صلّى الله عليه [وآله] وسلّم **فقال لي: يا عليّ، إنّ الله**

---

١. شرح زيارة الغدير: ٢٤٢.
٢. مجمع البحرين، مادّة: بلغ.
٣. مجمع الزوائد ٩: ١١٣، ورواه الكنجيّ الشافعيّ في كفاية الطالب: ٢٩١ / الباب ٧٣.
٤. كفاية الطالب: ٢٩٣ / الباب ٧٤.

أمرني أن أُنذر عشيرتي الأقربين، فضقتُ بذلك ذرعاً، وعرفت أنّي متىٰ أباديهم بهذا الأمر أرىٰ منهم ما أكره، فصمَتُّ عليه حتّى جاءني جبرئيل فقال: يا محمّد، إنّك إلّا تفعَل ما تُؤمَر به يعذّبْك ربّك، فاصنع لنا صاعاً من طعام، واجعل عليه رِجْل شاة، واملأ لنا عُسّاً من لبن، ثمّ اجمع لي بني عبدالمطّلب حتّىٰ أُكلّمهم وأبلّغهم ما أُمِرتُ به. ففعلت ما أمرني به، ثمّ دعوتُهم له، وهم يومئذٍ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه، فيهم أعمامه: أبو طالب، وحمزة، والعبّاس، وأبو لهب. فلمّا اجتمعوا إليه دعا بالطعام الذي صنعتُ لهم، فجئت به، فلمّا وضعتُه تناول رسولُ الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم جِذْيةً من اللّحم، فشقّها بأسنانه، ثمّ ألقاها في نواحي الصُّحفة، ثمّ قال: خذوا بسم الله. فأكل القوم حتّىٰ ما لهم بشيء حاجةٌ وما أرىٰ إلّا موضع أيديهم وأيمُ الله الذي نفسُ عليٍّ بيده، وإن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدّ متُ لجميعهم. ثمّ قال: إسق القومَ. فجئتهم بذلك العُسّ، فشربوا منه حتّىٰ رُوُوا منه جميعاً، وأيمُ اللهِ إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثلَه. فلمّا أراد رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم أن يكلّمهم بَدَرَهُ أبو لهب إلى الكلام. فقال: أَشَدّ ما سحَرَكم صاحبُكم! فتفرّق القوم ولم يكلّمهم رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم. فقال: الغد يا عليّ. إنّ هذا الرجل سبقني إلى ما قد سمعتَ من القول، فتفرّق القوم قبل أن أكلّمهم، فعُدَّ لنا من الطعام بمثل ما صنعت، ثمّ اجمعْهم إليّ.

قال: ففعلتُ، ثمّ جمعتهم، ثمّ دعاني بالطعام فقرّبتُه لهم، ففعل كما فعل بالأمس، فأكلوا حتّىٰ ما لَهم بشيء حاجة. ثمّ قال: إسقهم. فجئتهم بذلك العُسّ. فشربوا حتّىٰ رُوُوا منه جميعاً، ثمّ تكلّم رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، فقال: يا بَني عبدالمطّلب، إنّي واللهِ ما أعلمُ شابّاً في العرب جاء قومَه بأفضل ممّا قد جئتُكم به، إنّي قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة. وقد أمرني الله تعالىٰ أن أدعوَكم

إليه، فأيُّكم يؤازرُني علىٰ هذا الأمر علىٰ أن يكون أخي ووصيّي وخليفتي فيكم؟ قال: فأحجم القومُ عنها جميعاً، وقلت وإنّي لأَحدَثُهُم سِنّاً، وأرمصهم عيناً، وأعظمهم بطناً، وأحمشهم ساقاً: أنا يا نبيَّ الله أكون وزيرك عليه. فأخذ برقبتي ثمّ قال: إنّ هذا أخي، ووصيّي، وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا. قال: فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع»[١].

ورُويَ أنّ رجلاً قال لعليّ عليه السلام: يا أمير المؤمنين، بِم وَرِثت ابنَ عمّك دون عمّك؟ فقال عليّ: هاؤم ـ ثلاث مرّات ـ حتّى اشْرَأبَّ الناس ونشروا آذانهم، ثمّ قال: «جَمعَ رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم ـ أو دعا رسول الله ـ بني عبدالمطّلب منهم رهطه، كلّهم يأكل الجذعَة ويشرب الفرق، قال: فصنع لهم مُدّاً من طعام، فأكلوا حتّىٰ شبعوا وبقي الطعام كما هو، كأنّه لم يُمَسّ! قال: ثمّ دعا بغُمر فشربوا حتّىٰ رُوُوا وبقي الشراب كأنّه لم يُمَسّ ولم يشربوا! قال: ثمّ قال: يا بني عبد المطّلب. إنّي بُعِثتُ إليكم بخاصّة وإلى الناس بعامّة، وقد رأيتم مِن هذا الأمر ما قد رأيتم، فأيُّكم يبايعني علىٰ أن يكون أخي وصاحبي ووارثي؟ فلم يقم إليه أحد، فقمت إليه ـ وكنتُ أصغر القوم ـ فقال: إجلس. قال: ثمّ قال ثلاث مرات، كلّ ذلك أقوم إليه فيقول لي: إجلس، حتّىٰ كان في الثالثة، فضرب بيده علىٰ يدي. قال: فبذلك وَرِثتُ ابنَ عمّي دون عمّي»[٢].

«وَأَشْهَدُ أَنَّكَ مَا اتَّقَيْتَ ضارِعاً، وَلاَ أَمْسَكْتَ عَنْ حَقِّكَ جازِعاً»:

وأشهد أنّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام كان إتّقاؤه عن الناس لا لِذلّةٍ، بل مع قدرته لأخذ حقّه صبر، ولا لمنعهم إيّاه جزع، وقد قال عليه السلام: «إيّاكم والجزع؛ فإنّه يقطع الأمل، ويُضعف العمل، ويُورث الهمّ،

---

١. تاريخ الطبريّ ٢: ٣١٩.
٢. المصدر: ٣٢١.

واعلمْ أنّ المخرج في أمرين: ما كانت فيه حيلةٌ فالإحتيال، وما لم تكن فيه حيلة فالإصطبار»[١].

«وَلَاْ أَحْجَمْتَ عَنْ مُجاهَدَةِ غاصِبِيكَ ناكِلاً»:

ولا كففتَ عن قتال غاصبيك جُبناً.

قال عليه السلام لعمّه العبّاس: **«يا عمّ، إنّ رسول الله** [صلّى الله عليه وآله وسلّم] **وصّىٰ لي وأوصاني أن لا أجرّد سيفاً بعده حتّىٰ يأتيني الناس طوعاً، وأمرني بجمع القرآن والصمت حتّىٰ يجعل الله عزّ وجلّ لي مخرجاً»**[٢].

وقال عليه السلام: **«فنظرتُ فإذا ليس لي مُعينٌ إلّا أهلَ بيتي، فضَننتُ بهم علَى الموت، وأغضيتُ عَلَى القَذىٰ، وشَرِبتُ علَى الشَّجا، وَصَبرتُ علىٰ أخْذِ الكَظمِ، وعلىٰ أَمَرَّ مِنْ طعمِ العَلْقَم»**[٣].

قال ابن عبدربّه الأندلسيّ: الذين تخلّفوا عن بيعة أبي بكر: عليّ، والعباس، والزبير، وسعدبن عبادة. فأمّا عليّ والعباس والزبير، فقعدوا في بيت فاطمة حتّى بعث إليهم أبو بكر عمرَبن الخطّاب ليُخرِجهم من بيت فاطمة، وقال له: إن أبَوا فقاتِلْهم! فأقبل بقَبسٍ من نارٍ علىٰ أن يضرم عليهم الدار، فلَقِيَتْه فاطمة فقالت: يا ابن الخطاب! أجئتَ لتُحرق دارَنا؟! قال: نعم، أَوْ تدخلوا فيما دخلت فيه الأُمّة[٤].

قال المحدّث القمّيّ: روىٰ جماعة من أصحابنا في مصنّفاتهم أنّه لمّا استتمّ الأمر لأبي بكر، وصعد المنبر وجلس من مجلس رسول الله صلّى الله عليه وآله، أنكر ذلك علىٰ أبي بكر اثنا عشر رجلاً، ستّة من المهاجرين،

---

١. دعائم الإسلام للنعمان بن محمّد المغربيّ ١: ٢٢٣.
٢. مصائب النواصب ١: ٣٣٥.
٣. نهج البلاغة: الخطبة ٢٦.
٤. العقد الفريد ٤: ٢٥٩.

وهم: خالدبن سعيدبن العاص ـ وكان من بني أُميّة ـ وسلمان الفارسيّ، وأبوذرّ الغِفاريّ، والمِقدادبن الأسود، وعمّاربن ياسر، وبُرَيدة الأسلمي. وستّةمن الأنصار، وهم: أبو الهيثمبن التَّيِّهان، وسهل وعثمان إبنا حُنَيف، وخُزَيمة بن ثابت ذو الشهادتين، وأُبيّ بن كعب، وأبو أيّوب الأنصاريّ(١).

لجأ الإمام عليّ عليه السلام إلىٰ خيار المهادنة والدعوة إلىٰ نفسه بالتي هي أحسن، وإقامة الحجّة علىٰ أحقّيّته، وكان إمتناعه عن البيعة ومَن تابعه علىٰ ذلك، ومساندة البضعة الطاهرة وعمّه العباس له، يشكّل أقوى إحتجاج على الوضع القائم، وكان له أثره الكبير ومعناه العميق، وكان هو ومن معه يطعنون بالخلافة، ويقارعون خصومهم بالحجّة والبرهان كلّما كانت الفرصة مواتيةً لذلك.

لقد احتجّ العبّاسبن عبدالمطّلب على أبي بكر، قائلاً: فإنْ كنتَ برسول الله طلبتَ ـ الخلافة ـ فحقَّنا أخذتَ، وإنْ كنتَ بالمؤمنين طلبتَ فنحن منهم، متقدِّمون فيهم، وإنْ كان هذا الأمر إنّما يجب لك بالمؤمنين، فما وجب إذ كنّا كارهين!

وقيل لعليّ: بايعْ أبابكر، فقال: **«أنا أحقُّ بهذا الأمر منكم، لا أُبايعكم، وأنتم أولىٰ بالبيعة لي، أخذتُم هذا الأمرَ من الأنصار واحتججتم عليهم بالقرابة من النبيّ** صلّى الله عليه وآله وسلّم، **وتأخذونه منّا أهلَ البيت غصباً!! ألستم زعمتم للأنصار أنّكم أَولىٰ بهذا الأمر؛ لِما كان محمّد منكم فأعطَوكُم المَقادة وسلّموا إليكم الإمارة؟! وأنا أحتجّ عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار، نحن أَولى برسول الله حيّاً وميّتاً، فأنصفونا إن كنتم تؤمنون وإلّا فبُوؤا بالظلم وأنتم تعلمون»**.

---

١. الإحتجاج: ١٨٦.

وقال عليه السلام لأبي عُبَيدة: **«اَللهَ اللهَ يا معشر المهاجرين، لا تُخرِجوا سلطانَ محمّد في العرب عن داره وقعر بيته إلى دُوركم وقعور بيوتكم، ولا تدفعوا أهلَه عن مقامه في الناس وحقّه، فو اللهِ ـ يا معشرَ المهاجرين ـ لَنحنُ أحقُّ الناس به؛ لأنّا أهلُ البيت ونحن أحقُّ بهذا الأمر منكم ما كان فينا: القارئ لكتاب الله، الفقيه في دين الله، العالِم بسُنن رسول الله، المضطلع بأمر الرعيّة، المدافع عنهم الأمور السيّئة، القاسم بينهم بالسَّويّة. واللهِ إنّه لَفينا، فلا تَتَّبِعوا الهوىٰ فَتَضِلُّوا عن سبيل الله، فتزدادوا من الحقّ بُعداً!»**

قال ابن قتيبة: وخرج عليٌّ كرّم الله وجهه يحمل فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم علىٰ دابّةٍ ليلاً في مجالس الأنصار، تسألهم النُّصرة، فكانوا يقولون: يا بنتَ رسول الله، قد مضت بيعتُنا لهذا الرجل، ولو أنّ زوجَكِ وابن عمّك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدَلْنا به!

فيقول عليّ كرّم الله وجهه: **«أفكنتُ أدَعُ رسولَ الله** صلّى الله عليه وآله وسلّم **في بيته لم أدفنْه، وأخرجُ أنازعُ الناسَ سلطانه؟!»**

فقالت فاطمة: **«ما صنع أبو الحسن إلّا ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا ما اللهُ حسيبُهم عليه»**.

يتبيّن لنا ممّا تقدّم: أنّ الإمام عليّاً عليه السلام ترك الخلافة حفاظاً على الدين، وإبقاءً علىٰ مُعتنقيه خوفاً مِن ردّتهم، وقد طالب بلسانه، فبَيّن ظُلامتَه للناس، وقارعَ خصومه بالحجّة والبرهان، ولم يكن ذلك منه خوفاً ولا جزعاً، ولا نكوصاً ولا جبناً، ولم يكن مخاتلاً يُضمر غيرَ ما يُظهر، بل أظهر سخَطَه ومعارضته بكلّ شجاعة، وطالب بحقّه بوسائل تُبعد الأمّة عن الفتنة التي لا يعلم نتائجَها إلّا الله، ولم يصبه وهنٌ ولا ذُلّ، ولم يراقب في ذلك سوى الله تعالىٰ، ولم يرتهب من السلطة[1].

---

١. شرح زيارة الغدير: ١٧٧ عن الإحتجاج: ١٨٤.

بيعة أبي بكر:

قال أبوبكربن أبي قحافة: إنّ بيعتي كانت فلتةً وقَى اللهُ شرَّها![1]

وقال عمربن الخطاب: إنّما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمّت، ألا وإنّها قد كانت كذلك، ولكنّ الله وقىٰ شرَّها![2]

وقال أبو جعفر الإسكافيّ المعتزليّ: إنّ القوم لمّا بلغهم اجتماع الأنصار وما بدأوا به من الخلاف، بادروا بالبيعة لأبي بكر مخافةَ الإنتشار والإختلاف وفساد القوم، ولذلك قال عمر: كانت بيعة أبي بكر فلتة وقىٰ الله شرّها![3]

أقول: كلام أبي بكر وعمر يدلّ علىٰ أنّ بيعة أبي بكر لم تكن بالإجماع، بل بانتهاز الفرصة، والمغافلة، والمعاجلة علىٰ حين غرّة، لا علىٰ ضوء وصيّة نبويّة، ولا شُورىٰ من طريق المسلمين!

«وَلا أَحْجَمْتَ عَنْ مُجاهَدَةِ غاصِبِيكَ ناكِلاً»:

اللّغة: أحَجَمَ عن الشيء: كفَّ ونَكص هيبةً، نكل: جبن عن العدوّ.

المعنىٰ: لم يجبن حين يمتنع ويكفّ عن الجهاد؛ فإنّه عليه السلام أنسى الناسَ مَن كان قبلَه، ومحا اسمَ مَن يأتي بعده، ومقاماته في الحروب مشهورة يُضرَب بها الأمثال إلىٰ يوم القيامة، وهو الشجاع الذي ما فرّ قطّ، ولا ارتاع من كتيبة، ولا بارز أحداً إلّا قتله، ولا ضرب ضربةً قطّ فاحتاجت الأولىٰ إلى ثانية، وفي الحديث: كانت ضرباته وتْراً. ولمّا دعا معاويةَ إلى المبارزة ليستريح الناسُ مِن الحرب بقتل أحدهما، قال له عمرو: لقد

---

١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ١٩ دار الإحياء.
٢. صحيح البخاري ٨: ٢١٠ باب رجم الحُبلىٰ، ومسند أحمد ١: ٥٥، والسيرة النبويّة لابن هشام ٤: ٣٠٩.
٣. المعيار والموازنة: ٣٨.

أنصفك، فقال معاوية: ما غششتَني منذ نصحتي إلّا اليوم، أتأمُرُني بمبارزة أبي الحسن و أنت تعلم أنّه الشجاع المطرق ؟! أراك طمعت في إمارة الشام بعدي. وكانت العرب تفتخر بوقوفها في الحرب في مقابلته، فأمّا قتلاه فافتخار رهطهم بأنّه عليه السلام قتَلَهم أظهر و أكثر، قالت أخت عمرو بن عبدودّ ترثيه:

لَو كانَ قاتلُ عَمْرٍو غيرَ قاتِلِهِ   بَكِيتُه أبداً ما دُمتُ في الأَبَدِ
لكنّ قاتِلَه مَن لا نظيرَ لَهُ   وكانَ يُدعىٰ أبوهُ بَيضةَ البَلَدِ

وانتبه معاوية يوماً فرآىٰ عبدالله بن الزبير جالساً تحت رجليه علىٰ سريره، فقعد، فقال له عبدالله يداعبه: يا أمير المؤمنين، لو شئتُ أن أفتك بك لَفعلت! فقال: لقد شجعت بعدنا يا أبابكر، قال: وما الذي تُنكره مِن شجاعتي وقد وقفتُ في الصفّ إزاءَ عليّ بن أبي طالب ؟! قال: لا جرمَ إنّه قتل أباك بيُسرىٰ يَديْه وبَقِيتِ اليمنىٰ فارغةً يطلب مَن يقتله بها!

وجملة الأمر أنّ كلّ شجاع في الدنيا إليه ينتهي، باسمه ينادي في مشارق الأرض ومغاربها.

و أمّا القوّة والأيْد، فبِهِ يُضرَب المثل فيهما، قال ابن قتيبة في المعارف: ما صارع أحداً قطّ إلّا صَرَعه، وهو الذي قلع باب خيبر، وقد اجتمع عليه عصبة من الناس ليقلبوه فلم يقلبوه، وهو اقتلع هُبَلَ من أعلى الكعبة وكان عظيماً جدّاً فألقاه إلى الأرض، وهو الذي اقتلع الصخرة العظيمة في أيام خلافته عليه السلام بعد عجز الجيش كلّه عنها، فانبطّ الماء من تحتها[1].

«وَلَا أَظْهَرْتَ الرِّضىٰ بِخِلافِ مَا يُرْضِي اللّٰهَ مُداهِناً»:

الإنسان قد يتّقي لدينه تقيّةً وهو مطلوبٌ شرعاً وعرفاً. وكان

١. الغزوات: المقدمة ١٢.

أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام يتّقي لله. وكان عليه السلام يخطب يوماً فقام رجلٌ إليه فسأله عن قول الله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[١]، فيمَن نزلت؟ فقال [عليه السلام]: **«ما تريد؟ أتـريد أن تُغري بيَ الناس؟!»** فقال: لا يا أميرالمؤمنين، ولكنْ أُحبّ أن أعلم، قال: **«اجلسْ»**. فجلس، فقال: **«اكتبْ عامراً، اكتب معمّراً، اكتبْ عمراً، اكتب عمّاراً، اكتب مُعْتمراً، في أحد الخمسة نزلت»**. قال سفيان: قلت لفُضَيل: أتراه عمر؟ قال: فمَن هو غيرُه؟![٢]

ولم يكن سلام الله عليه مداهناً.

وقال في ذمّ المُداهـنين: **«أوحى الله تعالىٰ جلّت قدرته إلىٰ شـعيب عـليه السلام: إنّي مُهلكٌ من قومك مائة ألف، أربعين ألفاً مِن شرارهم، وستّين ألفاً من خيارهم، فقال عليه السلام: هؤلاء الأشرار، فما بال الأخيار؟ فقال: داهنوا أهلَ المعاصي فلم يغضبوا لِغضبي»**![٣]

وقال: **«الراضي بفعل قومٍ كالداخل فيه معهم، وعلىٰ كـلِّ داخـلٍ فـي بـاطلٍ إثمان: إثمُ العمل به، وإثم الرضىٰ به»**[٤].

«وَلَاْ وَهَنْتَ لِما أَصابَكَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ وَلَاْ ضَعُفْتَ»:

أي ولا ضعفت[٥] بل مع قدرتك لم تأخذ حقَّك، وقال سلام الله عليه: **«مَن أصبح على الدنيا حزيناً فقد أصبح لقضاء الله ساخطاً، ومَن أصبح يشكو مصيبةً نزلت به فقد أصبح يشكو ربَّه، ومَن أتىٰ غنيّاً فتواضع لِغناه ذهب ثُلُثا دِينه، ومَن**

---

١. الحُجرات: ١.
٢. بحارالأنوار ٣٠: ٣٧٩ / ح١٦٥ ـ عن: تقريب المعارف لأبي الصلاح: ١٦٧.
٣. بحارالأنوار ١٤: ١٦١ / ح١ / باب قصة شعيب ـ عن: قصص الأنبياء.
٤. نهج البلاغة: الحكمة ١٤٦.
٥. المعجم الوسيط ـ كلمة وهن.

قرأ القرآن فمات فدخل النار فهو ممّن كان يتّخذ آياتِ اللهِ هُزُواً، ومَن لهجَ قلبه بحُبّ الدنيا إلتاطَ قلبُه منها بثَلاث: همٌّ لا يُغِبّه، وحرصٍ لا يتركه، وأملٍ لا يُدركُه»[١].

وقال عليه السلام: «**إنّما المرء في الدنيا غرضٌ تنتضلُ فيه المنايا، ونَهْبٌ تبادره المصائب، ومَع كلِّ جرعةٍ شَرَق، وفي كلِّ أكلةٍ غَصَص، ولا ينال العبدُ نعمةً إلّا بفراقِ أخرىٰ، ولا يستقبلُ يوماً مِن عُمُره إلّا بفراقِ آخَرَ مِن أجَلِه**»[٢].

«**وَلَا اسْتَكَنْتَ عَنْ طَلَبِ حَقِّكَ مُراقِباً، مَعاذَ اللّٰهِ أَنْ تَكُونَ كَذٰلِكَ**»:

ولا خضعتَ[٣]، بل راقبتَ اللهَ في العمل بأوامره وخشيَته[٤]، مَعاذ الله بأن تخضع لغير الله، ولم تراقب في العمل غير أوامرَ الله، ولم تخش غيره سبحانه، وكنت خشناً في ذات الله.

وقال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم في فضله عليه السلام: «**إنّه لَأُخَيْشنٌ في ذات الله وفي سبيل الله**»[٥]، ولا يلين لغير الله.

روى أبو سعيد الخُدريّ قال: شكىٰ الناسُ عليّاً، فقام رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم خطيباً فقال: «**أيُّها الناس، لا تَشْكُو علياً؛ فوَ اللهِ إنّه لَأُخَيْشِنٌ في ذات الله عزّ وجلّ**»[٦]، وأشدّ خوفاً منه تعالىٰ.

وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «**عليٌّ مخشوشٌ في ذات الله**»[٧].

قال ابن عبدربّه الأندلسيّ: لمّا قُتل عثمان بن عفّان، أقبل الناس يُهرعون

---

١. نهج البلاغة: الحكمة ٢١٨.
٢. نهج البلاغة: الحكمة ١٩١.
٣. المعجم الوسيط ـ كلمة سكن.
٤. المصدر ـ كلمة: رَقَب.
٥. الكامل لابن الأثير ٢: ٣٠١، والمستدرك على الصحيحين ٣: ١٣٤.
٦. حلية الأولياء ١: ٦٨، ومجمع الزوائد ٩: ١٢٩.
٧. ذخائر العقبىٰ في مودّة ذوي القربىٰ لمحب الدين الطبريّ الشافعيّ: ٩٩.

إلىٰ عليّ بن أبي طالب، فتراكمت عليه الجماعة في البيعة، فقال: ليس ذلك إليكم إنّما ذلك لأهل بدرٍ ليبايعوا، فقال: أين طلحة والزبير وسعد؟ فأقبلوا فبايعوا، ثمّ بايعه المهاجرون والأنصار، ثمّ بايعه الناس، وذلك يومَ الجمعة لثلاث عشرة خلت من ذي الحجّة سنة خمسٍ وثلاثين، وكان أوّلَ مَن بايع طلحةُ، فكانت إصبعه شلّاء فقال عليّ: ما أخلَقَه أن ينكث! فكان كما قال عليّ رضي الله عنه[١].

قُتل عثمان، فبقيت الدولة الإسلاميّة بدون خليفة يدير شؤونها، ولابدّ من ملء هذا الفراغ باختيار رجلٍ جدير، يرتضيه الثّوار، ويتّفق عليه معهم المهاجرون والأنصار، باعتبارهم أهلَ الحلّ والعقد، ولم يكن في الصحابة أحدٌ يمكن أن تجتمع عليه آراء الفريقين ليشغل هذا المنصب الخطير سوى الإمام عليٍّ عليه السلام، وقد هتف الجميع باسمه وهم يشعرون أن لا مخرج من الفتنة إلّا بإعادة الحقّ إلىٰ نصابه، وتوليته زمامَ الأمور، غيرَ أنّ هناك نفراً من الصحابة كانوا غير راغبين بتوليته الخلافة، ولكلٍّ من هؤلاء سببه الخاصّ به، فهو إمّا طامع بتولّي الخلافة، كما تولّاها غيره من النظراء، أو يشعر بأنّه سيفقد الإمتيازات غير المشروعة التي مُنحت له فيما سلف من الزمان، بينما تأثّر آخرون بدافع الحسد، ولكنّ هؤلاء لم يتمكّنوا من إبداء رأيهم أمام الأغلبيّة الساحقة، بل صمتوا، وبايع أغلبهم، بينما إمتنع آخرون عن البيعة، فلم يُجبرهم الإمام عليّ عليه السلام عليها عند ما تمّت له البيعة، بل تركهم لشأنهم.

أمّا الإمام عليّ عليه السلام، فقد وجد نفسه في موقف صعب، وبين أمرين خطيرين:

---

١. العقد الفريد ٤: ٣١٠.

الأوّل: أن يعتزل أمرَ الخلافة، فلا يستجيب لطلب الثوّار ومَن وافقهم من الصحابة، وعندها تعصف الفتنة بكيان الدولة الإسلاميّة؛ لخلوّها من قائد ينظّم شؤونها، ويسيّر أمورها، بأوامره يأتمر الجند، وبها تُجبى الأموال، وتقام الحدود.

الثاني: أن يقبل الخلافة مع ما بها مِن تركات الماضي ومخلّفاته المؤلمة، وعندها تُدرأ الفتنة، ويستقرّ كيان الدولة الإسلاميّة لوجود خليفةٍ شرعيّ تمّت له البيعة، ولكن سرعان ما سيهتزّ هذا الكيان ويتصدّع بتمرّد الطامعين، ولا مناص له عندئذ من إعلان الحرب للقضاء على التمرّد، وحفظ كيان الدولة.

رفض الإمام عليّ عليه السلام الخلافة في بداية الأمر، رجاء أن يختاروا لها غيره؛ لأنّه كان علىٰ علمٍ أنّ السيرة التي سينتهجها، لا يُذعنُ لها الناس بسهولة، بل لا يهضمونها، وإنّها ستولّد ردودَ فعل عكسيّةٍ غاضبة؛ لأنّ الناس إعتادوا أموراً لا يقرّها الدين، ولا يستطيع هو إقرارها وإبقاءها بحال؛ لأنّ ذلك يستلزم المساس بدينه، ولكنّ إلحاح الثوّار ومَن اتّفق معهم من الصحابة عليه بقبول الخلافة، وهتافهم باسمه، لم يترك له خياراً، حيث وجد أنّ إستمرار الرفض سيؤدّي إلىٰ ما لا تُحمد عقباه، فقَبِل الخلافة ليحافظ علىٰ كيان الدولة الإسلاميّة. قال عليه السلام في خطبته الشِّقشقيّة: **«أمَا والذي فَلقَ الحبّةَ وبرأَ النَّسِمَة، لولا حضور الحاضر، وقيامُ الحجّةِ بوجودِ الناصر، وما أخَذَ اللهُ علَى العلماءِ ألاّ يُقارُّوا علىٰ كِظّةِ ظالمٍ ولا سَغَبِ مظلوم، لألقيتُ حبلَها ـ أي الخلافة أو الأمور ـ على غاربِها، ولَسقَيْتُ آخِرَها بكأسِ أوّلِها ولألْفَيتُم دُنياكم هذه أزهَدَ عِندي من عَفْطةِ عَنْز»**[1].

---

١. نهج البلاغة: آخر الخطبة الشقشقية.

أعلن عليه السلام عن تحمّله المسؤولية في خطابٍ وجّهه إلى الناس في المسجد النبويّ الشريف، أوضح فيه الخطوط العريضة لسياسته التي سينتهجها؛ ليعلم الجميع علىٰ أيّة شروط يبايعون. قال عليه السلام: **«دَعُوني والتمسُوا غيري، فإنّا مُستقبلون أمراً له وجوهٌ وألوان، لا تقوم له القلوب، ولا تَثبُتُ عليه العقول، وأنّ الآفاق قد أغامَت، والمَحجّةَ قد تَنكّرَت. واعلموا أنّي إن أجبتُكم ركبتُ بكم ما أعلم، ولم أصغُ إلىٰ قولِ القائل، وعَتْبِ العاتب، وإن تركتموني فأنا كأحدِكم، ولعليّ أسمَعُكم وأطوعُكم لمن ولّيتُموه أمرَكم، وأنا لكم وزيراً، خيرٌ لكم منّي أميراً»**[1]. وفي خطبته هذا بيان واضح، وإشارة إلى الأوضاع الفاسدة التي كانت سائدةً في الدولة الإسلامية، والتي أدّت إلى الفتنة التي كان فيها مصرع عثمان، وبيان واضح لما يعزم إنتهاجه ممّا لا تستسيغه النفوس المريضة، فصارحهم بأنّ أمارته لا تفارق الحقّ، وبديهيّ أنّ الحقّ مُرّ عند ذوي الأطماع![2]

«بَلْ إِذْ ظُلِمْتَ احْتَسَبْتَ رَبَّكَ وَفَوَّضْتَ إِلَيْهِ أَمْرَكَ»:

بل إذ غصبوا حقَّك، حبستَ نفسك، وصيّرت الأمر إلى الله وجعلته حاكماً لحقّك، وهم مع علمهم بما قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: **«الحقُّ مع عليّ ابن أبي طالب يدور معه حيثُ دار»**. أنكروا حقَّه وجحدوا وهم شهدوا يوم الشورىٰ.

روى عامربن واثلة قال: كنتُ مع عليٍّ عليه السلام في البيت يوم الشورىٰ فسمعتُ عليّاً يقول لهم: **«لأحتجّنّ عليكم بما لا يستطيع عربيُّكم ولا عجميُّكم يغيّر ذلك»**.

---

١. نهج البلاغة: الخطبة ٩٢.
٢. شرح زيارة الغدير: ٣٦٣.

ثمّ قال: «أنشدُكُم باللّه أيّها النفر جميعاً! أفيكم أحدٌ وحّد اللّهَ قبلي ؟» قالوا: اللّهمّ لا.

قال: «فأنشدكم باللّه، هل فيكم أحدٌ له أخ مثل أخي جعفر الطيّار في الجنّة مع الملائكة غيري ؟» قالوا: اللّهمّ لا.

قال: «فأنشدكم باللّه، هل فيكم أحد له عمٌّ مِثل عمّي حمزة أسدِ اللّه وأسدِ رسوله سيّدِ الشّهداء غيري ؟» قالوا: اللّهمّ لا.

قال: «فأنشدكم باللّه، هل فيكم أحدٌ له زوجةٌ مِثل زوجتي فاطمة بنتِ محمّد، سيّدةِ نساءِ أهل الجنّةِ غيري؟» قالوا: اللّهمّ لا.

قال: «فأنشدكم باللّه، هل فيكم أحدٌ له سِبطان ـ مثل سبطيّ الحسنِ والحسين ـ سيّدا شبابِ أهل الجنّة غيري ؟» قالوا: اللّهمّ لا.

قال: «فأنشدكم باللّه، هل فيكم أحدٌ ناجىٰ رسول اللّه عشر مرّات يُقدّمُ بين يَدَي نجواه صدقةً قبلي ؟» قالوا: اللّهمّ لا.

قال: «فأنشدكم باللّه، هل فيكم أحدٌ قال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه: «مَن كنتُ مَولاه، فعليٌّ مولاه، اَللّهمّ والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه. ليبلّغِ الشاهدُ منكمُ الغائبَ» غيري ؟» قالوا: اللّهمّ لا.

قال: «فأنشدكم باللّه، هل فيكم أحدٌ قال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله: اللّهمّ ائْتِني بأحبِّ الخَلْق إليك وإليّ، وأشدِّهِم حُبّا لك وحُبّاً لي يأكل معي من هذا الطّائر، فأتاه فأكل معه غيري ؟» قالوا: اللّهمّ لا.

قال: «فأنشدكم باللّه، هل فيكم أحدٌ قال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله: لَأُعطينّ الرّايةَ غداً رجلاً يُحبّ اللّهَ ورسولَه، ويُحبّه اللّهُ ورسولُه، لا يرجِعُ حتّىٰ يَفتحَ اللّهُ علىٰ يديه، إذْ رجع غيري منهزماً، غيري ؟» قالوا: اللّهمّ لا.

قال: «فأنشدكم باللّه، هل فيكم أحدٌ قال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله:

لبني وَليعة: لَتَنْتَهُنّ أو لَأبعثنّ إليكم رجلاً كنفسي، طاعتُه كطاعتي، ومعصيته كمعصيتي، يغشاكم بالسيف! غيري؟» قالوا: اللّهمّ لا.

قال: «فأنشدكم باللّه، هل فيكم أحدٌ قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم فيه: كَذَبَ مَن زعم أنّه يُحبّني ويُبغض هذا، غيري؟» قالوا: اللّهمّ لا.

قال: «فأنشدكم باللّه، هل فيكم أحدٌ سلّم عليه في ساعةٍ واحدةٍ ثلاثةُ آلافٍ من الملائكة فيهم جبرئيلُ وميكائيل وإسرافيل، حيث جئتُ بالماء إلىٰ رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله مِن القَليب غيري؟» قالوا: اللّهمّ لا.

قال: «فأنشدكم باللّه، هل فيكم أحدٌ قال له جبرئيل: هذه هي المُواساة! فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله: إنّه منّي وأنا منه، فقال له جبريل: و أنا منكما، غيري؟» قالوا: اللّهمّ لا.

قال: «فأنشدكم باللّه، هل فيكم أحدٌ نُودِيَ فيه من السماء: لا سيف إلّا ذُوالفِقار، ولا فتىٰ إلّا عليّ، غيري؟» قالوا: اللّهمّ لا.

قال: «فأنشدكم باللّه، هل فيكم أحدٌ يقاتل النّاكثين والقاسطين والمارقين علىٰ لسان النّبيّ صلّى اللّه عليه وآله غيري؟» قالوا: اللّهمّ لا.

قال: «فأنشدكم باللّه، هل فيكم أحدٌ قال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: إنّي قاتلتُ علىٰ تنزيل القرآن، وتقاتل أنتَ على تأويل القرآن، غيري؟» قالوا: اللّهمّ لا.

قال: «فأنشدكم باللّه، هل فيكم أحدٌ رُدّت عليه الشمس حتّىٰ صلّى العصرَ في وقتها غيري؟» قالوا: اللّهمّ لا.

قال: «فأنشدكم باللّه، هل فيكم أحدٌ أمَرَه رسولُ اللّه صلّى اللّه عليه وآله بأن يأخذ سورة براءة مِن أبي بكرٍ فقال له أبو بكر: يا رسولَ اللّه، أنَزَل فِيّ شيء؟ فقال له: إنّه لا يؤدّي عنّي إلّا عليّ، غيري؟» قالوا: اللّهمّ لا.

قال: «فأنشدكم باللّه، هل فيكم أحدٌ قال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله: أنتَ منّي بمنزلة هارون مِن موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي، غيري؟» قالوا: اللّهمّ لا.

قال: «فأنشدكم باللّه، هل فيكم أحدٌ قال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله: لا يحبّك إلّا مؤمن ولا يبغضك إلّا كافر، غيري؟» قالوا: اللّهمّ لا.

قال: «فأنشدكم باللّه، أتعلمون أنّه أمر بسدّ أبوابكم وفتح بابي، فقلتم في ذلك، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم: ما أنا سَدَدْتُ أبوابَكم ولا أنا فتحتُ بابَه، بلِ اللّهُ سدّ أبوابَكم و فتح بابَه، غيري؟» قالوا: اللّهمّ نعم.

قال: «فأنشدكم باللّه، أتعلمون أنّه ناجاني يومَ الطائف دون النّاس، فأطال ذلك، فقلتم: ناجاه دوننا! فقال: ما أنا انتَجَيْتُه، بلِ اللّهُ انتجاه، غيري؟» قالوا: اللّهمّ نعم.

قال: «فأنشدكم باللّه، أتعلمون أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله قال: الحقُّ مع عليٍّ وعليٌّ مع الحقّ، يدور الحقُّ مع عليٍّ حيث دار؟» قالوا: اللّهمّ نعم.

قال: «فأنشدكم باللّه، أتعلمون أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله قال: إنّي تاركٌ فيكم الثقلين: كتابَ اللّه، وعترتي، لن تَضِلُّوا مَا اَستمسكتُم بهما، ولن يفترقا حتّىٰ يَرِدا علَيَّ الحوض؟» قالوا: اللّهمّ نعم.

قال: «فأنشدكم باللّه، هل فيكم أحدٌ وَقىٰ رسولَ اللّه بنفسه مِن المشركين فاضطجع مضطجَعَه غيري؟» قالوا: اللّهمّ لا.

قال: «فأنشدكم باللّه، هل فيكم أحدٌ بارز عَمْرَو بنَ عبدِودٍّ حيثُ دعاكم إلى البراز، غيري؟» قالوا: اللّهمّ لا.

قال: «فأنشدكم باللّه، هل فيكم أحدٌ أنزل اللّهُ فيه آيةَ التطهير حيث يقول: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ غيري؟» قالوا: اللّهمّ لا.

قال: «فأنشدكم باللّه، هل فيكم أحدٌ قال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم: أنتَ سيّدُ العرب، غيري؟» قالوا: اللّهمّ لا.

قال: «فأنشدكم باللّه، هل فيكم أحدٌ قال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله: ما سألتُ اللّهَ شيئاً إلّا سألتُ لك مِثْلَه، غيري؟» قالوا: اللّهمّ لا...[١].

أقول: المناشدة رواها الفريقان، فمن السُنّة: الخوارزميّ الحنفيّ في المناقب، والحموينيّ الشافعيّ في فرائد السمطين، والذهبيّ في ميزان الإعتدال، وابن حجر العسقلانيّ في لسان الميزان، والگنجيّ الشافعيّ في كفاية الطالب، وأحمدبن حنبل في المسند، وابن عساكر في تاريخ دمشق، وابن أبي الحديد المعتزليّ في شرح نهج البلاغة، والهيثمي في مجمع الزوائد.. وغيرهم.

ومن أعلام الشيعة الإمامية: الشيخ المفيد في الأمالي، والشيخ الصدوق في الخصال، والشيخ الطوسيّ في الأمالي، والشيخ المجلسيّ في البحار.. وغيرهم.

«وَذَكَّرْتَهُمْ فَمَا ادَّكَرُوا، وَوَعَظْتَهُمْ فَمَا اتَّعَظُوا، وَخَوَّفْتَهُمُ اللّهَ فَمَا تَخَوَّفُوا»:

«وَأَشْهَدُ أَنَّكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جاهَدْتَ فِي اللّهِ حَقَّ جِهادِهِ»:

أي جاهدتَ بنفسِك ولسانك، وأنت من الذين قال سبحانه فيهم: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا أُولٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَهُم مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾**[٢].

وأنتَ يا مولايَ يا أميرَالمؤمنين، أوّلُ مَن آمَنَ وهاجَرَ وجاهَد، وآوىٰ ونصَرَ رسولَ الله صلّى الله عليه وآله، وانسلخ مِن الأهلِ والمالِ والنفسِ للهِ سبحانه. وبك هدّدَ رسول الله المشركين.

---

١. مناقب الإمام عليّ بن أبي طالب لابن المغازليّ الشافعيّ: ١١٣ ـ ١١٨ / ح١٥٥.
٢. الأنفال: ٧٤.

«حَتّىٰ دَعاكَ اللّٰهُ إِلىٰ جِوارِهِ، وَقَبَضَكَ إِلَيْهِ بِاخْتِيارِهِ»:

قال عبدالرحيم مبارك: لقد ضحّىٰ أميرالمؤمنين طوال حياته من أجل تحقيق مبادئه العليا الخُلقيّة والروحيّة والإنسانيّة، ولم يساوم ولم يصانع، وكان الأثر الذي تركه عميقاً عمقَ إيمانه، خالداً خلودَ قيمه، كبيراً كِبَرَ روحه، ومع أنّ العالَم لم يعرف عن عليٍّ عليه السلام إلّا القليل القليل ،لكنّ الجميع يعترف أنّه عليه السلام كان الرجلَ الثاني ـ بعد النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ في عمق وسعةِ التأثير الذي خلّفه، وأنّه كان الأقربَ سيرةً ومنهجاً منه صلّى الله عليه وآله وسلّم، والأولىٰ بخلافته ووصايته من سواه، ويكفي للدلالة العاجلة على امتداد خطّه وخلود فكره، أن نرىٰ أن ليس هناك في عالمنا الإسلاميّ، ولا في عالمنا العربيّ بكريّون ولا عُمريّون ولا عثمانيّون ،ولكن هناك علويّون.. ينتشرون في أرجاء المعمورة ويحظَون لانتمائهم له وحملهم لأفكاره واقتدائهم بسيرته، باحترام الجميع وإجلالهم وتقديرهم[١].

روت أسماء بنت عُمَيس: إنّا عند عليّ بن أبي طالب عليه السلام بعد ما ضربه ابن ملجم، إذ شهق شهقةً ثمّ أُغمِيَ عليه، ثمّ أفاق فقال: **«مرحباً مرحباً، الحمدُ لله الذي صَدَقَنا وعْدَه، وأورثَنا الجنّة»**، فقيل له: ما ترىٰ؟ فقال: **«هذا رسول الله** [صلّى الله عليه وآله وسلّم] **وأخي جعفر وعمّي حمزة، وأبواب السماء مفتّحة، والملائكة ينزلون يسلّمون عليّ ويبشّرون، وهذه (فاطمة) قد طاف بها وصائفُها من الحُور، وهذه منازلي في الجنّة، ﴿لِمِثْلِ هٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾»**[٢].

ثمّ قال: **«قد ضربني فأحسِنُوا إليه وأَلِينُوا له فراشه، فإن أَعِشْ فهضمٌ أو**

---

١. خير البريّة والألطاف الالهيّة: ٣٩٣.
٢. ربيع الأبرار للزمخشريّ ٤: ٢٠٨ / باب الموت وما يتّصل به.

قِصاص، وإن أمتْ فعاجِلوه، فإنّي مُخاصمُه عند ربّي عزّ وجلّ»[١].

«وَأَلزَمَ أَعْداءَكَ الْحُجَّةَ بِقَتْلِهِمْ إِيَّاكَ لِتَكُونَ الْحُجَّةُ لَكَ عَلَيْهِمْ مَعَ مَا لَكَ مِنَ الْحُجَجِ الْبَالِغَةِ عَلَىٰ جَمِيعِ خَلْقِهِ»:

وتمّ البرهان علىٰ خلودهم في النار بقتلك، مع الحجج التي بلّغهم رسولُ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بحقّك.

روى المحدّث القمّي: قال أميرالمؤمنين عليه السلام بضعفٍ وانكسارِ صوت لابن ملجم: **«يا هذا، لقد جئتَ وارتكبتَ أمراً عظيماً وخَطْباً جسيماً، أبئسَ الإمامُ كنتُ لك حتّىٰ جازَيتني بهذا الجزاء؟! ألم أكنْ شفيقاً عليك وآثرتك علىٰ غيرك وأحسنتُ إليك وزدت في عطائك؟! ألم يكن يُقال لي فيك كذا وكذا فخلّيتُ لك السبيل ومنحتك عطائي، وقد كنتُ أعلم أنّك قاتلي لا محالة؟! ولكنْ رجوتُ بذلك الإستظهار من الله تعالىٰ عليك يا لُكَع! وعلَّ أن ترجع عن غيّك، فغلَبَت عليك الشقاوةُ فقتلتَني يا شقيّ الأشقياء»!**

فدمعت عينا ابن ملجم لعنه الله تعالى وقال: يا أميرالمؤمنين، أفأنت تُنقذُ مَن في النار؟!

قال له: **«صدقت»**. ثمّ التفتَ عليه السلام إلىٰ ولده الحسن عليه السلام وقال له: **«إرفقْ يا ولدي بأسيرك وارحمْه، وأحسِنْ إليه وأشفق عليه، ألا ترىٰ إلىٰ عينَيه قد طارتا في أُمّ رأسه وقلبه يرجف خوفاً ورعباً وفزعاً»!**

فقال له الحسن عليه السلام: **«يا أبه قد قَتَلك هذا اللّعين الفاجر وأفجَعَنا فيك، وأنت تأمرنا بالرِّفق فيه؟»**

فقال له: **«نعم يا بُنيّ، نحن أهلُ بيتٍ لا نزداد على المذنب إلينا إلّا كرماً وعفواً، والرحمة والشفقة من شيمتنا لا من شيمته. بحقّي عليك، أطعِمْه يا بُنيّ ممّا**

---

١. المستدرك على الصحيحين ٣: ١٤٤.

تأكل، واسْقِه ممّا تشرب، فإن أنا متُّ فاقتصَّ منه، ولا تُحرقه بالنار ولا تُـمثّل بالرجل؛ فإنّي سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «إيّاكم والمُـثْلةَ ولو بالكلبِ العقور». وإن أنا عشتُ فأنا أَولىٰ بالعفو عنه، وأنا أعلم بما أفعل به، فإن عفوتُ فنحن أهلَ البيت لا نزداد على المذنب إلينا إلّا عفواً وكرماً»[1].

---

١. بحارالأنوار ٤٢: ٢٨٧ ـ ٢٨٨؛ منتهى الآمال (معرب) ١: ٣٤٠.

الفصل السابع :

السَّلامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، عَبَدْتَ اللّٰهَ مُخْلِصاً، وَجَاهَدْتَ فِـي اللّٰهِ صَابِراً، وَجُدْتَ بِنَفْسِكَ مُحْتَسِباً، وَعَمِلْتَ بِكِتابِهِ ، وَاتَّبَعْتَ سُنَّةَ نَبِيِّهِ، وَأَقَمْتَ الصَّلاةَ، وَآتَيْتَ الزَّكاةَ، وَأَمَرْتَ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهَيْتَ عَنِ الْمُنْكَرِ مَا اسْتَطَعْتَ مُبْتَغِياً مَا عِنْدَ اللّٰهِ، رَاغِباً فِيما وَعَدَ اللّٰهُ، لَا تَحْفِلُ بِالنَّوائِبِ، وَلَا تَهِنُ عِنْدَ الشَّدائِدِ، وَلَا تُحْجِمُ عَنْ مُحارِبٍ، أَفِكَ مَنْ نَسَبَ غَيْرَ ذٰلِكَ إِلَيْكَ، وَافْتَرىٰ باطِلاً عَلَيْكَ، وَأَوْلىٰ لِمَنْ عَنَدَ عَنْكَ، لَقَدْ جاهَدْتَ فِي اللّٰهِ حَقَّ الْجِهادِ، وَصَبَرْتَ عَلَىٰ الْأَذىٰ صَبْرَ احْتِسابٍ .

(جُدْتَ): بذلتَ نفسك ، (مبتغياً): طالباً ، (لا تحفلُ): ما باليتَ أو ما اهتممت ، (ولا تَهِنُ): ولم تضعف ، (ولا تُحجم): ولم تكُفَّ ، (أفِكَ): كَذِبَ أسوءَ الكَذِب و أبلَغَهُ ، (أولى): كلمة تهديد وتخويف ، (عَنَد): عدل .

يا مولاي أنت العابِد المُخلِص ، المجاهد ، الصابر ، بذلتَ نفسَك لِلَّهِ ، طالباً وراغباً فيما وعد الله ، ما باليتَ ولا اهتممتَ بالشدائد ، ولم تَكُفَّ عن الحروب والجهاد في سبيل اللَّه ، كَذِبَ مَن نسب إليك الفرار ، وافترىٰ بقوله الباطل ، ولقد جاهدت في اللَّهِ في جميع حياتك ، وصبرتَ على أذى

أعدائِك، صابراً محتسباً وراجياً ما عِند اللّه.

قال عبدالرحيم مبارك: لقد صرّحت آيات القرآن الكريم بأنّ الله تعالىٰ فضّل المجاهدين بأموالهم وأنفسهم، وأنّ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آوَوا ونصروا هم المؤمنون حقّاً.

وصفحات التاريخ الإسلاميّ حاشدة بجهاد أميرالمؤمنين عليه السلام وتضحياته وتفانيه في سبيل الله عزّ وجلّ، وقد واكبتِ السماء عليّاً عليه السلام في جهاده، وأنزلت في حقّه الآية تلو الآية، والوسام إثرَ الوسام، فمِن آيةٍ تصرّح بأنّ الإسلام إنّما استوى بسيف عليٍّ، وأخرىٰ تنوّه بأنّ الله تعالىٰ كفى المؤمنين القتالَ بعليّ عليه السلام، وثالثة تفصل بين المتفاخرين الذين تصوّروا أنّ حيازتهم لمفتاح بيت الله وقيامهم علىٰ كسوته وسقيَهم حُجّاجَه قد منحهم قَصَب السَّبق علىٰ مِثل عليٍّ عليه السلام المؤمن المجاهد، ورابعة تثمّن وقاية أميرالمؤمنين عليه السلام النبيَّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بنفسه، حين بات علىٰ فراشه وغطّىٰ أمر هجرته، ففات بتضحية عليٍّ عليه السلام على المشركين كيدُهم، وحَبِط تدبيرهم ومكرهم، وخامسة تُخبر الناس بأنّ عليّاً عليه السلام سيقاتل الناكثين والمارقين والقاسطين بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، وسادسة تُقْسم بالخيل التي يمتطي صهواتها هو وجيشه، وتصف ضَبْحَها والشررَ المتطاير من حوافرها[١].

روى جابر الأنصاريّ: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: **«ما اسْتعصىٰ علَيّ أهلُ مملكةٍ إلّا رميتُهم بسهم الله تعالى»**، قيل: يا رسول الله، وما سهمُ الله تعالى؟ قال: **«عليّ بن أبي طالب، ما بعثتُه في سريّةٍ قطّ إلّا أنّي رأيتُ جبرئيلَ عن يمينه، وميكائيل عن يساره، ومَلَكاً أمامه، وسحابةً تُظلّه حتّىٰ يُعطيَ الله**

---

١. خير البريّة والألطاف الإلهيّة: ٢٠١.

النصرَ والظفر»[١].

روىٰ عمربن الخطاب، قال: نصب رسولُ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عليّاً فقال: **«مَن كنتُ مَولاه، فعليٌّ مولاه، اَللّهمّ والِ من والاه، وعادِ مَن عاداه، وانصُرْ مَن نصره، واخذُلْ مَن خذله، اللّهمّ أنت شهيدي عليهم»**. قال: وكان في جنبي شابٌّ حسَن الوجه طيّب الريح، فقال لي: يا عمر، لقد عقد رسولُ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عقداً لا يحلّه إلّا منافق، فاحذرْ أن تحلّه!

فأخبرتُ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بذلك، وقلت: إنّك قلتَ حيث قلتَ في عليّ، كان إلىٰ جانبي شابّ حسن الوجه طيّب الريح قال لي كذا وكذا.

فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: **«إنّه ليس من وُلْد آدم، لكنّه جبرئيل أراد أن يؤكّد عليكم ما قلتُه»**[٢].

خطب الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام بالرحبة فقال: **«لمّا كان يومُ الحديبيّة، خرج إلينا ناسٌ من المشركين فيهم سُهيلُ بن عمرو وَأُناسٌ من رؤساء المشركين فقالوا: يا رسول الله، خرج إليك ناسٌ من أبنائنا وإخواننا وأرقّائنا وليس لهم فقهٌ في الدين، وإنّما خرجوا فراراً من أموالنا وضياعنا، فارددْهم إلينا، فإن لم يكن لهم فقهٌ في الدين سنُفقّهُهُم. فقال النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: يا معشر قريش، لَتَنْتَهُنَّ أو لَيبعثنّ اللهُ عليكم مَن يضربُ رقابَكم بالسيف على الدين، قد امتحن الله قلوبَهم على الإيمان، قالوا: مَن هُو يا رسول الله؟ وقال له أبوبكر: مَن هو يا رسول الله، وقال عمر: مَن هو يا رسول الله؟ قال: هو خاصف النَّعل. وكان أعطىٰ عليّاً نعلَه يخصفها، قال: ثمّ التفتَ إلينا عليٌّ فقال: إنّ رسول الله صلّى**

---

١. فرائد السمطين ١: ٢٢٢ / ح١٧٣.
٢. خير البريّة والألطاف الإلهيّة: ٢١٨.

الله عليه [وآله] وسلّم قال: مَن كذبَ علَيَّ متعمِّداً فَلْيتَبوّأ مقعدَه مِنَ النار»[١].

«أفِكَ مَنْ نَسَبَ غَيْرَ ذٰلِكَ إلَيْكَ، وَافْتَرىٰ باطِلاً عَلَيْكَ، وَأَوْلىٰ لِمَنْ عَنَدَ عَنْكَ»:

(عَنَد): جارعن القصد، الباغي الذي يردّ الحقّ مع العلم به، يقال: عَنَدَ يَعندُ عنوداً أي: خالف وردّ الحقّ وهو يعرفه[٢].

من أنكر إمامته عَنَد أصول الدِّين وما يجب معرفته، قال صلّى الله عليه وآله: **«مَن مات ولم يعرفْ إمامَ زمانه مات مِيتةً جاهليّة»**[٣].

قال الشيخ المفيد: الحكمة تقتضي نصبَ الإمام وتُوجبه، وهو الذي له الرياسة العامّة في أُمور الدين والدنيا نيابةً عن النبيّ صلّى الله عليه وآله؛ لأنّها لطف، واللُّطف واجب في الحكمة، وتُشترط العصمة في الإمام كما تُشترط في النبيّ، والدليل علىٰ ذلك من وجوه:

الأوّل: أنّه لو جاز عليه الخطأ لَافتقر إلى إمامٍ آخر يسدّده، وننقُل الكلام إليه ويتسلسل أو يثبت المطلوب.

الثاني: أنّه لو فعلَ الخطيئة فإمّا أن يجبَ الإنكار عليه أو لا، فإن وجبَ الإنكار عليه سقطَ محلّه من القلوب ولم يُتّبَع، والغرضُ مِن نصبه إتّباعُه، وإن لم يجب الإنكار عليه سقط وجوب النهي عن المنكر وهو باطل.

الثالث: أنّه حافظٌ للشرع، فلو لم يكن معصوماً لم تُؤمَن منه الزيادة فيه والنقصان منه.

والإمام هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام، بالنصّ المتواتر من الله تعالىٰ ومن رسوله صلّى الله عليه وآله: أمّا الذي هو من الله تعالى فمِثْل قوله تعالىٰ:

---

١. سنن الترمذيّ ٥: ٢٩٨ / الباب ٨٢.
٢. مجمع البحرين ـ كلمة عَنَدَ.
٣. مسند أحمد ٤: ٩٦.

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[١].

ومِثلُ قوله تعالىٰ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾[٢].

ومِثلُ قوله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ﴾[٣].

ومِثلُ قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاَهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ..﴾[٤].

ومِثلُ قوله تعالىٰ: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾[٥].

و أمثال ذلك.

و أمّا الذي هو من رسول الله صلّى الله عليه و آله، فمِثل قوله: **أنت الخليفة مِن بَعدي ـ وأنتَ وصيّي ـ وقاضي دَيني ـ وسلِّمُوا عليه بإمرة المؤمنين ـ وأقضاكم عليّ ـ وتعلّموا منه ولا تُعلِّموه، واسمعوا له وأطيعوه ـ ومَن كُنت مَولاه، فعليٌّ مولاه ـ وأنت منّي بمنزلة هارون مِن موسىٰ إلّا أنّه لا نبيَّ بعدي ـ اللّهمّ ائْتني بأحبِّ الخلق إليك يأكل معي هذا الطائر.**

---

١. المائدة: ٥٥.
٢. المائدة: ٣.
٣. المائدة: ٦٧.
٤. التحريم: ٤.
٥. آل عمران: ٦١.

الوليّ: بمعنى المتصرّف بالإستحقاق، وكلمة (إنّما) صريحة في إنحصار هذه المزيّة في ثلاثة:

(١) الله سبحانه؛ فإنّه المتصرّف في عبيده.
(٢) الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم؛ فإنّه متصرّف في أُمّته.
(٣) الإمام؛ فإنّه المتصرّف في رعيّته.

وعبّر عن الأوّليْن بصيغة المفرد، فإنّه لا نبيَّ بعده.
وأمّا الثالث؛ فقد عبّر عنه تعالىٰ بصيغة الجمع؛ إذ لا يجوز التعدّد في الخالق تعالىٰ ولا في نبيّنا، بخلاف الإمام بعد النبيّ، فإنّه لابدّ مِن تعدّده وتسلسله.

أنا مدينةُ العلم وعليٌّ بابها ـ ونِعم الراكبانِ هما، وأبوهُما خيرٌ منهما ـ ولَأُعطينّ الرايةَ غداً رجلاً يُحِبُّ اللهَ ورسولَه، كرّار غير فرّار.

ومثل: مؤاخاته، وتزويجه، وتعميمه بعمامته، وركوبه علىٰ ناقته، وأمثال ذلك.

والإمام بعد عليّ بن أبي طالب عليه السلام ولداه الحسن، ثمّ الحسين، ثمّ عليّ بن الحسين، ثمّ محمّد بن عليّ، ثمّ جعفر بن محمّد، ثمّ موسى بن جعفر، ثمّ عليّ بن موسىٰ، ثمّ محمّد بن عليّ، ثمّ عليّ بن محمّد الهادي، ثمّ الحسن بن علي العسكريّ، ثمّ الخَلَف القائم المهديّ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

والدليل علىٰ إمامتهم أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله نَصَّ عليهم متواتراً بالخلافة، مثل قوله صلّى الله عليه وآله في الحسين عليه السلام: «**إبني هذا إمام، ابنُ إمام، أخو إمام، أبو أئمّةٍ تسعة، تاسعُهم قائمُهم، يملأ الأرض قِسطاً وعدلاً كما مُلِئت جَوراً وظلماً**».

ومثل قوله صلّى الله عليه وآله في القائم المهديّ عليه السلام: «**لو لم يبقَ مِن الدنيا إلّا ساعةٌ واحدة، لَطوّل الله تلك الساعةَ حتّىٰ يخرج مِن ذريّتي، مَن اسمُه كاسمي، وكنيته ككنيتي، يملأ الأرضَ قسطاً وعدلاً كما مُلئت جوراً وظلماً، يجب علىٰ كلّ مخلوقٍ متابعتُه**».

ولأنّ كلّ إمام نَصَّ علىٰ مَن بعده متواتراً بالخلافة، وأنّهم عليهم السلام ظهر عنهم معجزات وكرامات خارقة للعادة لم تظهر علىٰ يد غيرهم، كختم الحَصىٰ وأمثال ذلك.

والقائم المنتظر محمّد المهديّ بن الحسن العسكريّ عليه السلام موجود من زمان أبيه الحسن العسكريّ، لكنّه مستترٌ إلى أن يأذن الله له بالخروج

فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلِئت جوراً وظلماً.

والدليل علىٰ ذلك أنّ كلّ زمانٍ لابدّ فيه مِن إمام وإلّا لَخلا الزمان عن إمام مع أنّه لطف، واللّطف واجب على الله تعالىٰ في كلّ زمان، ووجه إستتاره كثرة العدوّ، وقلّة الناصر، ويجوز أن يكون لمصلحةٍ خفيّة استأثر الله تعالىٰ بعلمها، واللّطف الواجب على الله تعالىٰ في الإمام هو نصبه وتكليفه بالإمامة والله تعالىٰ قد فعل ذلك فلم يكن مخلّاً بالواجب، وأنما الإخلال بالواجب مِن قبَل الرعيّة، فإنّهم يجب عليهم أن يتابعوه ويتمثّلوا أوامره ونواهيه، ويُمكّنوه من أنفسهم، فحيث لم يفعلوا ذلك كانوا مخلّين بالواجب فهلاكُهم مِن قِبل أنفسهم[١].

١. النُكتُ الإعتقاديّة للشيخ المفيد، الفصل الرابع: ٣٩ ـ ٤٥.

الفصل الثامن:

وَأَنْتَ أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِاللّٰهِ وَصَلَّىٰ لَهُ وَجاهَدَ وَأَبْدىٰ صَفْحَتَهُ فِي دارِ الشِّرْكِ، وَالْأَرْضُ مَشْحُونَةٌ ضَلالَةً، وَالشَّيْطانُ يُعْبَدُ جَهْرَةً، وَأَنْتَ الْقائِلُ: لَا تَزِيدُنِي كَثْرَةُ النَّاسِ حَوْلِي عِزَّةً، وَلَا تَفَرُّقُهُمْ عَنِّي وَحْشَةً، وَلَوْ أَسْلَمَنِي النَّاسُ جَمِيعاً لَمْ أَكُنْ مُتَضَرِّعاً. إعْتَصَمْتَ بِاللّٰهِ فَعَزَزْتَ، وَآثَرْتَ الْآخِرَةَ عَلَى الْأُولىٰ فَزَهِدْتَ، وَأَيَّدَكَ اللّٰهُ وَهَداكَ وَأَخْلَصَكَ وَاجْتَباكَ، فَما تَناقَضَتْ أَفْعالُكَ، وَلَا اخْتَلَفَتْ أَقْوالُكَ، وَلَا تَقَلَّبَتْ أَحْوالُكَ، وَلَا ادَّعَيْتَ وَلَا افْتَرَيْتَ عَلَىٰ اللّٰهِ كَذِباً، وَلَا شَرِهْتَ إِلَىٰ الْحُطامِ، وَلَا دَنَّسَكَ الْآثامُ، وَلَمْ تَزَلْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكَ، وَيَقِينٍ مِنْ أَمْرِكَ، تَهْدِي إِلَىٰ الْحَقِّ وَ إِلىٰ صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ.

اللّغة:

(أبدىٰ صفحتَه) أي: أظهر وجهَه. (مشحونة): مملوءة. (أسلمني): خذلني. (واجتباك): إختارك الله. (ولا افتريت): ولا كذبتَ. (ولا شَرِهتَ): ولا ملْتَ إلىٰ حطام الدنيا. (ولا دنّسك الآثام): ولا وسّختك الخطايا.

المعنى:

أنت يا أميرالمؤمنين أوّلُ مَن آمن وصلّىٰ، وجاهد لله وأظهر إيـمانه، وقابلتَ المشركين في دار الشرك (مكّة) وأرضُها مملوءة بالضلال، وتُعبَد الأوثان جهراً، وأنت لم تَخَفْ.

قلت: ولا تزيدني كثرةُ الناس حَولي عزّةً، ولا تفرّقُهم عنّي وحشةً، ولَا ٱنقطاعهم عنّي ذِلّةً، واختارك الله للإمامة، ولا كذبتَ علَى الله ولا ملتَ ولا أحببتَ حُطام الدنيا، ولا وَسَختك أوساخُ الخطايا والذنوب.

روى أبو سخيلة قال: حججتُ أنا وسلمان فنزلنا بأبي ذرّ، فكنّا عنده ما شاء الله، فلمّا حان منّا حَفوف، قلت: يا أباذرّ، إنّي أرىٰ أموراً قد حَدثتْ، وإنّي خائف على الناسِ الإختلاف، فإنْ كان ذلك فما تأمرني؟ قال: إلزَمْ كتابَ الله وعليَّ بن أبي طالب عليه السلام، فأشهد أنّي سمعتُ رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: **«عليٌّ أوّلُ مَن آمن بي، وأوّلُ مَن يصافحني يومَ القيامة، وهو الصدِّيق الأكبر، [وهو] الفاروق [يفرق] بين الحقّ والباطل»**[1].

وروىٰ أبو أيّوب قال: قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: **«لقد صلّت الملائكة علَيّ وعلىٰ عليٍّ سبع سنين؛ لأنّا كنّا نـصلّي وليس مـعنا أحـدٌ يُـصلّي غيرنا»**[2].

وقال ابن عبّاس: قال النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: **«إنّ أوّلَ مَن صلّىٰ معي عليّ [عليه السلام]»**[3].

قال: وقال عليّ عند مبيته علىٰ فراش رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم:

---

١. فرائد السمطين ١: ٣٩ / ح٣.
٢. المصدر: ٢٥٢ / ح١٨٧.
٣. المصدر: ٢٤٥ / ح١٩٠.

«وَقَيتُ بنفسي خيرَ مَن وَطِئ الحَصىٰ ومَن طافَ بالبيتِ العَتيقِ وبِالحِجْرِ
رسولَ إلهٍ خافَ أن يَمكُروا به فَنَجّاه ذو الطَّوْل الإلهُ مِنَ الْمَكْرِ
وباتَ رسولُ اللهِ في الغارِ آمِناً مُوقّىً وفي حِفْظِ الإلهِ وفي سَتْرِ
وبِتُّ أُراعِيهم وما يَثبتونني وقدوُطِّنَتْنفسي علَىالقتل والأَسْرِ»[1]

وروىٰ عمربن الخطّاب قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لعليٍّ عليه السلام: «يا عليّ، أنت أوّلُ المسلمين إسلاماً، وأنت أوّلُ المؤمنين إيماناً، وأنت منّي بمنزلة هارون مِن موسى. يا عليّ، إنّما أنت بمنزلة الكعبة تُؤتىٰ ولا تأتي، فإن أتاك هؤلاء القومُ فسلّموا إليك هذا الأمر فاقبلْه منهم، وإن لم يأتوك فلا تأتِهم»[2].

«وَأَبْدىٰ صَفْحَتَهُ فِي دارِ الشِّرْكِ، وَالْأَرْضُ مَشْحُونَةٌ ضَلالَةً، وَالشَّيْطانُ يُعْبَدُ جَهْرَةً»:

المشركون وعبادتهم للأصنام:

إنّ إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام لمّا سكن مكّة ووَلَد بها أولاداً كثيرين حتّى ملأ مكّة، ونَفر مَن كان بها وضاقت عليهم (مكّة) ووقعت الحروب والعداوات، وأخرج بعضهم بعضاً فتفسّحوا في البلاد إلتماساً للمعاش.

ثمّ سلخ ذلك [التوحيد] بهم إلىٰ أن عبدوا ما استحبّوا ونَسُوا ما كانوا عليه، واستبدلوا بدِين إبراهيم وإسماعيل غيرَه، فعَبَدوا الأوثان، واستخرجوا ما كان يَعبُد قومُ نوحٍ عليه السلام، ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلّا وَهُم

---

١. فرائد السمطين: ٣٣٠/ح ٢٥٦.
٢. عليٌّ والسنّة: ١٢.

مُشْرِكُونَ ﴾[1].

وأوّل مَن غيّر دين إسماعيل عليه السلام هو عمرو بن ربيعة، فكانت له خمسة أصنام. وكان يعبدها قوم نوح عليه السلام... ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَاراً﴾[2]، ﴿وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ﴾[3] كانت لهُذَيل وخُزاعة، وكانت قريش وجميع العرب تعظّمه، فلم يزل ذلك حتّىٰ خرج رسولُ الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم من المدينة سنةَ ثمانٍ من الهجرة وهو عام فتح الله عليه (مكّة)، فلمّا سار من المدينة أربع ليال أو خمس ليالٍ بعث عليّاً [عليه السلام] فهدمها وأخَذَ ما كان لها، فأقبل به النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، فكان فيما أُخذ سيفان كان ملك غسّان أهداهما لها... فوهبهما النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم لعليّ رضيِ الله عنه، فيقال: أنّ ذا الفقار سيف عليّ [عليه السلام].

وأمّا: (العُزّىٰ) كانت أعظمَ الأصنام عند قريش وكانوا يزورونها ويهدون لها ويتقرّبون عندها بالذبح، وكانت قريش تطوف بالكعبة وتقول: (اللّات والعزّىٰ، ومناة الثالثة الأخرى، فإنّهنّ الغرانيق العُلىٰ، وإنّ شفاعتَهنّ لَتُرتجىٰ). وكانوا يقولون إنهُنَّ بنات الله عزّ وجلّ، وهنّ يشفعن إليه، فلمّا بَعث الله رسولَه صلّى الله عليه وآله وسلّم أنزل عليه: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّىٰ﴾[4].

فلم تزل (العزّىٰ) كذلك حتّىٰ بعث الله نبيَّه صلّى الله عليه وآله وسلّم فعابها وغيرها من الأصنام، ونهاهم عن عبادتها، ونزل قرآن فيها.

---

١. يوسف: ١٠٦.
٢. نوح: ٢١.
٣. النجم: ٢٠.
٤. النجم: ١٩.

ولم تكن قريش بـ(مكّة) ومَن أقامها من العرب يعظّمون شيئاً [أي صنماً] من الأصنام أعظامهم : (العزّىٰ)، ثمّ (اللّات) ثمّ (مناة)... وهي التي ذكرها الله في القرآن المجيد حيث قال: ﴿وَلاَ تَذَرُنَّ وَدّاً وَلاَ سُوَاعاً وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً﴾[١].

وكانت لقريش أصنام في جوف الكعبة وحولَها، وكان أعظمها «هُبَل» وكان في جوف الكعبة قدّامَه سبعة أقداح، وعنده ضرب عبدُ المطّلِب بالقِداح على إبنه عبدالله والد النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم؛ وهو الذي يقول له أبو سفيان بن حرب حين ظفر يوم (أُحُد): أُعلُ هُبَل، أي علا دينك. فقال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: اللهُ أعلىٰ و أجلّ... فلمّا ظهر رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم يوم فتح مكّة دخل المسجد والأصنامُ منصوبة حول الكعبة، فجعل يطعن بسية قوسه في عيونها ووجوهها ويقول: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾[٢]... ثمّ أمر بها فكُفِفت وجوهُها، ثمّ أُخرِجت من المسجد. ولمّا بعث الله نبيَّه صلّى الله عليه وآله و أتاهم بتوحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، قالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً...﴾[٣]، يعنون الأصنام. واشتهرت العرب بعبادة الأصنام...

وكانت بنو مليح يعبدون الجنّ وفيهم نزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾[٤].

فلمّا فتح رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم مكّةَ و أسلمتِ العرب، ووفدت عليه وفودها جعل المشركون يقسمون لصنمهم من أنعامهم

---

١. نوح: ٢٤.
٢. الإسراء: ٨١.
٣. ص: ٥.
٤. الأعراف: ١٩٤.

حرثهم قسماً بينه وبين الله عزّ وجلّ بزعمِهِم، فما دخل في حقّ الله مِن حقٍّ صنم ردّوه إليه، وما دخل في الصنم من حقّ الله الذي سمّوه له تركوه له، ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيباً﴾[١].

وكان لبني حارث «كعبةٌ»، ولإياد «كعبةٌ» أخرىٰ لها سَدَنَةٌ وحُجّاب، وكانت تهدي لها كما تهدي للكعبة، وتطوف بها كما تطوف بالكعبة، وكما تنحر عند الكعبة.

وإذا كان معمولاً من خشبٍ أو ذهبٍ أو من فضّة صورة إنسان فهو صنم، وإذا كان من حجارة فهو وَثَن.

فلم تزل هذه الأصنام تُعبَد حتّىٰ بعث الله النبيَّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم فأمر بهدمها[٢].

(الفَلَس): كان يُعبَد، حتّىٰ ظهرت دعوة النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، فبعث إليه عليَّ بن أبي طالب عليه السلام فهدمه، وأخذ سيفين فقَدِم بهما عليّ بن أبي طالب عليه السلام على النبيّ صلّى الله عليه وآله فتقلّد أحدهما، ثمّ دفعه إلىٰ عليّ بن أبي طالب عليه السلام فهو سيفه الذي كان يتقلّده[٣].

«تَهْدِى إِلَىٰ الْحَقِّ وَ إِلَىٰ صِراطٍ مُسْتَقِيم»:

قال العلّامة المجلسيّ: إعلمْ أنّ الإماميّة أجمعوا على إشتراط صحّة الأعمال وقبولها بالإيمان الّذي من جملته الإقرار بولاية جميع الأئمّة عليهم

١. الأنعام: ١٣٦.
٢. منتهى المقال (رجال أبي عليّ): ٣٢٤.
٣. تلخيص الأصنام، تأليف أبو منذر بن محمّد الكلبيّ السائب، المشهور بالفضل والعلم، وكان يختصّ بمذهبنا، وله الحديث المشهور، قال: اعتللتُ علّةً عظيمة أنسِيتُ عِلمي، فجلست إلىٰ جعفر بن محمّد، فسَقاني العلم في كأس، فعاد إليَّ علمي، وكان أبو عبد الله عليه السلام يُدنيه وينشطه. وفي رواياتنا أنّ جبرائيل نزل بذي الفقار على النبيّ يومَ أُحُد فأعطاه عليّاً.

السلام وإمامتهم، والأخبارُ الدالّة عليه متواترة بين الخاصّة والعامّة[١].

صعد أميرالمؤمنين عليه السلام علىٰ مِنبر الكوفة فَحمِد اللهَ و أثنىٰ عليه، وشهد بشهادة الحقّ، ثمّ قال: «**إنّ الله بعث محمّداً بالرسالة واختصّه بـالنبوّة وأنبأه بالوحي، فأنال الناس وأنال، وفينا أهلَ البيت معاقلُ العلم وأبواب الحِكَم وضياء الأمر، فمَن يُحبّنا أهلَ البيت ينفعُه إيمانه ويُقبَل منه عملُه، ومَن لا يُحبّنا أهلَ البيت فلا ينفعه إيمانُه ولا يُقبل منه عملُه ولو صام النهارَ وقام الليل**»[٢].

وعن الحسين بن عليّ عليهما السلام قـال: «**قال** رسول **الله** صلّى الله عليه وآله: **إلزموا مودّتَنا أهلَ البيت؛ فإنّه مَن لقيَ اللهَ يومَ القيامة وهو يـودُّنا دخـل الجـنّة بشفاعتنا، والذي نفسي بيده لا ينفع عبداً عملُه إلّا بمعرفة حقّنا**»[٣].

وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «**ليلةَ أُسرِيَ بي إلى الجليل جلّ جلاله أوحىٰ إليّ: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيهِ مِنْ رَبِّهِ﴾، قلت: والمؤمنون، قال: صدقت يا محمّد، مَن خَلَّفتَ في أمّتك؟ قلت: خيرَها، قال: عليَّ بن أبي طالب؟ قلت: نعم يا ربّ، قال: يا محمّد، إنّي اطّلعتُ إلى الأرض اطّلاعةً فاخترتك منها، فشققت لك اسماً من أسمائي فلا أُذكَر في موضعٍ إلّا ذُكِرتَ معي، فأنا المـحمود وأنت محمّد** (صلّى الله عليه وآله)، **ثمّ اطّلعتُ الثانية فيها فاخترتُ منها عليّاً، وشـققت له إسماً من أسمائي، فأنا الأعلىٰ وهو عليّ.**

يا محمّد إنّي خلقتك وخلقتُ عليّاً وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة من وُلده مِن سنخِ نورٍ من نوري، وعرضتُ ولايتكم علىٰ أهل السماوات وأهل الأرضين، فمَن قَبِلَها كان عندي من المؤمنين، ومَن جحدها كان عندي من الكـافرين. يـا

---

١. بحارالأنوار ٢٧: ١٦٦.

٢. بحارالأنوار: ١٨٢ /ح٣٢ ـ عن: بصائر الدرجات: ١٠٧.

٣. بحارالأنوار: ١٧٠ /ح١٠ ـ عن: أمالي ابن الشيخ الطوسيّ: ٢٦٦.

محمّد، لو أنّ عبداً من عبيدي عبَدَني حتّىٰ ينقطع ويصير كالشِنِّ البالي، ثمّ أتاني جاحداً لولايتكم ما غفرتُ له حتّىٰ يُقرّ بولايتكم. يا محمّد، تحبّ أن تراهم؟ قلت: نعم يا ربّ، فقال لي: إلتفتْ عن يمين العرش.

فالتفتُّ.. فإذا أنا بعليٍّ وفاطمة والحسن والحسين وعليٍّ بن الحسين، ومحمّد بن عليّ، وجعفر بن محمّد، وموسى بن جعفر، وعليٍّ بن موسىٰ، ومحمّد بن عليّ، وعليٍّ بن محمّد، والحسن بن عليّ، والمهديّ، في ضحضاح من نور قيامٌ يصلّون، وفي وسطهم المهديّ يُضيء كأنّه كوكبٌ درّيّ، فقال: يا محمّد، هؤلاء الحُجج والقائم من عترتك وعزّتي وجلالي له الحجّة الواجبة لأوليائي، وهو المنتقم من أعدائي، بهم يُمسِك اللهُ السماواتِ أن تقع على الأرض إلّا بإذنه»[١].

سُئل الإمام الباقر عليه السلام عن قول الله عزَ وجلَ: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ﴾، فقال: «إلىٰ ولايتنا»[٢].

وقال الإمام عليّ عليه السلام في صاحب الصراط السَّويّ ومَن اهتدىٰ، قال: «اهتدىٰ إلىٰ ولايتنا»[٣].

ورُوي عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام، قال: «سألتُ أبي عن قول الله عزّ وجلّ ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ﴾، قال: الصراط هو القائم، والمهديُّ مَن آهتدىٰ إلىٰ طاعته، ومِثلُها في كتاب الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ قال: إلىٰ ولايتنا»[٤].

---

١. بحارالأنوار ٢٧: ٢٠٠ / ح٦٧ ـ عن إيضاح دفائن النواصب: ١١ و ١٢.
٢. تفسير البرهان ٣: ٥٠ / ح٨.
٣. المصدر / ح٩.
٤. المصدر / ح١٠.

الفصل التاسع:

أَشْهَدُ شَهادَةَ حَقٍّ، وَأُقْسِمُ بِاللّٰهِ قَسَمَ صِدْقٍ أَنَّ مُحَمَّداً وَآلَهُ صَلَواتُ اللّٰهِ عَلَيْهِمْ سَادَاتُ الْخَلْقِ، وَأَنَّكَ مَوْلايَ وَمَوْلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَنَّكَ عَبْدُ اللّٰهِ وَوَلِيُّهُ وَأَخُوالرَّسُولِ وَوَصِيُّهُ وَوارِثُهُ، وَأَنَّهُ الْقائِلُ لَكَ: وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ مَا آمَنَ بِي مَنْ كَفَرَ بِكَ، وَلَا أَقَرَّ بِاللّٰهِ مَنْ جَحَدَكَ، وَقَدْ ضَلَّ مَنْ صَدَّ عَنْكَ وَلَمْ يَهْتَدِ إِلَىٰ اللّٰهِ وَلَا إِلَيَّ مَنْ لَا يَهْتَدِي بِكَ، وَهُوَ قَوْلُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ: وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدىٰ إِلىٰ وِلايَتِكَ. مَوْلايَ فَضْلُكَ لَا يَخْفىٰ، وَنُورُكَ لَا يُطْفَأُ، وَأَنَّ مَنْ جَحَدَكَ الظَّلُومُ الْأَشْقىٰ، مَوْلايَ أَنْتَ الْحُجَّةُ عَلَى الْعِبادِ، وَالْهادِي إِلَىٰ الرَّشادِ، وَالْعُدَّةُ لِلْمَعادِ، مَوْلايَ لَقَدْ رَفَعَ اللّٰهُ فِي الْأُولىٰ مَنْزِلَتَكَ، وَأَعْلىٰ فِي الْآخِرَةِ دَرَجَتَكَ، وَبَصَّرَكَ مَا عَمِيَ عَلَىٰ مَنْ خالَفَكَ، وَحالَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ مَواهِبِ اللّٰهِ لَكَ، فَلَعَنَ اللّٰهُ مُسْتَحِلِّي الْحُرْمَةِ مِنْكَ، وَذائِدِي الْحَقِّ عَنْكَ، وَأَشْهَدُ أَنَّهُمُ الْأَخْسَرُونَ الَّذِينَ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيها كالِحُونَ.

اللّغة:

(جَحَدَ): كفر و كذّب، (صدّ): منع، (بصر): فتح عينيه، (مستحلّ): مناقض ما انعقد، (ذائد): مانع، (كالحون): قبيح وجههم.

المعنىٰ:

أشهد يا أميرالمؤمنين شهادةَ حقٍّ ويقين، وأُقسِمُ قَسَمَ صدقٍ باللهِ جلّ جلاله بأنّ محمّداً وآله صلوات الله عليهم ساداتُ خَلْق الله وشُرفاؤهم، وأنّك مولاي ومولىٰ كلِّ مؤمن، وأنت عبدُ الله ووليُّه، وأخو رسوله ووصيُّ نبيّه، ووارث خاتم الأنبياء.

وقد صرّح النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله بأنّ مَن لم يؤمنْ بولايتك لم يكُ مسلماً، بل كفر بالله وكذّب رسوله صلّى الله عليه وآله، وضلّ عن سبيل الهدىٰ، ومَن منع الناسَ عن الإيمان بولايتك لم يهتدِ إلى الله ورسوله. وأنتَ الهادي الذي يهتدي الناس بك كما هو قول ربّي عزّ وجلّ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾[1] إلىٰ ولايتك.

مولايَ يا أميرالمؤمنين، فضلك لا يَخفىٰ علىٰ مَن آمن، ونورُك لا يُطفأ؛ لأنّك نور الله، وإنّ مَن كفر بك ظالم شقيّ. مولايَ أنت حجّة الله على العباد، والهادي ورادِعُهم عن الضلال، وذخيرتهم إلىٰ يوم المعاد.

مولاي لقد رفع الله في الدنيا منزلتك، وفي القيامة درجتك، وبصّرك الله بمن كان في الدنيا أعمىٰ لمخالفتهم ايّاك، ومنعهم الناس أن يعرفوا مواهبَ الله لك، لعن الله ناقضي ما عقد رسول الله صلّى الله عليه وآله يوم الغدير لك مِن حُرمة مقامك، ولعن الله مانعي حقّك. وأشهد يا أميرالمؤمنين أنّهم خسروا في الدنيا، وتحترق وتقبح وجوههم في نار جهنّم في الآخرة.

الحديث:

روىٰ عِكرَمة عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم لعبد الرحمان بن عوف: «**يا عبد الرحمان أنتم أصحابي، وعليٌّ بن أبي طالب**

---

١. طه: ٨٢.

منّي وأنا مِن عليّ، فمَن قاسه بغيره فقد جفاني، ومَن جفاني فقد آذانـي، ومَـن آذاني فعليه لعنةُ ربّي»[١].

وروى الحارث صاحب راية الأنصار قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول لعليّ بن أبي طالب عليه السلام: **«ولا يتقدّمُك بعدي إلّا كافر، ولا يتخلّف عنك بعدي إلّا كافر، وإنّ أهل السماوات السبع يُسمّونك أميرَ المؤمنين بأمر الله تعالىٰ»**[٢].

قصّة الأعمش والمنصور العبّاسيّ رواها الفريقان الشيعة والسنّة ...، إلىٰ أن قال المنصور: حبّ عليٍّ إيمان، وبغضُه نفاق، لا يُحبّ عليّاً إلّا مؤمن، ولا يبغضه إلّا كافر، فقلت: يا أميرالمؤمنين، الأمان؟ قـال: لك الأمـان، قال: قلت: فما تقول يا أميرالمؤمنين فيمَن قتل هؤلاء؟ قال: في النار لا أشكّ، فقلت: فما تقول فيمَن قتل أولادَهم وأولادَ أولادهم؟ قال: فنكّس رأسه ثمّ قال:... المُلك عقيم![٣]

أقول:

قال العلّامة الحلّيّ قُدّس سرّه: ذهَبَت الإماميّة كافّة إلىٰ أنّ الإمام بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وقالت السنّة: إنّه أبو بكر بن أبي قُحافة، ثمّ عمر بن الخطاب، ثمّ عثمان بن عفّان، ثمّ عليّ بن أبي طالب.

وخالفوا المعقول والمنقول.

أمّا المعقول: فهو الأدلّة الدالّة علىٰ إمامة أميرالمؤمنين عليه السلام مِن

---

١. مائة منقبة من مناقب أميرالمؤمنين عليه السلام لابن شاذان: ١٢٧ / المنقبة السابعة والستّون.
٢. المصدر: ٧٩.
٣. مناقب عليّ بن أبي طالب لابن المغازليّ الشافعي: ١٥٥ / ح١٨٨.

حيث العقل، وهي من وجوه:

الأوّل: الإمام يجب أن يكون معصوماً، وغيرُ عليٍّ لم يكن معصوماً بالإجماع، فتعيّن أن يكون هو الإمام.

الثاني: شرط الإمام أن لا يَسبق منه معصيةٌ علىٰ ما تقدّم، والمشايخ قبل الإسلام كانوا يعبدون الأصنام فلا يكونون أئمّة، فتعيّن عليٌّ عليه السلام لعدم الفارق.

الثالث: الإمام يجب أن يكون منصوصاً عليه، وغير عليّ من الثلاثة ليس منصوصاً عليه، فلا يكون إماماً.

الرابع: الإمام يجب أن يكون أفضلَ مِن رعيّته، وغير عليّ لم يكن كذلك، فتعيّن عليه السلام.

الخامس: الإمامة رئاسة عامّة، وإنّما تستحقّ: بالزهد، والعلم، والعبادة، والشجاعة، والإيمان، وسيأتي أنّ عليّاً هو الجامع لهذه الصفات على الوجه الأكمل الذي لم يلحقه غيره، فيكون إماماً[١].

«وَالْعُدَّةُ لِلْمَعادِ»:

قال العلامة الحلّيّ: إتّفق العلماء علىٰ ثبوت الشفاعة للنبيّ صلّى الله عليه وآله[٢]، ويدلّ عليه قولُه تعالىٰ: ﴿**عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحمُوداً**﴾[٣].

وتعتقد الشيعة أنّ أعدّ الله سبحانه للأمّة شفاعة الأنبياء عليهم السلام والأئمّة صلوات الله عليهم، وهم شفعاؤنا عند الله.

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**يا عليّ، بشِّرْ شيعتَك أنا الشفيعُ لهم يومَ**

---

١. نهج الحقّ وكشف الصدق: ١٧١.
٢. شرح التجريد: ٢٦٢.
٣. الإسراء: ٧٩.

القيامة وقتَ لا ينفعُ مالٌ ولا بنونَ إلّا شفاعتي»[١].

ورُويَ عن الصدّيقة فاطمة سلام الله عليها قالت: «إنّ أبي صلّى الله عليه وآله وسلّم نظر إلىٰ عليٍّ [عليه السلام] وقال: هذا وشيعته في الجنّة»[٢].

وقال صلّى الله عليه وآله: «يا عليّ، أنت وأصحابك وشيعتك في الجنّة»[٣].

وقال صلّى الله عليه وآله: «يا عليّ، إذا كان يومُ القيامة أخذتُ بحُجْزة الله عزّ وجلّ، وأخذتَ أنت بحجزتي، وأخذ وُلْدُك بحُجزتك، وأخذ شيعة وُلْدك بحجزتهم، فترىٰ أين يؤمَر بنا؟!»[٤]

وقال صلّى الله عليه وآله لعليّ: «أنت وشيعتك تَرِدون على الحوض رُواةً مرويّين مُبْيَضّةً وجوهُكم، وإنّ عدوّك يَرِدون على الحوض ظِماءً مُقْمَحين»[٥].

وقال صلّى الله عليه وآله: «يا عليّ، إنّ شيعتنا يخرجون من قبورهم يوم القيامة علىٰ ما بهم من العيوب والذنوب، وجوهُهم كالقمر في ليلة البدر، وقد فُرِّجت عنهم الشدائد، وسهلت لهم الموارد، وأُعطُوا الأمن والأمان، وارتفعت عنهم الأحزان، يخاف الناس ولا يخافون، ويحزن الناس ولا يحزنون»[٦].

---

١. ينابيع المودة ٢: ٣١٢ / ح٨٩٢.
٢. المصدر.
٣. مجمع الزوائد ١٠: ٢١.
٤. ربيع الأبرار ١: ٨٠٨.
٥. مجمع الزوائد ٩: ١٣١. (مُقْمَحين): مشدودة رؤوسهم إلى خلفِهم، ومنه أَقحمتُ البعير أي: شددتُ رأسه إلى خَلف. (مفردات القرآن، كلمة: قَمح).
٦. مناقب عليّ بن أبي طالب لابن المغازليّ: ٢٩٦ / ح٣٣٩.

الفصل العاشر:

وَأَشْهَدُ أَنَّكَ مَا أَقْدَمْتَ وَلاٰ أَحْجَمْتَ وَلاٰ نَطَقْتَ وَلاٰ أَمْسَكْتَ إِلَّا بِأَمْرٍ مِنَ اللّٰهِ وَرَسُولِهِ، قُلْتَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ نَظَرَ إِلَيَّ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَضْرِبُ بِالسَّيْفِ قُدْماً، فَقالَ: يَا عَلِيُّ، أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هارُونَ مِنْ مُوسىٰ إِلَّا أَنَّهُ لاٰ نَبِيَّ بَعْدِي، وَأُعْلِمُكَ أَنَّ مَوْتَكَ وَحَياتَكَ مَعِي وَعَلَىٰ سُنَّتِي، فَوَاللّٰهِ مَا كَذِبْتُ وَلاٰ كُذِّبْتُ وَلاٰ ضَلَلْتُ وَلاٰ ضُلَّ بِي وَلاٰ نَسِيتُ مَا عَهِدَ إِلَيَّ رَبِّي، وَ إِنِّي لَعَلىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي بَيَّنَها لِنَبِيِّهِ، وَبَيَّنَهَا النَّبِيُّ لِي، وَ إِنِّي لَعَلَى الطَّرِيقِ الْواضِحِ أَلْفِظُهُ لَفْظاً، صَدَقْتَ وَاللّٰهِ وَقُلْتَ الْحَقَّ.

(أقدَمَ): إجترأ. (أحجم): كفَّ ونَكَص هيبةً. (قُدْماً): سبقاً.

المعنى:

وأشهد يا أميرالمؤمنين أنّك ما نكَّسَتْكَ هيبةُ أعدائك، ولا تكلّمت ولا نطقت ولا سكتّ إلّا بأمرٍ من الله ورسوله صلّى الله عليه وآله، وقلتَ: «**والذي نفسي بيده، لَقَد نَظَر إليّ رسولُ الله صلّى الله عليه وآله أضربُ في الحرب سبقاً للمشركين، فقال صلّى الله عليه وآله: يا عليّ أنت منّي بمنزلةِ هارونَ مِن موسىٰ إلّا أنّه لا نبيَّ بَعدي، وأُعلمك أنّ موتك وحياتك في الدنيا والآخرة معي وعلىٰ**

سُنّتي». فوَ اللهِ ما كَذِبتَ ولم تكن ضالّاً ولا مُضلّاً، ولا نَسِيتَ ما عَهِد إليك ربُّك، و أنّك علىٰ بيّنةٍ مِن ربّك بمابيّن الله سبحانه لنبيّه، وبيّنها النبيّ صلّى الله عليه وآله لك، و أنّك علىٰ طريقٍ واضح غير ضالٍّ، وبيانٍ واضحٍ غير مخالطٍ، صدقتَ وما قلتَ إلّا حقّاً.

روى ابن المغازليّ بإسناده عن أبي زيد الباهليّ أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله آخىٰ بين المسلمين وقال: «يا عليّ، أنت أخي، أنت منّي بمنزلة هارون من موسىٰ غيرَ أنّه لا نبيَّ بعدي، أما علمتَ يا عليّ أنّ أوّل مَن يُدعىٰ به يومَ القيامة يُدعىٰ بي. فأقوم عن يمين العرش في ظلّه، فأُكسىٰ حُلّةً خضراء مِن حُلل الجنّة، ثمّ يُدعىٰ بالنبيّين بعضهم علىٰ بعض فيكونون سِماطَين عن يمين العرش، ثم يُكسَوْنَ حُللاً خُضْراً مِن حُلل الجنّة.

وإنّي أُخبرك يا عليّ: أنّ أُمّتي أوّل الأُمم يُحاسَبون، ثمّ إنّه أوّل ما يُدعىٰ بك، لقرابتك منّي ومنزلتك عندي، ويُدفَع إليك لواي وهو لواء الحمد، وتسير به بين السِّماطين، آدم عليه السلام وجميع خلق الله يستظلّون بظلِّ لواي يومَ القيامة. طولُه مسيرة ألف سنة، سِنامُه ياقوتةٌ حمراء، قضيبُه من فضّةٍ بيضاء، زُجُّه دُرّةٌ خضراء، له ثلاث ذوائب مِن نور: ذؤابة في الشرق، وذؤابة في الغرب، والثالثة وسط الدنيا.

مكتوب عليه ثلاثة أسطر: الأوّل بسم الله الرحمن الرحيم، والثاني الحمد لله ربِّ العالمين، والثالث: لا إله إلّا الله محمّد رسول الله. طول كلّ سطر مسيرة ألف سنة. وعرضه مسيرة ألف سنة.

فتسيرُ باللّواء والحسنُ عن يمينك والحسينُ عن يسارك، حتّىٰ تقف بين يدَي إبراهيم عليه السلام في ظلِّ العرش، ثمّ تُكسىٰ حُلّةً خضراء من الجنّة، ثمّ ينادي منادٍ مِن تحت العرش: نِعمَ الأبُ أبوك إبراهيم، ونِعم الأخُ أخوك عليّ.

أبشِرْ يا عليّ، إنّك تُكسىٰ إذا كُسِيتُ، وتُدعىٰ إذا دُعِيتُ وتُحْيىٰ إذا حُيِيتُ»[١].

روى الحاكم بسنده عن حيّان الأسديّ: سمعتُ عليّاً يقول: «**قال لي رسول الله** صلّى الله عليه وآله وسلّم: **إنّ الأمّة ستغدر بك، وأنت تعيش علىٰ ملّتي وتُقتل علىٰ سُنّتي، مَن أحبّك أحبّني، ومَن أبغضك أبغضني، وإنّ هذه ستُخضَب من هذا»**[٢]، ـ يعني لحيته من رأسه.

وروى أبو نُعَيم بإسناده عن أنس بن مالك، قال: بعثني النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم إلىٰ أبي بَرزة الأسلميّ فقال له ـ وأنا أسمع ـ: «**يا أبا برزة، إنّ ربّ العالمين عَهِد إليّ عهداً في عليّ بن أبي طالب فقال: إنّه راية الهدىٰ ومنار الإيمان، وإمام أوليائي، ونورُ جميعِ مَن أطاعني. يا أبا برزة، عليّ بن أبي طالب أميني غداً في القيامة، وصاحب رايتي في القيامة علىٰ مفاتيح خزائنِ رحمةِ ربّي»**[٣].

(إمام أوليائي): الجملة نصٌّ علىٰ إمامة عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وانصبّ أكثر إهتمام علماء الكلام من الفِرق المختلفة بموضوع «الإمامة»؛ لأنّ «الإمامة» كما عُرِّفت في كتب الشيعة والسنّة هي: «نيابةٌ عن النبيّ في أمور الدين والدنيا»؛ ولأنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قال ـ في الحديث المتَّفَق عليه ـ: «**مَن ماتَ ولم يَعرِفْ إمامَ زمانِه ماتَ مِيتةً جاهليّة**»، فتكون الشؤون الدينيّة والدنيويّة مَنوطةً كلُّها بالإمام، وتكون معرفته ثمّ طاعته واجبةً في جميع المجالات.

أمّا الشيعة، فالإمامة عندهم ـ للحديث المذكور وغيره من الأدلّة النقليّة والعقليّة ـ من أصول الدين، فيشملها موضوع علم الكلام.. وأمّا السنّة، فإنّهم ـ وإن اضطربوا وتذبذبوا ـ بحثوا عنها في هذا العلم بالتفصيل.

---

١. مناقب عليّ بن أبي طالب: ٤٢ / ح٦٥.
٢. المستدرك على الصحيحين ٣: ١٤٢.
٣. حلية الأولياء ١: ٦٦.

وعلىٰ كلّ حالٍ، فقد أصبح موضوع الإمامة يشكّل أحدَ الأبواب الواسعة في الكتب الكلاميّة، ولا يزال يشغل بالَ جُلّ علماء الكلام، حتّىٰ ألّفوا فيه كتباً مفردةً لا تُحصىٰ...

مَن الإمام بعد النبيّ ؟

إختلف المسلمون في هذه المسألة، فقيل: الإمام بعد النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم هو «عليّ بن أبي طالب»... للنصوص الكثيرة الدالّة علىٰ ذلك، المتَّفَق عليها بين المسلمين وقد عُرِف القائلون بهذا القول بـ «الشيعة».

وقيل: الإمام بعد النبيّ هو «أبوبكر بن أبي قُحافة»، وقد عُرِف القائلون بهذا القول بـ «السُّنة»... لكنّهم يعترفون بأنْ لا نصَّ علىٰ إمامة أبي بكر... فضلاً عن أن يكون متَّفَقاً عليه... فإذا طُولبوا بالدليل ـ بعد الإعتراف بما ذُكِر ـ قالوا: الدليل إجماع الصحابة... في حين يعترفون بأنّ إمامة أبي بكر إنّما انعقدت ببيعة «عمر بن الخطاب» و «أبي عبيدة بن الجرّاح»، وأنّ كثيرين من أعلام الصحابة امتنعوا عن البيعة، وعلىٰ رأسهم «عليٌّ بن أبي طالب» و «الزهراء بضعة الرسول»[١].

قال ابن قتيبة (المتوفّىٰ سنة ٢٧٦ هـ): وإنّ أبابكر تفقّد قوماً تخلّفوا عن بيعته عند عليٍّ كرّم الله وجهه، فبعث إليهم عمر، فجاء فناداهم وهم في دار عليّ، فأبَوا أن يخرجوا، فدعا بحطبٍ وقال: والذي نفسُ عمر بيده، لتخرجُنّ أو لَأُحرقنّها علىٰ مَن فيها؛ فقيل: يا أبا حفص، إنّ فيها فاطمة، فقال: وإنْ![٢]

---

١. الإمامة في أهمّ الكتب الكلاميّة: السيّد عليّ ابن سماحة السيّد نورالدين الحسينيّ الميلانيّ: ٢٢.
٢. تاريخ الخلفاء الراشدين ١: ١٢ ـ طبع مصر.

الفصل الحادي عشر :

فَلَعَنَ اللّٰهُ مَنْ ساواكَ بِمَنْ ناواكَ، وَاللّٰهُ جَلَّ اسْمُهُ يَقُولُ: ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاٰ يَعْلَمُون ﴾[1] فَلَعَنَ اللّٰهُ مَنْ عَدَلَ بِكَ مَنْ فَرَضَ اللّٰهُ عَلَيْهِ وِلايَتَكَ وَأَنْتَ وَلِيُّ اللّٰهِ، وَأَخُو رَسُولِهِ، وَالذّابُّ عَنْ دِينِهِ، وَالَّذِي نَطَقَ الْقُرْآنُ بِتَفْضِيلِهِ ، قالَ اللّٰهُ تَعالىٰ: ﴿وَفَضَّلَ اللّٰهُ الْمُجاهِدِينَ عَلَىٰ الْقاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً * دَرَجاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكانَ اللّٰهُ غَفُوراً رَحِيماً ﴾[2] وَقالَ اللّٰهُ تَعالىٰ : ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقايَةَ الْحاجِّ وَعِمارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجاهَدَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ لاٰ يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللّٰهِ وَاللّٰهُ لاٰ يَهْدِي الْقَوْمَ الظّالِمِينَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَهاجَرُوا وَجاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ بِأَمْوالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللّٰهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفائِزُونَ * يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوانٍ وَجَنّاتٍ لَهُمْ فِيها نَعِيمٌ مُقِيمٌ * خالِدِينَ فِيها أَبَداً إِنَّ اللّٰهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[3] .

---

١. الزمر : ٩.
٢. النساء : ٩٥ و٩٦.
٣. التوبة : ١٩ ـ ٢٢.

اللغة:

(ساوىٰ): قرن، (ناواك): عاداك، (عدل بك): يعدلون بأفعالهم عنك وينسبونها إلى غيرك، (الذّاب): المدافع، (فاز): ظفر ونجا.

المعنىٰ:

لعن اللهُ مَن قرنك بمَن بَعُد عن الله ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم، وعَدَلك بمَن لا يَعدِلك في الإيمان، واللهُ جلّ اسمه يقول: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ [يَعْرِفون] وَالَّذِينَ لاٰ يَعْلَمُون؟!﴾ أي لا يعرفون اللهَ سبحانه. ولعَنَ اللهُ مَن قرن بك من فرض الله عليه ولايتَك، وأنت وليّ الله، وأخو رسوله، والذّابّ عن الإسلام، ولم تسجد لصنمٍ قطّ، ولم تعبد غيرَ الله تعالىٰ، وأنت يا سيّدي الذي نطق القرآن بتفضيله، قال الله تعالىٰ: ﴿وَفَضَّلَ اللّٰهُ الْمجاهِدِينَ عَلَىٰ الْقاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً * دَرَجاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكانَ اللّٰهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾.

وقال الله تعالىٰ: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجاهَدَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ لاٰ يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللّٰهِ وَاللّٰهُ لاٰ يَهْدِي الْقَوْمَ الظّٰالِمِينَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَهاجَرُوا وَجاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ بِأَمْوالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللّٰهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفائِزُونَ * يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيها نَعِيمٌ مُقِيمٌ * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً إِنَّ اللّٰهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

(يا مولاي ظفرَ ونجا المتمسك بك في الدنيا والآخرة).

الحديث:

روى الترمذيّ بسنده عن ابن عمر قال: آخىٰ رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم بين أصحابه، فجاء عليٌّ تدمع عيناه فقال: يا رسول الله، آخيتَ بين أصحابك ولم تُواخِ بيني وبين أحد؟! فقال له رسول الله صلّى الله عليه

[وآله] وسلّم: «**أنت أخي في الدنيا والآخرة**»[١].

قال السيّد عليّ الميلانيّ: لقد كان الغرض من مؤاخاة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لعليّ عليه السلام هو تعريف منزلته، وبيان فضله علىٰ غيره، لأنّه كان يُؤاخي بين الرجل ونظيره، فيكون عليٌّ هو النظيرَ لرسول الله؛ ولذا تعرّض صلّى الله عليه وآله وسلّم لدى المؤاخاة بينَه وبين عليّ إلىٰ أنّه بمنزلة هارون من موسىٰ[٢].

وروى ابن حجر عن الحسن بن زيد قال: لم يعبد عليٌّ الأوثانَ قطّ من صغره، ومن ثَمّ يُقال فيه: كرّم الله وجهه، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنّة، وأخو رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم بالمؤاخاة، وصهرُه علىٰ فاطمة سيّدة نساء العالمين، وأحد السابقين إلى الإسلام، وأحد العلماء الربانيّين، والشجعان المشهورين، والزهّاد المذكورين، والخطباء المعروفين.

وهو أوّل مَن جمَع القرآن وعَرضَه علىٰ رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، وعرض عليه أبو الأسود الدؤليّ وأبو عبد الرحمان السَّلَميّ، وعبد الرحمان بن أبي ليلى، ولمّا هاجر النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم إلى المدينة أمره أن يقيم بعده بمكّة أيّاماً حتّىٰ يُؤدّيَ عنه أمانتَه والودائع والوصايا التي كانت عند النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، ثمّ يَلحقه بأهله، ففعل ذلك وشهد مع النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم سائر المشاهد إلّا تبوك؛ فإنّه صلّى الله عليه [وآله] وسلّم إستخلفه على المدينة وقال له حينئذٍ: «**أنت منّي بمنزلة هارون مِن موسى**» ـ كما مرّ ـ. وله في جميع المشاهد الآثار المشهورة،

---

١. سنن الترمذيّ ٥: الباب ٨٥ ص ٣٠٠ / ح ٣٨٠٤.
٢. الإمامة: ١٣٢.

و أصابه يومَ أُحد ستَّ عشرة ضربة، و أعطاه النبيُّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم اللّواء في مواطن كثيرة، سيّما يومَ خيبر، و أخبرَ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم أنّ الفتح يكون على يده، كما في الصحيحين، وحمل يومئذٍ بابَ حصنها على ظهره حتّىٰ صعد المسلمون عليه ففتحوها، وإنّهم جَرّوه بعد ذلك فلم يحمله إلّا أربعون رجلاً، وفي روايةٍ أنّه تترَّسَ بباب الحصن عن نفسه، فلم يزل يقاتل وهو في يده حتّىٰ فتح الله عليه، ثمّ ألقاه فأراد ثمانية أن يقلبوه فما استطاعوا[١].

فكان صلّى الله عليه وآله كلَّ يوم يعطي الراية لأحد الأصحاب، فيأخذ الراية في الصباح لمقاتلة القوم ولكن يرجع من دون أيّ فتح، أبوبكر أخذ الراية في يوم فرجع منهزماً، وفي اليوم الآخر أخذها عمر ثمّ رجع كذلك منهزماً، فلمّا رجع عمر في المساء قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «**لَأُعطينّ الرايةَ غداً رجلاً كرّاراً غيرَ فرّار، يُحبّ اللهَ ورسولَه ويُحبُّه اللهُ ورسولُه، لا يرجع حتّىٰ يفتح الله علىٰ يده**».

فاجتمع الأصحاب في الغد، وتطاولت أعناقهم علّهم يكونوا ذلك الرجل، فقال صلّى الله عليه وآله: «**أين عليّ بن أبي طالب؟**» فقالوا: يا رسولَ الله، هو يشتكي عينيه ولا يَقْدر على النهوض، فقال: «**أرسلوا إليه**». فذهب سلمة ابن الأكوع إلىٰ عليٍّ عليه السلام و أخذ بيده وجاء به إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله، فوضع النبيّ رأسه في حجره وبصق في عينيه، فبرئ في وقته من الرمد.

فأعطى الرايةَ عليّاً، فأخذها وخرج مُهروِلاً حتّىٰ وصل إلىٰ حِصن قموص، فخرج مَرحب متبختراً من الحصن كعادته ومرتجزاً:

---

١. الصواعق المحرقة: ٧٢.

قَد عَلِمتْ خيبرُ أنّي مَرحبُ   شاكي السلاحِ بَطلٌ مُجرَّبُ

فأقبل عليه عليّ عليه السلام قائلاً:

«أنا الذي سمّتني أُمّي حيدرة   ضرغامُ آجامٍ وليثُ قَسْورة»

فلمّا سمع مرحب رجز عليٍّ عليه السلام تذكّر قول ظئره الكاهنة بانّك قاتلٌ كلَّ مَن قاتَلَك، وغالبٌ كلَّ مَن غالبك، إلّا مَن تسمّىٰ عليك بحيدرة! فإنّك إن وقفتَ له هلكت! فلمّا تذكّر هذا هرب خوفاً، فتمثّل له إبليس في صورة حَبرٍ من أحبار اليهود، وقال له: حيدرة في الدنيا كثير، إلىٰ أين تفر؟! فرجع وأراد أن يضرب عليّاً عليه السلام فسبقه فضربه ضربة بذي الفقار علىٰ رأسه، فهلك في الحال.

ثمّ قتل عليه السلام بعده ربيعَ بن أبي الحُقَيق وهو من صناديد اليهود، وعنتر الخيبريّ من أبطال اليهود المعروف بالشجاعة والقساوة، وكذلك قتل مُرّةً وياسر وأمثالهم من أبطال وشجعان اليهود.

وهرب اليهود إلىٰ حصن قموص وأغلقوا بابه، فجاء عليّ عليه السلام إلىٰ باب القلعة شاهراً سيفه، وأخذ تلك الباب الحديديّة فهزّها وأخرجها من مكانها، فاهتزّ الحصن هزّةً شديدة، وسقطت صفيّة بنت حُيَيٍّ بن أخطب مِن علىٰ سريرها، وأصاب وجهَها جُرح!

فأخذ عليه السلام الباب وجعلها درعاً وحارب القوم بها، فانهزم اليهود في جُحورهم، ثمّ جعل عليه السلام الباب قنطرةً على الخندق، ووقف هو علىٰ شُرَف الخندق فعبر جيش المسلمين عليها، ثمّ أخذها ورماها إلىٰ أربعين ذراعاً. فجاء أربعون رجلاً ليحرّكوها مِن مكانها فلم يقدروا[١].

وكان فتح خيبر في محرّم الحرام السنة السابعة من الهجرة.

---

١. منتهى الآمال ١: ١٦٠ ـ ١٦٢ ـ عن: الإرشاد للشيخ المفيد: ٣٧، عنه: بحارالأنوار ٢١: ١٦ / ح١١.

«أَشْهَدُ أَنَّكَ الْمَخْصُوصُ بِمِدْحَةِ اللّٰهِ»:

قال الإمام عليّ عليه السلام: «كنتُ أوّلَ داخلٍ على النبيّ وآخرَ خارجٍ مِن عنده، وكنتُ إذا سألتُ أُعطيتُ، وإذا سكتُّ ابتُدِيتُ، وكنت أدخل علىٰ رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم في كلّ يوم دخلة، وفي كلّ ليلة دخلة، وربّما كان ذلك في بيتي يأتيني رسول الله عليه الصلاة والسلام أكثرَ مِن ذلك في منزلي، فإذا دخلتُ عليه في بعض منازله أخلىٰ بي وأقام نساءه، فلم يُبق عنده غيري، وإذا أتاني لم يُقِم فاطمة ولا أحداً من وُلدي، فإذا سألتُه أجابني، وإذا سكتُّ عنه ونفَدَت مسائلي إبتدأني.

فما نزلت علىٰ رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم آيةٌ من القرآن إلّا أقرأنيها وأملاها علَيّ وكتبتها بخطّي، فدعا اللهَ أن يُفهمَني ويُعطيني، فما نزلت آيةٌ من كتاب الله إلّا حَفِظتُها، وعلّمني تأويلها.

وما تركتُ شيئاً من حلالٍ ولا حرامٍ إلّا وقد حَفِظته وعلّمني تأويله، لم أنسَ منه حرفاً واحداً منذُ وضع يده صلّى الله عليه [وآله] وسلّم علىٰ صدري فدعا اللهَ أن يملأ قلبي فَهْماً وعِلماً وحكماً ونوراً»[١].

١. المعيار والموازنة، لأبي جعفر الإسكافيّ المعتزليّ: ٣٠٠.

الفصل الثاني عشر:

أَشْهَدُ أَنَّكَ الْمَخْصُوصُ بِمِدْحَةِ اللّٰهِ، الْمُخْلِصُ لِطاعَةِ اللّٰهِ، لَـمْ تَـبغِ بِالْهُدىٰ بَدَلاً، وَلَمْ تُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّكَ أَحَداً، وَأَنَّ اللّٰهَ تَعالَىٰ اسْتَجابَ لِنَبِيِّهِ صَلَّىٰ اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِيكَ دَعْوَتَهُ، ثُمَّ أَمَرَهُ بِإِظْهارِ مَا أَوْلاكَ لِأُمَّتِهِ، إِعْلاءً لِشَأْنِكَ، وَ إِعْلاناً لِبُرْهانِكَ، وَدَحْضاً لِلْأَباطِيلِ، وَقَطْعاً لِلْمَعاذِيرِ.

اللّغة:

(مدحة): ما يُمدح به، (تبغِ): تريد، (أولى): أنعَم وخصَّ، (دحض): أبطل.

المعنى: أشهد أنّك يا أميرالمؤمنين خُصِصتَ بمدح الله سبحانه؛ لأنّك المخلص لطاعة الله، لم تتّخذ بالهدىٰ بدلاً وعِدلاً، ولم تشرك بعبادة ربّك أحداً، وإنّ الله تعالىٰ استجاب لنبيّه صلّى الله عليه وآله فيك دعاءَه: **«اللّهمَّ والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه»**، ثمّ أمره الله بإظهار أنّك أَولى الناس بأنفسهم لأمّته؛ إعلاءً لشانك، وإعلاناً لبرهانك، وإبطالاً للأباطيل، وإتماماً للحُجّة.

الحديث:

روى سعيدبن المسيِّب قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: **«اللّهمّ اجعلْ لي وزيراً مِن أهل السماء، ووزيراً من أهل الأرض»**.

فأوحى الله إليه: «**إنّي قد جعلتُ وزيرَك من أهل السماء جَبرائيل، ووزيرَك مِن أهل الأرض عليَّ بن أبي طالب**»[١].

وروى الحاكم الحسكانيّ بسنده عن عبدالله بن عبّاس عن النبيّ صلّى الله عليه وآله: قال الله تبارك وتعالىٰ: «**إنّي لم أبعث نبيّاً إلّا جعلتُ له وزيراً، وإنّك رسول الله، وإنّ عليّاً وزيرك**»[٢].

---

١. مائة منقبة من مناقب أميرالمؤمنين عليه السلام لابن شاذان / المنقبة السادسة والسبعون ص١٣٥.
٢. شواهد التنزيل ١: ٢٩٢ /ح٢٥٠.

الفصل الثالث عشر:

فَلَمَّا أَشْفَقَ مِنْ فِتْنَةِ الْفاسِقِينَ، وَاتَّقَىٰ فِيكَ الْمُنافِقِينَ، أَوْحىٰ إِلَيْهِ رَبُّ الْعالَمِينَ: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّٰهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ، فَوَضَعَ عَلَىٰ نَفْسِهِ أَوْزارَ الْمَسِيرِ، وَنَهَضَ فِي رَمْضاءِ الْهَجِيرِ، فَخَطَبَ وَأَسْمَعَ وَنَادَىٰ فَأَبْلَغَ، ثُمَّ سَأَلَهُمْ أَجْمَعَ، فَقالَ هَلْ بَلَّغْتُ فَقالُوا: اللّٰهُمَّ بَلَىٰ. فَقالَ: اللّٰهُمَّ اشْهَدْ، ثُمَّ قالَ: أَلَسْتُ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ فَقالُوا: بَلىٰ. فَأَخَذَ بِيَدِكَ، وَقالَ: مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَهَذا عَلِيٌّ مَوْلاهُ، اللّٰهُمَّ والِ مَنْ والاهُ، وَعادِ مَنْ عَادَاهُ، وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ، وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ.

اللّغة:

(أشفق): خاف، (أوزار): أثقال، (رمضاء): شدّة حرّ الشمس، (الهجير) والهاجرة هي الساعة التي يُمتنع فيها من السير كالحرّ كأنّها هجرت الناس وهُجرت لذلك.

المعنىٰ:

فلمّا خاف رسولُ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من كيد الفاسقين، وخشي مؤامَرات المنافقين. قال النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: «**لمّا بعثني الله تعالىٰ**

برسالتي ضِقتُ بها ذرعاً، وعرفتُ أنّ مِن الناس مَن يكذّبني». وكان رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم يخشىٰ تكذيب قريش إيّاه واليهودَ والنصارىٰ. فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ...﴾ يومَ غدير خمّ في عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه[1].

وضع عن نفسه الشريفة ثقل السفر مِن مكّة المكرّمة في يومٍ كانت الشمس في رابعها في الحرّ الشديد. فخطب صلّى الله عليه وآله وسلّم، و أسمع ونادىٰ بأعلىٰ صوته، وأتمّ الحجّة فأبلغ بما أمره الله، ثمّ سألهم فقال: **«هل بلّغت؟»** فقالوا: اللّهمّ بلىٰ، فقال: **«اللّهمّ اشْهَد»**. ثمّ قال صلّى الله عليه وآله: **«ألست أَولىٰ بالمؤمنين مِن أنفسهم؟!»** فقالوا: بلىٰ. فأخذ النبيُّ صلّى الله عليه وآله بيدك يا أميرالمؤمنين وقال: **«مَن كنتُ مَولاه، فهذا عليٌّ مولاه»**. ثمّ ناجىٰ ربَّه فقال: **«اللّهمَّ والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه، وانصرْ مَن نصره، واخذلْ مَن خذله»**. نزلت الآية قبل خطبته صلّى الله عليه وآله.

روى ابن المغازليّ بسنده عن جابر بن عبدالله أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله [وسلّم] نزل بخمّ، فتنحّى الناس عنه، ونزل معه عليّ بن أبي طالب، فشقّ على النبيّ تأخّرُ الناس، فأمر عليّاً فجمعهم، فلمّا اجتمعوا قام فيهم متوسّداً عليَّ بن أبي طالب، فحَمِد اللهَ و أثنىٰ عليه، ثمّ قال: **«أيّها الناس، إنّه قد كرهتُ تخلّفَكم عنّي حتّىٰ خُيِّل إليّ أنّه ليس شجرة أبغض إليكم من شجرة تليني»**. ثمّ قال: **«لكنْ عليُّ بن أبي طالب أنزله الله منّي بمنزلتي منه، فرضيَ اللهُ عنه كما أنا عنه راض؛ فإنّه لا يختار علىٰ قُربي ومحبّتي شيئاً»**. ثمّ رفع يديه وقال: **«مَن كنتُ مَولاه، فعليٌّ مولاه. اَللّهمّ والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه»**.

قال: فابتدر الناس إلىٰ رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم يبكون

---

١. أسباب النزول: ١١٥ ـ في سبب نزول الآية ٦٧ من سورة المائدة.

ويتضرّعون، ويقولون: يا رسول الله، ما تنحّينا عنك إلّا كراهيةَ أن نُثقلَ عليك، فنعوذ بالله من شرور أنفسنا وسخط رسول الله، فرضي رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم عنهم عند ذلك(١).

قال ابن المغازليّ: وقد روى حديثَ غدير خمٍّ عن رسول الله صلّى الله عليه وآله [وسلّم] نحوٌ مِن مائة نفس، منهم العشرة المبَشّرة، وهو حديث ثابت لا أعرف له علّةً، تفرّدَ عليٌّ عليه السلام بهذه الفضيلة ليس يَشركه فيها أحد(٢).

قال أبو جعفر الإسكافيّ: قال قوم: إنّ معنى الحديث إنّما هو في الولاية، فمعنى قوله: «**مَن كنتُ مَولاه، فعليٌّ مولاه**» مَن كنت وليَّه فعليّ وليُّه. ويدلّ علىٰ ذلك قول الله: ﴿**ذٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لاَ مَوْلَىٰ لَهُمْ**﴾(٣) فإنّما أراد الله بهذه: الولاية، فخصّ عليَّ بن أبي طالب بهذه الكلمة [لأنّه أراد منها الرئاسة والإمارة، ولو كان يريد منها غير الرئاسة والإمارة مِن مثل المحبّة والنصرة] كان المؤمنون جميعاً في معنى الولاية [بهذا التفسير] داخلين؛ لأنّهم لله ولرسوله موالون، [لم يكن وجه لتخصيصه عليّاً بها] كما خصّت الأنصار باسم النُّصرة، والمؤمنون جميعاً في معنى النصرة [لله] ولرسوله داخلون.

قال أبو جعفر الإسكافيّ: وهذا أيضاً خطأ من التأويل بدلالة أوّل الحديث؛ لأنّ قوله: «**ألَستُ أَولىٰ بالمؤمنين مِن أنفسهم وبكلِّ مؤمنٍ ومؤمنة؟!**» هذا يدلّ [على] أنّه لم يُرِد بذلك الولاية؛ لأنّ هذا المعنى لا يجوز أن يكون لهم، لأنّ الوليَّينِ كلُّ واحدٍ منهما مولىٰ صاحبه.

---

١. مناقب عليّ بن أبي طالب: ٢٥ / ح٣٧.
٢. المصدر: ٢٧ / ح٣٩.
٣. محمّد: ١١.

وقوله: ألستُ أَولىٰ بكلِّ مؤمنٍ ومؤمنة ؟! وأَولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم ؟! إيجابُ أنّ للنبيّ عليه السلام عليهم في ذلك ما ليس لهم في التقدمة، وكذلك عليٌّ مولاهم أنّه أولىٰ بهم من جهة التقدمة[1].

١. المعيار والموازنة: ٢١٣.

الفصل الرابع عشر :

فَمَا آمَنَ بِما أَنْزَلَ اللّٰهُ فِيكَ عَلَىٰ نَبِيِّهِ إِلَّا قَلِيلٌ، وَلَا زَادَ أَكْثَرَهُمْ غَيْرَ تَخْسِيرٍ، وَلَقَدْ أَنْزَلَ اللّٰهُ تَعالىٰ فِيكَ مِنْ قَبْلُ وَهُمْ كَارِهُونَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّٰهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَىٰ الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذٰلِكَ فَضْلُ اللّٰهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَاللّٰهُ واسِعٌ عَلِيمٌ * إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّٰهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللّٰهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾[1] ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾[2] ﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾[3]. اللّٰهُمَّ إِنَّا نَعْلَمُ أَنَّ هٰذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَالْعَنْ مَنْ عَارَضَهُ وَاسْتَكْبَرَ وَكَذَّبَ بِهِ وَكَفَرَ، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾[4].

---

١. المائدة: ٥٤ ـ ٥٦.
٢. آل عمران: ٥٣.
٣. آل عمران: ٨.
٤. الشعراء: ٢٢٧.

اللّغة :

(تخسير): النقصان، (زاغَ): إنحرف واضطرب.

المعنى :

لم يؤمن بما أنزل الله في فضلك في القرآن على نبيِّه صلّى الله عليه وآله إلّا قليل: كسلمان، وأبي ذرّ، وعمّار، والمِقداد، وبلال، وجابر، وحُذَيفة، وأبي أيّوب، وخالدبن سعيد، وزيدبن حارثة، وسعدبن عُبادة، وأبي دُجانة، وقيس بن عاصم المنقريّ، ومالك بن نُوَيرة. ولقد نبّأ اللهُ رسولَه فيك مِن قبلُ بكراهتهم لِولايتك يا أميرَالمؤمنين، فقال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّٰهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَىٰ الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذٰلِكَ فَضْلُ اللّٰهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَاللّٰهُ واسِعٌ عَلِيمٌ * إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّٰهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللّٰهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾.

﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾.

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾.

اللّٰهُمَّ إِنَّا نَعْلَمُ أَنَّ هٰذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ، فَالْعَنْ مَنْ عَارَضَهُ وَاسْتَكْبَرَ، وَكَذَّبَ بِهِ وَكَفَرَ.

﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾.

الحديث :

روى ثابت بن أبي حمزة قال: حدّثني عليّ بن الحسين عن أبيه قال: «**حدّثني أميرالمؤمنين عليّ** عليه السلام **قال: قال رسول الله** صلّى الله عليه وآله: **إنّ الله قد فرض عليكم طاعتي، ونهاكم عن معصيتي، وأوجب عليكم اتّباع أمري، وأن**

تُطيعوا عليَّ بن أبي طالب بعدي؛ فإنّه أخي ووزيري، ووصيّي ووارثي، وهو منّي وأنا منه، حبُّه إيمان وبُغضه كفر»[١].

وروىٰ الحارث بن الخزرج صاحب راية الأنصار قال: سمعتُ رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول لعليّ بن أبي طالب عليه السلام: **«لا يتقدّمُك بعدي إلّا كافر، ولا يتخلف عنك بعدي إلّا كافر، وإنّ أهل السماوات السبع يسمّونك أميرَ المؤمنين (بأمر الله تعالى)»**[٢].

قال عماد الدين الطبريّ: وجدنا صلحاءَ الصحابة كانوا زمانَ النبيّ صلّى الله عليه وآله يتّبعون عليّاً عليه السلام، ويصاحبونه، ويلازمونه، وبَقوا علىٰ ذلك بعد وفاته أيضاً، وعليٌّ بقيَ علىٰ ما كان مِن غير تغيير شيء من أمر الدين؛ لكمال علمه ووفوره، بخلاف الصحابة، فإنّهم كانوا جهلاء، ويسألون زيداً وعَمْراً في سائر المسائل الشرعيّة، حتّىٰ إنّهم لم يعرفوا عدد فصول الأذان وكيفيّة مسح الرسول وغسله في الوضوء![٣]

---

١. مائة منقبة من مناقب أميرالمؤمنين عليه السلام لابن شاذان / المنقبة الثانية والعشرون ص ٧٢.
٢. المصدر / المنقبة السابعة والعشرون ص ٧٩.
٣. أسرار الإمامة: ٢٩٧.

الفصل الخامس عشر:

السَّلامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَالْـمُؤْمِنِينَ، وَسَـيِّدَ الْـوَصِيِّينَ، وَأَوَّلَ الْـعابِدِينَ، وَأَزْهَدَ الزَّاهِدِينَ وَرَحْمَةُ اللّٰهِ وَبَرَكاتُهُ وَصَلَواتُهُ وَتَحِيَّاتُهُ، أَنْتَ مُطْعِمُ الطَّعامِ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً لِوَجْهِ اللّٰهِ لاٰ تُرِيدُ مِنْهُمْ جَزاءً وَلاٰ شُكُوراً، وَفِيكَ أَنْزَلَ اللّٰهُ تَعالىٰ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَـانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَـفْسِهِ فَـأُولٰئِكَ هُـمُ الْـمُفْلِحُونَ﴾[1] وَأَنْتَ الْكاظِمُ لِلْغَيْظِ وَالْعافِي عَنِ النَّاسِ وَاللّٰـهُ يُـحِبُّ الْمُـحْسِنِينَ، وَأَنْتَ الصَّابِرُ فِي الْبَأْساءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ، وَأَنْتَ الْـقاسِمُ بِـالسَّوِيَّةِ، وَالْعادِلُ فِي الرَّعِيَّةِ، وَالْعالِمُ بِحُدُودِ اللّٰهِ مِنْ جَمِيعِ الْبَرِيَّةِ، وَاللّٰهُ تَعالىٰ أَخْبَرَ عَمَّا أَوْلاكَ مِنْ فَضْلِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لاٰ يَسْتَوُونَ * أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلاً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2].

---

١. الحشر: ٩.
٢. السجدة: ١٨ ـ ١٩.

المعنى:

السلام عليك يامَن قال له رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**أنت أميرالمؤمنين وسيّد الوصيّين**»، وأنت يا مولاي أوّلُ مَن عَبَدَ الله بعدَ رسوله، وأزهدُ الزاهدين، ورحمته وبركاته وصلواته وتحيّاته عليك. سيّدي أنت مُطعِم الطعام علىٰ حبِّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً لوجه الله، لا تُريد منهم جزاءً ولا شكوراً، وكانت العرب إذا أطعم أحدُهم أراد جزاءً وشكراً.

وفي فضلك أنزل الله تعالىٰ: ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾.

وأنت الكاظم للغيظ، والعافي عن الناس، والله يُحبّ المحسنين.

وأنت الصابر في البأساء والضرّاء وحِين البأس، وأنت القاسم بالسّويّة، والعادل في الرعيّة، والعالِم بحدود الله مِن جميع البريّة، والله تعالىٰ أخبرنا عمّا أولاك مِن فضله لك بقوله: ﴿**أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لَا يَسْتَوُونَ * أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلاً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾.

الحديث:

عن ابن عبّاس قال: كنّا جلوساً مع النبيّ صلّى الله عليه وآله إذ دخل عليُّ بن أبي طالب عليه السلام، فقال عليّ: «**السلام عليك يا رسولَ الله**»، قال: «**وعليك السلام يا أميرالمؤمنين ورحمةُ الله وبركاته**»، فقال عليّ: «**تدعوني بأميرالمؤمنين وأنت حيٌّ يا رسول الله ؟!**»

فقال: «**نعم وأنا حيّ، إنّك ـ يا عليّ ـ مررتَ بنا أمس وأنا وجبرئيلُ في حديثٍ ولم تسلّم، فقال جبرئيل: ما بالُ أميرالمؤمنين مَرّ بنا ولم يسلّم، أما واللهِ لو سلّم لَسُرِرنا ورَددْنا عليه السلام**».

فقال عليّ: «**يا رسول الله، رأيتُك ودِحْيةَ إستخليتُما في حديث، فكَرِهتُ أن**

أقطعه عليكما».

فقال له النـبيّ صلّى الله عليه وآله: «إنّه لم يكن دِحْية، وإنّما كان جـبرئيل عليه السلام.

فقلت: يا جبرئيل، كيف سمّيتَه أميرالمؤمنين؟

فقال: كان الله تعالىٰ أوحىٰ إليّ في غزوة بدرٍ أنِ اَهبطْ علىٰ محمّدٍ صلّى الله عليه وآله، فمُرْه أن يأمرَ أميرالمؤمنين عليَّ بن أبي طالب أن يجول بين الصفَّين؛ فإنّ الملائكة يحبّون أن ينظروا إليه وهو يجول بين الصـفَّين، فسـمّاه الله تعالى فـي السماء أميرَالمؤمنين (ذلك اليوم).

فأنت يا عليّ أميرُ مَن في السماء، وأميرُ مَن في الأرض، وأمير مَن مـضىٰ، وأميرُ مَن بقي، فلا أميرَ بعدك، ولا أميرَ قبلَك؛ لأنّه لا يجوز لأحدٍ أن يُسمّىٰ بهذا الاسم مَن لم يُسمِّ اللهُ تعالىٰ»[١].

دِحْية الكلبيّ

عَدّه جمعٌ من العامّةمن أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وآله. شهد أُحداً وما بعدها.

وفي أخبارالفريقين أنّ جبرئيل كان يأتي النبيَّ صلّى الله عليه وآله وسلّم في صورته أحياناً، وذلك دليل علىٰ ثقته. وقد بعثه رسول الله صلّى الله عليه وآله إلىٰ قيصر رسولاً سنةَ ستٍّ في الهدنة[٢].

---

١. مائة منقبة من مناقب أميرالمؤمنين عليه السلام لابن شاذان / المنقبة السادسة والعشرون ص٧٧ ـ ٧٨.

٢. تنقيح المقال ٢٦: ٣٠٩ / الرقم ٧٨٩٣، وقال المحقّق: يظهر أنّه كان مـوالياً لمـعاوية ولم يُعهَد مَقام له، ولاكلام يؤيّد به الحقّ، فعليه أعدّه من الضعفاء، فإن أبيتَ عن ذلك فلا محيصَ عن عدّه غيرَ معلوم الحال.

قيل: بقيَ إلىٰ زمان معاوية، ولم يذكروه في أصحاب [عليٍّ عليه السلام] ولا شهوده مشاهدَه عليه السلام، وقد أرسله النبيّ صلّى الله عليه وآله رسولاً إلىٰ قيصر وكلٌّ ذلك أعمّ، وكيف كان، قال ابن قتيبة: كان إذا قَدِم المدينة لم تبقَ معصر إلّا خرجت تنظر إليه(١).

قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «**إنّ أبا ذرّ أتىٰ رسولَ الله** صلّى الله عليه وآله **ومعه جبرئيل في صورة دِحْية الكلبيّ، وقد إستخلاه رسول الله** صلّى الله عليه وآله، **فلمّا رآهما إنصرف عنهما ولم يقطع كلامَهما، فقال جبرئيل: يا محمّد، هذا أبو ذرّ قد مرّ بنا ولم يسلّم علينا، أما لو سلّم لَردَدْنا عليه، يا محمّد إنّ له دعـاءً يدعو به معروفاً عند أهل السماء، فاسألْه عنه إذا عرجتُ إلى السماء. فلمّا ارتفع جبرئيل** عليه السلام **جاء أبو ذرّ إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله، فقال له رسول الله** صلّى الله عليه وآله: **ما منعك يا أبا ذرّ أن تكون سلّمتَ علينا حين مررتَ بنا، فقال: ظننتُ يا رسولَ الله أنّ الذي معك دحيةُ الكلبيّ قد استخليتَه لبعض شأنك، فقال: ذاك جبرئيل** عليه السلام **وقد قال: أما لو سلّم علينا لَردَدْنا عليه. فلمّا علم أبو ذرّ أنّه كان جبرئيل** عليه السلام **دخله من الندامة حيث لم يسلّم عليه ما شاء الله، فقال له رسول الله** صلّى الله عليه وآله: **ما هذا الدعاءُ الذي تدعو به؟ فقد أخبرني جبرئيل** عليه السلام **أنّ لك دعاء تدعو به معروفاً في السماء، فقال: نعم يا رسول الله، أقـول: اللّهمّ إنّي أسألك الأمنَ والإيمان، والتصديقَ بنبيِّك، والعافيةَ مِن جميع البـلاء، والشكرَ على العافية، والغِنىٰ عن شِرار الناس**»(٢).

روىٰ ابن عبّاس قال: كان رسول الله صلّى الله عليه وآله يغدو إليه عليٌّ عليه السلام في الغداة، وكان يحبّ أن لا يسبقه إليه أحد، فإذا النبيُّ صلّى الله عليه

---

١. قاموس الرجال ٤: ٧٠.
٢. بحارالأنوار ٢٢: ٤٠٠ / ح٩ ـ عن: الكافي ٢: ٥٨٧.

وآله في صحن الدار وإذا رأسه في حِجر دِحْية بن خليفة الكلبيّ، فقال: «السلام عليك، كيف أصبح رسولُ الله صلّى الله عليه وآله؟» قال: «بخيرٍ يا أخا رسول الله»، فقال عليّ عليه السلام: «جزاك الله عنّا أهلَ البيت خيراً»، قال له دحية: «إنّي أُحبّك، وإنّ لك عندي مديحةً أُهديها إليك: أنت أميرُالمؤمنين، وقائدُ الغُرِّ المُحجَّلين، وسيدُ وُلْد آدم يومَ القيامة ما خلا النبيّين والمرسلين، لواء الحمد بيدك يومَ القيامة، تُزَفّ أنت وشيعتُك مع محمّدٍ وحزبه إلى الجِنان، قد أفلح مَن والاك، وخاب وخسر مَن خلّاك، بحبِّ محمّدٍ صلّى الله عليه وآله أحبُّوك، وببُغضِه أبغضوك، ولا تنالهم شفاعة محمّد صلّى الله عليه وآله، أُدنُ مِن صفوة الله».

فأخذ رأسَ النبيّ صلّى الله عليه وآله فوضعه في حجره، فانتبه النبيُّ صلّى الله عليه وآله فقال: «ما هذه الهَمْهمة؟» فأخبره الحديث، فقال: «لم يكن دحية، كان جبرئيل، سمّاك باسمٍ سمّاك الله تعالى به وهو الذي ألقىٰ محبّتَك في قلوب المؤمنين، ورهبتَك في صدور الكافرين»[١].

لمّا دخل رسولُ الله صلّى الله عليه وآله المدينة واللّواءُ معقودٌ... استقبله حارثة، فقال: بأبي و أُمّي يا رسول الله، هذا دحية الكلبيّ ينادي في الناس: «ألا لا يُصلّينّ العصرَ أحدٌ إلّا في بني قُرَيظة»، فقال: «ذاك جبرئيل، أُدعوا عليّاً».

فجاء عليّ عليه السلام فقال له: «نادِ في الناس أن لا يُصلّينّ أحد العصر إلّا في بني قُرَيظة». فجاء أميرالمؤمنين عليه السلام فنادىٰ فيهم، فخرج الناس فبادروا إلىٰ بني قريظة، وخرج رسول الله صلّى الله عليه وآله وعليّ عليه السلام بين يديه مع الراية العظمىٰ، وكان حُيَيّ بن أخطب لمّا انهزمت قريش جاء فدخل حصن بني قريظة، فجاء أميرالمؤمنين عليه السلام فأحاط بحصنهم، فأشرف عليهم كعب بن أُسيد من الحصن يشتمهم ويشتم رسولَ الله صلّى

---

١. بحارالأنوار ١٨: ٢٦٧ / ح٢٩ ـ عن: أمالي الشيخ الطوسيّ: ٣١.

الله عليه وآله، فأقبل رسول الله صلّى الله عليه وآله علىٰ حمار، فاستقبله أميرالمؤمنين عليه السلام فقال: «**بأبي وأمّي يا رسول الله، لا تَدْنُ مِن الحصن**»، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**يا عليّ، لعلّهم شتموني، إنّهم لو رأوني لأذلّهم الله**». ثمّ دنا رسول الله صلّى الله عليه وآله من حصنهم فقال: «**يا إخوةَ القِردةِ والخنازير، وعبَدةَ الطاغوت، أتشتموني؟! إنّا إذا نزلنا بساحةِ قومٍ فساء صباحُهم**»! فأشرف عليهم كعب بن أسيد من الحصن فقال: واللهِ يا أباالقاسم ما كنتَ جهولاً. فاستحيا رسول الله صلّى الله عليه وآله حتّىٰ سقط الرداء مِن ظهره حياءً ممّا قاله[1].

الولاية:

﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾[2].

هذه الآية من الآيات التي استدلّ بها الشيعة علىٰ إمامة أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

وجمعٌ من أعلام السنّة قالوا: نزلت في شأن أميرالمؤمنين عليه السلام وتصدّقه في حال الركوع بخاتمه على الفقير.

فالقضيّة مُجمَعٌ عليها لدى مفسّري السنّة.

قال الثعلبيّ: قال ابن عبّاس، وقال السِّدّيّ وعُتبة بن حكيم وثابت بن عبدالله: إنّما يعني بقوله: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ**﴾ الآية، عليّ بن

---

١. بحارالأنوار ٢٠: ٢٣٣ / ح٣ ـ عن: تفسير القمّيّ ـ في ظل الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ..﴾ الأحزاب: ٩.

٢. المائدة: ٥٥.

أبي طالب رضي الله عنه، مرّ به سائل وهو راكع في المسجد فأعطاه خاتَمه.

وروى بسنده عن عُبادة بن الرِّبْعيّ قال: بينا عبدالله بن عبّاس جالس علىٰ شفير زمزم إذ أقبل رجل متعمّم بالعمامة، فجعل ابن عباس لا يقول: قال رسول الله، إلّا قال الرجل: قال رسول الله! فقال ابن عبّاس: سألتك بالله مَن أنت؟ قال فكشف العمامة عن وجهه وقال: يا أيّها الناس، مَن عَرَفني فقد عرفني، ومَن لم يعرفني فأنا جُنْدَب بنُ جُنادة البدريّ، أبو ذرّ الغِفاريّ: سمعت رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم بهاتَين وإلّا صُمّتا، ورأيته بهاتَين وإلّا فعُميتا، يقول: «**عليٌّ قائد البررة، وقاتل الكفرة، منصورٌ مَن نصره، مخذولٌ من خذله**»، أما إنّي صلّيتُ مع رسول الله يوماً من الأيّام صلاة الظهر، فدخل سائل في المسجد فلم يُعطِه أحد، فرفع السائل يده إلى السماء وقال: اللّهمّ اشهَدْ أنّي سألتُ في مسجد رسول الله فلم يُعطني أحدٌ شيئاً. وكان عليٌّ راكعاً، فأومىٰ إليه بخنصره اليمنىٰ وكان يتختّم فيها، فأقبل السائل حتّىٰ أخذ الخاتم مِن خنصره، وذلك بعين النبيّ صلّى الله عليه وآله، فلمّا فرغ النبيّ من الصلاة رفع رأسه إلى السماء وقال: «**اللّهمّ إنّ أخي موسىٰ سألك فقال: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِن لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَل لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾[١] فأنزلت عليه قرآناً ناطقاً: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً﴾[٢]. اللّهمّ وأنا محمّد نبيُّك وصفيّك، اللّهمّ فاشرَحْ لِي صدري، ويسّرْ لي أمري، واجعل لي وزيراً مِن أهلي، عليّاً اشْدُدْ به ظهري**».

قال أبو ذرّ: فوَ اللهِ ما اسْتَتَمّ رسول الله الكلمة حتّىٰ أنزل عليه جبرئيل مِن

---

١. طه: ٢٥ ـ ٣١.
٢. القصص: ٣٥.

عند الله، فقال: يا محمّد إقرأ ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ﴾ إلى ﴿رَاكِعُونَ﴾[١].

وقال القرطبيّ: إنّ سائلاً سَألَ في مسجد رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم لم يُعطه أحدٌ شيئاً، وكان عليّ (عليه السلام) في الصلاة في الركوع، وفي يمينه خاتم، فأشار إلى السائل بيده حتّى أخذه.

وقال الطبريّ: وهذا يدلّ علىٰ أنّ العمل القليل لا يُبطِل الصلاة؛ فإنّ التصدّق بالخاتم في الركوع عملٌ جاء به في الصلاة ولم تبطل الصلاة.

وقوله: ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ يدلّ علىٰ أنّ صدقة التطوّع تُسمّىٰ زكاة؛ فإنّ عليّاً تصدّق بخاتمه في الركوع[٢].

وروىٰ ابن كثير بسنده عن أبي صالح عن ابن عبّاس قال: خرج رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى المسجد والناس يصلّون بين راكعٍ وساجد، وقائمٍ وقاعد، وإذا مسكين يسأل، فدخل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال له: «**أعطاك أحدٌ شيئاً؟**» قال: نعم، قال: «**مَن؟**» قال: «**ذلك الرجل القائم**»، قال: «**علىٰ أيّ حالٍ أعطاكه؟**» قال: وهو راكع، قال: وذلك عليٌّ بن أبي طالب. قال: فكبّر رسول الله صلّى الله عليه وآله عند ذلك وهو يقول: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾. وهذا إسناد لا يُقدَح به[٣].

قال الخازن: نزلت في شخصٍ معيّن، وهو عليٌّ بن أبي طالب[٤].

قال السِّديّ: مرّ بعليٍّ سائلٌ وهو راكع في المسجد، فأعطاه خاتمه،

١. تفسير الثعلبيّ ٤: ٨٠.
٢. الجامع لأحكام القرآن ٣: ١٦١.
٣. تفسير القرآن العظيم ٢: ٧١.
٤. تفسير الخازن ١: ٤٧٥.

فعلىٰ هذا قال العلماء: العملُ القليل في الصلاة لا يُفسدها[١].

وقال النسفيّ: إنّما نزلت في عليٍّ رضي الله عنه حين سأله وهو راكع في صلاته، فطرح له خاتمه، كأنّه كان مرجاً في خنصره، فلم يتكلّف لخلعه كثيرَ عملٍ يُفسد صلاته[٢].

وروى الفخر الرازيّ بسنده عن ابن عبّاس أنّها نزلت في عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وروىٰ أنّ عبد الله بن سلّام قال: لمّا نزلت هذه الآية قلتُ: يا رسول الله، أنا رأيتُ عليّاً تصدّق بخاتمه علىٰ محتاجٍ وهو راكع، فنحن نتولّاه[٣].

وردت الآية بلفظ الجمع وإن كان السبب فيه واحداً؛ ترغيباً للناس في مثل فعله لينالوا مثل ثوابه[٤].

وقال الطبريّ: حدّثنا غالب بن عبيد الله قال: سمعتُ مجاهداً يقول في قوله: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُه...**﴾ الآية، قال: نزلت في عليّ بن أبي طالب، تصدّق وهو راكع[٥].

وقال الزمخشريّ: ﴿**وَهُمْ رَاكِعُون**﴾ الواو فيه للحال: أي يعملون ذلك في حال الركوع، وهو الخشوع والإخبات والتواضع لله إذا صلّوا وإذا زكّوا، وقيل: هو حالٌ مِن يُؤتُون الزكاة، بمعنىٰ يُؤتونها في حالِ ركوعهم في الصلاة، وإنّها نزلت في عليٍّ كرّم الله وجهه حين سأله سائل وهو راكع في صلاته، فطرح له خاتمه كأنّه كان مَرْجاً في خنصره، فلم يتكلّف لخلعه

---

١. المصدر.
٢. تفسير النسفيّ ١: ٢٨٩.
٣. التفسير الكبير ١٢: ٢٦.
٤. هامش تفسير الجلالين: ١٠٢.
٥. تفسير الطبريّ ٦: ٢٨٩.

كثيرَ عمل تفسدُ بمثله صلاته، فإن قلتَ: كيف صحّ أن يكون لعليٍّ رضي الله عنه واللّفظ لفظ جماعة؟ قلتُ: جيء به علىٰ لفظ الجمع، وإن كان السبب فيه رجلاً واحداً؛ ليرغب الناس في مثل فعله، فينالوا مثل ثوابه، ولِيُنبِّهَ علىٰ أنّ سجيّة المؤمنين يجب أن تكون علىٰ هذه الغاية من الحرص على البِرّ والإحسان وتفقّد الفقراء، حتىّ إن لَزِمهم أمرٌ لا يقبل التأخير وهم في الصلاة، لم يؤخّروه إلى الفراغ منها[١].

وقال البيضاويّ: إنّها نزلت في عليٍّ رضي الله عنه حين سأله سائل وهو راكع في صلاته، فطرح خاتمه. واستدلّ بها الشيعة علىٰ إمامته زاعمين أنّ المراد بالوليّ المتولّي للأمور والمستحقّ للتصرّف فيها، والظاهر ما ذكرنا، مع أنّ حمل الجمع على الواحد أيضاً خلاف الظاهر، وإن صحّ أنّه نزل فيه فلعلّه جيء بلفظ الجمع لترغيب الناس في مثل فعله فيندرجوا فيه، وعلىٰ هذا يكون دليلاً علىٰ أنّ الفعل القليل في الصلاة لا يُبطلها، وأنّ صدقة التطوّع تُسمّىٰ زكاةً[٢].

وقال الواحديّ: إنّ آخر الآية في عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه؛ لأنّه أعطىٰ خاتمه سائلاً وهو راكع في الصلاة[٣].

وقال محمّد رشيد رضا: ورَوَوا مِن عدّة طرق أنّها نزلت في أميرالمؤمنين عليّ المرتضىٰ كرّم الله وجهه، إذ مرّ به سائل وهو في المسجد فأعطاه خاتمه[٤].

وقال محمّد عزّة دروزة: وأورد الطبرسيّ المفسّرُ الشيعيّ هذه الرواية

---

١. تفسير الكشّاف ١: ٦٢٤.
٢. تفسير البيضاويّ ١: ٤٣٩.
٣. أسباب النزول: ١٣٣.
٤. تفسير المنار ١: ٤٤٢.

في صيغة مُسهَبة عزواً إلىٰ أبي ذرّ الغِفاريّ، قال: إنّ سائلاً سأل الناسَ في المسجد فلم يُعطه أحدٌ شيئاً. وكان عليٌّ راكعاً، فأومأ بخنصره اليمنىٰ إليه، وكان يتختّم فيها، فأقبل السائل فأخذ الخاتم من خنصره، وذلك بعين رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، فلمّا فرغ رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم من صلاته رفع رأسه إلى السماء وقال: «**اللّهمّ إنّ أخي موسىٰ سألك فقال: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِن لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَل لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾ فأنزلت عليه قرآناً ناطقاً: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾، اللّهمّ وأنا محمّد نبيُّك وصفيّك، اللّهمّ فاشرَحْ لِي صدري، ويسّرْلي أمري، واجعل لي وزيراً مِن أهلي عليّاً اشْدُدْ به ظهري**».

قال أبوذرّ: فوَ اللهِ ما اسْتَتَمّ رسول الله الكلمة حتّىٰ نزل عليه جبرئيل مِن عند الله، فقال: يا محمّد، إقرأ، قال: وما أقرأ؟ قال: إقرأ: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا**﴾ الآية.

وقد أورد المفسّر النيسابوريّ هذه الرواية وقال: إنّ بعض الشيعة يُوردونها في الدلالة علىٰ إمامة عليٍّ رضي الله عنه وولايته من بعد النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم[1].

وقال عبدالكريم الخطيب: وقد ذهب كثير من المفسّرين إلىٰ أنّ قوله تعالىٰ: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾ المرادُ به عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه، ويَرْوُون لهذا أحاديث تفيد أنّ هذه الآية نزلت في عليٍّ رضي الله عنه، وأنّه تصدّق علىٰ فقيرٍ سأله وهو راكع في الصلاة، فنزع خاتماً كان في يده وألقاه إليه وهو في صلاته... فالآية

---

١. التفسير الحديث ١١: ١٣٣.

الكريمة خطاب عامّ للمؤمنين... وإنّما صرفها إلىٰ هذا الوجه تأويلُ ما جاء فيها من الولاية التي يستخرج منها بعض الشيعة دليلاً علىٰ أحقّيّة (عليٍّ) بالخلافة، و أنّ هذه الآية تؤيّد حديثاً يُروىٰ عن رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم أنّه أخذ بيد عليٍّ كرّم الله وجهه ثمّ قال: **«مَن كنتُ مَولاه، فعليٌّ مَولاه. اللّهمَّ والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه»**[١].

وروى السيوطيّ بسنده عن عمّار بن ياسر قال: وقف بعليٍّ سائل وهو راكع في صلاة (تطوّع)، فنزع خاتمه فأعطاه السائل فأتىٰ رسولَ الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم فأعلمه ذلك، فنزلت على النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم هذه الآية: **﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُون﴾**، فقرأ رسول الله علىٰ أصحابه ثمّ قال: **«مَن كنتُ مَولاه، فعليٌّ مَولاه، اللّهمّ والِ مَن والاه وعادِ مَن عاداه»**[٢].

وقال الآلوسيّ: وغالب الأخباريّين علىٰ أنّها نزلت في عليٍّ كرّم الله تعالى وجهه، فقد أخرج الحاكم وابن مردَوَيه وغيرهما عن ابن عبّاس رضي الله عنهما بإسنادٍ متّصل، قال: أقبل ابن سلام ونفرٌ من قومه آمنوا بالنبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم فقالوا: يا رسول الله، إنّ منازلنا بعيدة، وليس لنا مجلس ولا متحدّث دون هذا المجلس، وإنّ قومنا لمّا رأونا آمنّا بالله تعالىٰ ورسوله صلّى الله تعالى عليه وسلّم وصدّقناه رفضونا، و آلَوا علىٰ نفوسهم أن لا يُجالسونا ولا يناكحونا ولا يكلّمونا، فشقّ ذلك علينا، فقال لهم النبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم: **﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ﴾**، ثمّ إنّه صلّى الله تعالىٰ عليه وسلّم خرج إلى المسجد والناسُ بين قائمٍ وراكع، فبصر بسائلٍ فقال: **«هل أعطاك أحدٌ**

---

١. تفسير القرآن بالقرآن ٣: ١١٢٥.
٢. الدرّ المنثور ٢: ٢٩٣.

شيئاً ؟» فقال: نعم، خاتمٌ مِن فضّة، فقال: «مَن أعطاكه ؟» فقال: ذلك القائم. وأومأ إلىٰ عليٍّ كرّم الله تعالىٰ وجهه، فقال النبيّ صلّى الله تعالىٰ عليه وسلّم: «علىٰ أيّ حالٍ أعطاك ؟» فقال: وهو راكع. فكبّر النبيّ صلّى الله تعالىٰ عليه وسلّم، ثمّ تلا هذه الآية، فأنشأ حسّان يقول:

أبا حسَنٍ تَفديك نفسي ومُهجتي ... وكلُّ بطيءٍ في الهُدىٰ ومُسارِعِ
أَيَذهبُ مَدحيك المحبَّرُ ضائعاً ... وما المدحُ في جَنْب الإله بضائعِ
فأنتَ الذي أعطيتَ إذ كنتَ راكعاً ... زكاةً، فدَتْك النفسُ يا خيرَ راكعِ
فأنزلَ فيك اللهُ خيرَ ولايةٍ ... وأثبتَها أثنىٰ كتابِ الشرائعِ

واستدلّ الشيعة بها علىٰ إمامته كرّم الله تعالىٰ وجهه، ووجهُ الإستدلال بها عندهم بالإجماع أنّها نزلت فيه كرّم الله تعالىٰ وجهه. وكلمة (إنَّما) تُفيد الحصر، ولفظ (الوليّ) بمعنى المتولّي الأمور والمستحقّ للتصرّف فيها، والظاهر أنّ المراد هنا التصرّف العامّ المساوي للإمامة، بقرينة ضمّ ولايته كرّم الله تعالىٰ وجهه بولاية الله تعالىٰ رسوله صلّى الله تعالى عليه وسلّم، فثبتت إمامته وانتفت إمامة غيره، وإلّا لَبطل الحصر. ولا إشكال في التعبيرعن الواحد بالجمع، فقد جاء في غير ما موضعٍ، وذكرَ علماء العربيّة أنّه يكون لفائدتين: تعظيم الفاعل وأنّ مَن أتىٰ بذلك الفعل عظيم الشأن بمنزلة جماعة كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾؛ ليرغبَ الناس في الإتيان بِمِثل فعله. وتعظيم الفعل أيضاً، حتّىٰ أنّ فعله سجيّةٌ لكلِّ مؤمن، وهذه نكتة سرّية تُعتبر في كلّ مكان بما يليق به[١].

وروى المتّقي الهنديّ بسنده عن ابن عبّاس قال: تصدّق عليٌّ بخاتمه وهو راكع، فقال النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم لسائل: مَن أعطاك هذا

١. تفسير روح المعاني ٦: ١٤٩.

الخاتم ؟ قال ذاك الراكع. فأنزل الله فيه: ﴿إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ﴾، وكان في خاتمه مكتوباً (سُبحانَ مَن فخري بأنّي له عبدٌ) ثمّ كتب في خاتمه بعد: (المُلك لله)[١].

وروىٰ بسنده عن عليٍّ عليه السلام قال: نزلت الآية علىٰ رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم في نعته: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ﴾ إلىٰ آخر الآية. خرج النبيّ فدخل المسجد، وجاء الناس يصلّون بين راكعٍ وساجد، وقائم يصلّي، فإذا سائلٌ، فقال: «**يا سائل، هل أعطاك أحد شيئاً ؟**» قال: لا، إلّا ذاك الراكع ـ مشيراً إلى عليّ بن أبي طالب ـ أعطاني خاتمَه[٢].

وروى الحاكم الحسكانيّ في تفسير الآية بإسناده عشرة أحاديث.

وقال: قال عمّار بن ياسر، وجابر، وعبدالله بن عمر، والمقداد بن الأسود الكِنديّ، وأبوذرّ الغفاريّ، وابن عبّاس: نزلت آية ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ رَاكِعُون﴾ نزلت في عليّ[٣].

ماذا قال علماء السنّة ؟

لقد رَووا أحاديث في ولاية أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام حيث روى المتّقي الهنديّ عن مسند زيد بن أرقم في حديث غدير خمّ: «**مَن كنتُ وليَّه، فعليٌّ وليُّه**»[٤].

وروىٰ بسنده عن الإمام عليّ عليه السلام قال: قال رسول الله: «**ألستُ أَولىٰ**

---

١. كنز العمّال ١٣: ١٠٨ / ح ٣٦٣٥٤ ـ طبع حلب ـ باب فضائل عليّ.
٢. كنز العمّال ١٣: ١٦٥ / ح ٣٦٥٠١.
٣. شواهد التنزيل ١: ١٦١ و ١٨٤.
٤. كنز العمّال ١٣: ـ باب فضائل عليٍّ رضي الله عنه / ح ٣٦٣٤٠.

بالمؤمنين مِن أنفسهم ؟» قالوا: بلى ، قال: «مَن كنتُ وليّه ، فهو وليُّه»[١].

وروىٰ بسنده عن بُرَيدة ... فقال: «مَن كنتُ وليّه ، فإنّ عليّاً وليُّه ...»[٢].

وروىٰ بسنده: «إنّ عليّاً منّي وأنا منه ، وهو وليُّ كلِّ مؤمن»[٣].

وروىٰ بسنده: «ألا إنّ الله وليّي ، وأنا وليُّ كلِّ مؤمن ، مَن كنتُ مَولاه ، فعليٌّ مَولاه»[٤].

ورُوي ...: «فهو أولَى الناس بكم يعدي ـ يعني عليّاً»[٥].

روى ابن عساكر بسنده عن ابن عبّاس قال: إنّ رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم قال لعليّ: «أنت وليُّ كلِّ مؤمنٍ بعدي»[٦].

وروىٰ بسنده عن عمّار بن ياسر قال: سمعتُ رسولَ الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم يقول: «أُوصي مَن آمن بي وصدّقني بالولاية لعليّ؛ فإنّه مَن تولّاه تولّاني، ومن تولّاني تولَّ الله، ومَن أحبَّه أحبّني، ومَن أحبّني أحبَّ الله، ومَن أبغضه أبغضني، ومَن أبغضني فقد أبغضه الله»[٧].

أقول:

قال الراغب الأصفهانيّ: الولاية تولّي الأمر. والمراد بهذه الولاية في الروايات هي التي قد ذُكِرت في قوله تعالىٰ: ﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾[٨] = إنَّ وَلِيّي الله = اللهُ وَلِيُّ الَّذينَ آمَنُوا = ذلِكَ بِأَنَّ اللهَ مَوْلَى

---

١. المصدر: ١٣١ / ح٣٦٤١٨.
٢. المصدر: ١٣٥ / ح٣٦٤٢٥.
٣. المصدر ١١: ٦٠٧ / ح٣٢٩٣٨.
٤. المصدر: ٦٠٨ / ح٣٢٩٤٥.
٥. المصدر: ٦١٢ / ح٣٢٩٦١.
٦. ترجمة الإمام عليّ بن أبي طالب ١: ٣٨٤ / ح٣٨٤.
٧. المصدر ٢: ٩٤ / ح٥٩٥.
٨. البقرة: ٢٥٧.

الَّذينَ آمَنُوا =وَلَمّا كانت هذه الولاية خاصّةً بالله سبحانَه، ثمّ برسوله كما قال الله عزّ وجلّ: (كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إليكَ) كان الناس بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله في حاجةٍ ماسّةٍ إلىٰ مَن يقوم مقامَه، ويكون خليفتَه حقّاً، ويعرف الكتاب، وما جاء به النبيُّ صلّى الله عليه وآله.

قال ابن مسعود: رأيت رسولَ الله صلّى الله عليه [وآله] آخذاً بيدِ عليّ فقال: «**هذا وليّي وأنا وليّه**». وفي رواية أُخرىٰ: «**فهو أَولى الناس بِكم بَعدي**»[١].

عن الإمام جعفربن محمّد عليهما السلام قال: حدّثني أبي قال: حدّثني عليّ بن الحسين عن أبيه قال: حدّثني أبي أميرُالمؤمنين عليّ عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**يا عليّ، أنت أميرالمؤمنين، وإمام المتّقين.**

يا عليّ، أنت سيّد الوصيين، ووارث علم النبيّين، وخير الصدّيقين، وأفضل السابقين.

يا عليّ، أنت زوج سيّدة نساء العالمين، وخليفة خير المرسلين.

يا عليّ، أنت مولى المؤمنين.

يا عليّ، أنت الحجّة بعدي على الخَلْق أجمعين، استوجب الجنّةَ مَن تولّاك، واستحقّ النار مَن عاداك.

يا عليّ، والذي بعثني بالنبوّة، واصفاني علىٰ جميع البريّة، لو أنّ عبداً عبَدَ اللهَ ألفَ عام، ما قَبِل اللهُ ذلك منه إلّا بولايتك وبولاية الأئمّة مِن وُلدك، وإنّ ولايتك لا يقبلها الله تعالىٰ إلّا بالبراءة من أعدائك وأعداءِ الأئمّة مِن وُلدِك.

بذلك أخبرني جبرئيل عليه السلام: ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾»[٢].

---

١. مجمع الزوائد ٩: ١٠٨ و ١٠٩.
٢. مائة منقبة من مناقب أميرالمؤمنين عليه السلام لابن شاذان / المنقبة التاسعة: ٥٣.

الفصل السادس عشر :

وَأَنْتَ الْمَخْصُوصُ بِعِلْمِ التَّنْزِيلِ، وَحُكْمِ التَّأْوِيلِ، وَنَصِّ الرَّسُولِ، وَلَكَ الْمَواقِفُ الْمَشْهُودَةُ، وَالْمَقاماتُ الْمَشْهُورَةُ، وَالْأَيَّامُ الْمَذْكُورَةُ، يَوْمَ بَدْرٍ وَيَوْمَ الْأَحْزابِ ﴿إِذْ زاغَتِ الأَبْصارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَناجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللّٰهِ الظُّنُونَا * هُنالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزالاً شَدِيداً * وَإِذْ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللّٰهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً * وَإِذْ قالَتْ طائِفَةٌ مِنْهُمْ يا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِراراً﴾[1] وَقالَ اللّٰهُ تَعالىٰ: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزابَ قَالُوا هٰذَا مَا وَعَدَنَا اللّٰهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللّٰهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيماناً وَتَسْلِيماً﴾[2]، فَقَتَلْتَ عَمْرَهُمْ، وَهَزَمْتَ جَمْعَهُمْ، ﴿وَرَدَّ اللّٰهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنالُوا خَيْراً وَكَفَى اللّٰهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتالَ وَكانَ اللّٰهُ قَوِيّاً عَزِيزاً﴾[3].

---

١. الأحزاب: ١٠ ـ ١٣.
٢. الاحزاب: ٢٢.
٣. الأحزاب: ٢٥.

اللغة:

(زاغ): مال عَن مكانه، (حناجر): الحلقوم، (زُلزلوا): الزلزلة شِدة الإضطراب، (غُرور): كلّ ما يغرّ الانسانَ من مال وجاه وشهوة.

المعنىٰ:

وأنت يا أميرالمؤمنين عالِمٌ بعلوم القرآن بما نزل وكيف نزل، وحُكم تأويله، ونصّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وقد قال: «**قاتلتُ المشركين بالتنزيل، ويقاتل عليٌّ بالتأويل**»، لك يا سيّدي المواقف المشهودة، ولا تُنكر المقامات المشهورة والأيّام المذكورة في تاريخ الإسلام: كيوم بدر، ويومِ الأحزاب إذِ اضطربت أبصار المسلمين، وبلغت قلوبُهم حناجرَهم وظنّوا بالله ظنَّ السَّوء، وفي تلك المواقف ابتُلي المؤمنون لِما أرجفَ المشركون وإبليس من قتل النبيّ صلّى الله عليه وآله وخافوا خوفاً شديداً.

﴿**وَ إِذْ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللّٰهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً * وَ إِذْ قالَتْ طائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِراراً**﴾.

﴿**وَلَمَّا رَأَىٰ الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزابَ قَالُوا هٰذَا مَا وَعَدَنَا اللّٰهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللّٰهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيماناً وَتَسْلِيماً**﴾

وقتلتَ عمرَو بن عبدودّ، وهزمتَ المشركين، ﴿**وَرَدَّ اللّٰهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنالُوا خَيْراً وَكَفَىٰ اللّٰهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتالَ وَكانَ اللّٰهُ قَوِيّاً عَزِيزاً**﴾.

قال العلّامة الحلّيّ: ففي غزاة بدر، وهي الداهية العظمىٰ على المسلمين، وأوّل حرب ابتُلوا بها، قتل الإمام صناديدَ قريش، الذين طلبوا المبارزة: كالوليد بن عُتبة، والعاص بن سعيد بن العاص الذي أحجم المسلمون عنه، ونوفل بن خويلد الذي قرن أبابكر وطلحة بمكّة قبل

الهجرة و أوثقهما بحبل وعذّبهما، وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله لمّا عرف حضوره في الحرب: «**اللّهمّ اكْفِني نوفلاً**» ولمّا قتله عليٌّ عليه السلام قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**الحمد لله الذي أجاب دعوتي فيه**». فلم يزل يقتل في ذلك اليوم واحداً بعد واحد، حتّىٰ قتل نصف المقتولين، وكانوا سبعين، وقتل المسلمون و (معهم) ثلاثةُ آلاف من الملائكة المسوّمين النصفَ الآخر[١].

وقال: وفي يوم الأحزاب تولّى أميرُالمؤمنين قتلَ الجماعة[٢]، وفي يوم الخندق، قال الصادق المصدَّق صلّى الله عليه وآله وسلّم: «**لَمبارزةُ عليّ بن أبي طالب لِعَمْرو بن عبدودّ يومَ الخندق أفضلُ من أعمال أُمّتي إلىٰ يوم القيامة**»[٣].

وكانت وقعة بدر في السابع عشر من رمضان السنة الثانية من الهجرة / عام ٦٢٤ ميلادي وغزوة الخندق السنة الخامسة من الهجرة / عام ٦٢٧ ميلادي.

---

١. نهج الحقّ وكشف الصدق: ٢٤٨.
٢. المصدر: ٢٥٠.
٣. المستدرك على الصحيحين ٣: ٣٢.

الفصل السابع عشر:

وَيَوْمَ أُحُدٍ إِذْ يُصْعِدُونَ وَلَا يَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوهُمْ فِي أُخْراهُمْ، وَأَنْتَ تَذُودُ بُهَمَ الْمُشْرِكِينَ عَنِ النَّبِيِّ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذاتَ الشِّمَالِ حَتَّىٰ رَدَّهُمُ اللّٰهُ تَعَالىٰ عَنْكُما خائِفِينَ وَنَصَرَ بِكَ الْخاذِلِينَ.

اللغة:

(يصعدون): أعلى الجبل، إشارة إلى علّوّهِم فيما تَحرَوْه، (يلوون): يقال لا يلوي على أحد، إذا أمعن في الهزيمة، (ذودَ): طَرَد.

المعنىٰ:

فرّ المسلمون يومَ أحد وصعدوا الجبل ولم يُهمَّهم العار، وكان الرسول صلّى الله عليه وآله يَدْعوهم للدفاع والجهاد، وكنتَ يا أميرالمؤمنين حامياً لرسول الله صلّى الله عليه وآله، فدفعت الأعداء والمشركين عن رسول الله صلّى الله عليه وآله يميناً وشمالاً حتّىٰ ردّهمُ الله تعالىٰ عنكما، ونصر الله بك الخاذلين الذين خذلوا الله والرسول.

التاريخ:

قال العلّامة الحلّيّ: وفي غزاة «أُحد» إنهزم المسلمون عن النبيّ صلّى الله عليه وآله، وأُصيبَ رسول الله صلّى الله عليه وآله، وهجم عليه المشركون

بالسيوف والرماح، وعليٌّ يدافع عنه، فنظر إليه النبيّ صلّى الله عليه وآله بعد إفاقته من غشيته، وقال: ما فعل المسلمون؟ فقال: نقضوا العهد، وولَّوا الدُّبر، فقال: اكفِني هؤلاء. فكشفهم عنه، وصاح صائح بالمدينة: قُتِل رسولُ الله صلّى الله عليه وآله! فانخلعت القلوب، ونزل جبرائيل قائلاً: «**لا سيف إلّا ذوالفَقار، ولا فتىٰ إلّا عليّ**»، وقال للنبيّ صلّى الله عليه وآله: «**يا رسول الله، لقد عَجِبَت الملائكة من حُسْن مواساة عليٍّ لك بنفسه**»، فقال النبيّ صلّى الله عليه وآله: «**ما يمنعه مِن ذلك وهو منّي وأنا منه؟!**» ورجع بعض الناس لثبات عليّ عليه السلام، ورجع عثمان بعد ثلاثة أيّام، فقال النبيّ صلّى الله عليه وآله: «**لقد ذهبتَ بها عريضاً!**»(١)

وقال العلّامة المحقّق الشيخ جعفر النقديّ قدّس سرُّه: غزوة أُحد وهي تلَتْ بدراً، وكان قدوم قريش يومَ الخميس لخمسٍ خلون من شوّال، والواقعة يوم السبت لسبعٍ خلون منه سنة ثلاثٍ من الهجرة، وكان أصحاب رسول الله سبعَمائة والمشركون ثلاثةَ آلاف فارس وألفَي راجل، وأخرجوا معهم النساء يحرّضن علىٰ حرب رسول الله صلّى الله عليه وآله، وأخرج أبو سفيان هندَ بنت عُتبة، وخرجت معهم عمرة بنت علقمة الحارثيّة، وكانت راية رسول الله بيد أميرالمؤمنين عليه السلام كما كانت بيده يومَ بدر، وكان له الفتح في هذه كما كان يوم بدر، وكانت الألوية من قريش بيد بني عبد الدار وراية المشركين مع طلحة بن أبي طلحة وكان يُدعىٰ كبش الكتيبة، فجاء أبو سفيان إلىٰ أصحاب الألوية وقال: إنّكم تعلمون أنّ القوم يُؤتَوْنَ مِن قِبل ألويتهم، وإنّكم أُتيتم يومَ بدر مِن قِبل ألويتكم، فإن كنتم ترون تضعفون عنها فادفعوها إلينا نكفيكمُوها! فغضب طلحة بن أبي

١. نهج الحقّ وكشف الصدق: ٢٤٩.

طلحة وقال: ألَنا تقول هذا؟! واللهِ لأُوردنَّهُمْ بها اليومَ حِياض الموت. فتقدّم، وتقدّم عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقال: **«مَن أنت؟»** قال: أنا طلحة بن أبي طلحة، أنا كبش الكتيبة، فمن أنت؟ قال: **«أنا عليٌّ بن أبي طالب بن عبدالمطّلب»**، فقال: كفوٌ كريم. ثمّ تقارنا، فاختلفت بينهما ضربتان، فضربه عليُّ بن أبي طالب ضربةً علىٰ مقدَّم رأسه فبدرت عيناه، وصاح صيحةً لم يُسمَع مثلُها، وسقط اللّواء مِن يده فأخذه أخٌ له يسمّىٰ مصعب، فرماه عاصم بن ثابت بسهم فقتله، فأخذها عبدٌ لهم يقال له صواب، وكان من أشدّ الناس، فضربه عليٌّ عليه السلام علىٰ يده اليمنىٰ فقطعها، فأخذها بيده اليسرىٰ فضربها عليّ عليه السلام فقطعها، فأخذها على صدره وجمع بين يديه وهما مقطوعتان فضربه عليّ علىٰ أمّ رأسه فسقط صريعاً وانهزم القوم[١].

قال زيد بن وهب: قلتُ لابن مسعود: إنهزم الناس عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حتّىٰ لم يبقَ إلّا عليّ وأبو دجانة وسهل بن حُنيف، فأين كان أبوبكر وعمر؟! قال: كانا ممّن تنحّىٰ، قلت: فأين كان عثمان؟! قال: جاء بعد ثلاثةٍ من الوقعة فقال له رسول الله صلّى الله عليه وآله: **«لقد ذهبتَ فيها عريضةً!»** قال: فقلت له: أين كنت؟ قال: كنت ممّن أتى، قال: فقلتُ له: إنّ ثبوت عليٍّ عليه السلام في ذلك المقام لَعَجب! قال: إن تعجّبت من ذلك فقد تعجّبَتْ منه الملائكة، فقال: أما علمتَ أنّ جبرئيل عليه السلام قال في ذلك اليوم وهو يعرج إلى السماء: لا سيفَ إلّا ذُو الفَقار، ولا فتىٰ إلّا عليّ، فقلت: ومِن أين عُلِم ذلك من جبرئيل؟ قال: سمع الناسُ صائحاً يصيح في السماء بذلك، فسألوا النبيَّ عنه، فقال: ذلك جبرئيل عليه السلام.

---

١. الغزوات: ٩٠.

وفي هذه الغزوة قُتل حمزةبن عبدالمطّلب عمّ النبيّ صلّى الله عليه وآله، فحزن عليه رسول الله صلّى الله عليه وآله و أميرالمؤمنين عليه السلام، وكانت هند بنت عتبة أعطت وحشيّاً، وهو عبد لجُبَيربن مُطعِم، أن تعطيه ما يُرضيه إن قتَلَه أو قتل النبيّ صلّى الله عليه وآله أو عليّاً، فلمّا قتله أتت هندٌ حمزةَ فشقّت بطنه، وأخذت كبده وجعلتها في فمها ولاكَتْها، فحوّلها الله وصارت كالحَجَر. فلفظتها ورمت بها على الأرض، ثمّ مثّلت بحمزة شرَّ تمثيل! ولمّا وقف عليه رسول الله بكىٰ وقال: **«والله ما وقفتُ موقفاً هو أغيظ علَيَّ من هذا، لئن مكّنني الله من قريشٍ لَأُمثّلنّ بسبعين رجلاً منهم!»** فنزلت عليه هذه الآية: **﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِين﴾**[١]، فقال صلّى الله عليه وآله: **«بل أصبر»**. وفي هذه الغزوة غَنِم أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله غنائم كثيرة من المشركين بعد ما فتح الله عليهم[٢].

وروى ابن عساكر بسنده عن ابن عبّاس قال: لعليٍّ عليه السلام أربع خصال: هو أوّلُ عربيٍّ وعجميٍّ صلّى مع النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، وهو الذي كان لواؤه معه في كلِّ زحف، وهو الذي صبر معه يوم المهراس[٣]، إنهزم الناس كلّهم غيره، وهو الذي غسّله وهو الذي أدخله قبره[٤].

---

١. النحل: ١٢٦.
٢. الغزوات: ٩٢.
٣. المهراس ضجيج الناس وضجّهم. (المنجد كلمة الهرسة) والمهراس: ماء في أُحد غسل به أميرالمؤمنين جروح النبيّ صلّى الله عليه وآله.
٤. الإكتفاء ـ رواية ابن عساكر: ٢٠١ /ح١٠٥.

الفصل الثامن عشر:

وَيَوْمَ حُنَيْنٍ عَلَىٰ مَا نَطَقَ بِهِ التَّنْزِيلُ ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنْزَلَ اللّٰهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾[1]، وَالْمُؤْمِنُونَ أَنْتَ وَمَنْ يَلِيكَ، وَعَمُّكَ الْعَبَّاسُ يُنادِي الْمُنْهَزِمِينَ: يَا أَصْحَابَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، يَا أَهْلَ بَيْعَةِ الشَّجَرَةِ، حَتَّىٰ اسْتَجابَ لَهُ قَوْمٌ قَدْ كَفَيْتَهُمُ الْمَؤُونَةَ، وَتَكَفَّلْتَ دُونَهُمُ الْمَعُونَةَ، فَعَادُوا آيِسِينَ مِنَ الْمَثُوبَةِ، رَاجِينَ وَعْدَ اللّٰهِ تَعالىٰ بِالتَّوْبَةِ، وَذٰلِكَ قَوْلُ اللّٰهِ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللّٰهُ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ﴾[2]، وَأَنْتَ حَائِزٌ دَرَجَةَ الصَّبْرِ فائِزٌ بِعَظِيمِ الأَجْرِ.

ويوم حُنَينٍ علىٰ ما نطق به القرآن، إذْ أعجَبتكم أيُّها المسلمون كثرتُكم فلم تُغنِ عنكم شيئاً، وضاقت عليكم الأرضُ بما رَحُبت (بما اتّسعت)، ثمّ ولّيتم مُدْبرين!

﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللّٰهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾.

المؤمنون أنت يا أميرالمؤمنين، ومَن يَليك، وعمُّك العباس ينادي

---

١. التوبة: ٢٥ و ٢٦.

٢. التوبة: ٢٧.

المنهزمين: يا أصحاب سورة البقرة! ويامَن بايعتم النبيّ تحت الشجرة على أن تفدوه بأنفسكم و أموالكم، واستجاب منهم قومٌ ورجعوا، و أنت يا سيّدي قد كفيتَهم مؤونة الجهاد وتكفّلت دون الذين فرّوا عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وعن الزحف، ورجع بعضهم تائبين، راجين وعد الله تعالىٰ بتوبتهم، وذلك قول الله جلّ ذِكره: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ عَلىٰ مَنْ يَشَاءُ﴾، و أنت يا سيّدي نِلتَ درجة الصابرين، وفزتَ بعظيم الأجر.

قال العلّامة الحلّيّ: وفي غَزاة حُنَين حين استظهر النبيّ صلّى الله عليه وآله بالكثرة، فخرج بعشرة آلاف من المسلمين، فعاينهم أبوبكر وقال: لن نُغلَب اليوم من قلّة. فانهزموا بأجمعهم، ولم يبق مع النبيّ صلّى الله عليه وآله سوى تسعةٍ من بني هاشم، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ يريد عليّاً ومَن ثبت معه، وكان يضرب بالسيف بين يديه، والعباسُ عن يمينه، والفضل عن يساره، و أبوسفيان بن الحارث بن عبد المطّلب يُمسك سرجه، ونوفل وربيعة إبنا الحارث، والزبير بن عبدالمطّلب، وعتبة ومعتّب إبنا أبي لهب من وراء ظهره عليه السلام، فقتل أميرالمؤمنين عليه السلام رئيسَ القوم وجمعاً كثيراً، فانهزم المشركون، وحصل الأسر[1].

وكان أبو سفيان صخر بن حرب في جملة المنهزمين، ويُروىٰ عن ولده معاوية أنّه قال: لقيتُ أبي منهزماً مع بني أميّة من أهل مكّة، فصحتُ به: يا ابنَ حرب! واللهِ ما صبرتَ مع ابن عمّك، ولا قاتلت عن دينك، ولا كففتَ هؤلاء الأعراب عن حريمك! فقال: مَن أنت؟ قلت: معاوية، قال ابن هند؟! قلت: نعم، قال: بأبي و أُمّي. ثمّ وقف فاجتمع معه الناس من أهل

---

١. نهج الحقّ وكشف الصدق: ٢٥١.

مكّة وانضممتُ إليهم، ثمّ حمَلْنا على القوم فضعضعناهم.

قال الإمام الصادق عليه السلام: قتَلَ عليُّ بن أبي طالب عليه السلام بيده يومَ حُنينٍ أربعين مشركاً[١].

ولمّا فرّ أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله قال النبيّ صلّى الله عليه وآله للعبّاس، وكان جَهْوريّاً: نادِ في القوم وذكِّرْهُم العهد. فنادى العبّاس: يا أصحابَ سورةِ البقرة! يا أهل بيعةِ الشجرة! إلىٰ أين تفرّون؟! أُذكروا العهد. والقوم علىٰ وجوههم، وذلك في أوّل ليلةٍ من شوّال سنة ثمانٍ. قال: فنظر النبيّ صلّى الله عليه وآله إلى الناس ببعض وجهه في الظلماء، فأضاء كأنّه القمر ليلةَ البدر، ثمّ قام صلّى الله عليه وآله في ركاب سرجه حتّى أشرف عليهم، وقال: «الآن حَمِيَ الوطيس:

أنَـا النـبيُّ لا كَـذِبْ   أنَا ابنُ عبدِ المُطَّلِبْ»

وما زالوا يقتلون المشركين حتّى ارتفع النهار، فأمر النبيّ صلّى الله عليه وآله بالكفّ، ولم يكن في ذلك اليوم أحَدٌ قاتلَ أكثر مِن عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

قال الإمام الصادق عليه السلام: غنم رسولُ الله صلّى الله عليه وآله يومَ حُنينٍ أربعةَ آلافِ رأس من الغنم، واثنَي عشر ألفَ ناقة، سوىٰ ما لا يُعلَم من الغنائم[٢].

وكانت الغزوة بوادي حنين بقرب (الجعرانة).

---

١. الغزوات: ١٠٧.
٢. المصدر: ١٠٨.

الفصل التاسع عشر:

وَيَوْمَ خَيْبَرَ إِذْ أَظْهَرَ اللّٰهُ خَوَرَ الْمُنافِقِينَ، وَقَطَعَ دابِرَ الْكافِرِينَ، وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعالَمِينَ، وَلَقَدْ كانُوا عاهَدُوا اللّٰهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبارَ وَكانَ عَهْدُ اللّٰهِ مَسْؤُولاً. مَوْلايَ أَنْتَ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ، وَالْمَحَجَّةُ الْواضِحَةُ، وَالنِّعْمَةُ السَّابِغَةُ، وَالْبُرْهانُ الْمُنِيرُ، فَهَنِيئاً لَكَ بِما آتاكَ اللّٰهُ مِنْ فَضْلٍ، وَتَبّاً لِشانِئِكَ ذِي الْجَهْلِ، شَهِدْتَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ جَمِيعَ حُرُوبِهِ وَمَغازِيهِ، تَحْمِلُ الرَّايَةَ أَمامَهُ، وَتَضْرِبُ بِالسَّيْفِ قُدَّامَهُ، ثُمَّ لِحَزْمِكَ الْمَشْهُورِ، وَبَصِيرَتِكَ فِي الْأُمُورِ أَمَّرَكَ فِي الْمَواطِنِ وَلَمْ يَكُنْ عَلَيْكَ أَمِيرٌ، وَكَمْ مِنْ أَمْرٍ صَدَّكَ عَنْ إِمْضاءِ عَزْمِكَ فِيهِ التُّقىٰ، وَاتَّبَعَ غَيْرُكَ فِي مِثْلِهِ الْهَوىٰ فَظَنَّ الْجاهِلُونَ أَنَّكَ عَجَزْتَ عَمَّا إِلَيْهِ انْتَهىٰ، ضَلَّ وَاللّٰهِ الظَّانُّ لِذٰلِكَ وَمَا اهْتَدىٰ، وَلَقَدْ أَوْضَحْتَ مَا أَشْكَلَ مِنْ ذٰلِكَ لِمَنْ تَوَهَّمَ وَامْتَرىٰ بِقَوْلِكَ صَلَّىٰ اللّٰهُ عَلَيْكَ: «قَدْ يَرَى الْحُوَّلُ الْقُلَّبُ وَجْهَ الْحِيلَةِ وَدُونَها حاجِزٌ مِنْ تَقْوَىٰ اللّٰهِ فَيَدَعُها رَأْيَ الْعَيْنِ، وَيَنْتَهِزُ فُرْصَتَها مَنْ لَا حَرِيجَةَ لَهُ فِي الدِّينِ»، صَدَقْتَ وَخَسِرَ الْمُبْطِلُونَ.

اللّغة:

(الخَور): الضعف، (الدابر): المتأخر والتابع إمّا باعتبار المكان أو الزمان أو المرتبة، (الحجّة): الدليل، (السابغة): الواسعة، (منير): واضح، (لحزمك): لظبطك الأمورَ بشدّة، (صدّك): منعك، (إمترىٰ): تردّد في الأمر، (الحُوّل القُلَّب): الذيّ قد تحوّل وتقلّبَ في الأمور وجَرّبها وحنّكته الخطوبُ والحوادث، (دونها): يمنعها.

المعنىٰ:

يوم خيبر أظهر الله ضعف المنافقين المنهزمين، ولقد كانوا قبل ذلك اليوم عاهدوا اللهَ أن لا يفرّوامن الزحف، وهم مسؤولون عند الله تعالىٰ.

مولاي يا أميرالمؤمنين، أنت دليل واضح لا يشكّ فيك مؤمن؛ هنيئاً لك بما آتاك اللهمِن فضل، وتبّاً ولعناً لشانئك، الجاهلِ فضلَك، شهدتَ مع النبيّ صلّى الله عليه وآله جميع حروبه ومغازيه، وكنتَ صاحب الراية أمامه، وتضرب بالسيف قدّامه، ثمّ صبرك في الجهاد مشهود وبصيرتك في أمر القتال معروفة، أمّرك رسولُ الله صلّى الله عليه وآله في مواطن الجهاد وواجهتَ أموراً في أيّام خلافتك توقّفتَ فيها وعالجتَها بالحكمة والصبر ملازماً للتقوىٰ، واغتنم الفرصةَ غيرُك ممّن يُضحّي بدينه في سبيل دنياه واتّبعَ هواه. فظنّ الجهّال أنّك ضعيف التدبير حتى قلت: **«والله ما معاوية بأدهىٰ منّي، ولكنّه يغدر ويفجر...»**

التاريخ:

قال العلّامة الحلّيّ: وفي غزاة خيبر كان الفتح فيها لأميرالمؤمنين عليه السلام، قتل مرحباً، وانهزم الجيش بقتله، وأغلقوا باب الحصن، فعالجه أميرالمؤمنين عليه السلام ورمىٰ به، وجعله جسراً على الخندق للمسلمين،

وظفروا بالحصن، وأخذوا الغنائم، وكان يحمله سبعون رجلاً، قال عليه السلام: **«واللهِ ما قلعتُ باب خيبر بقوّةٍ جسمانيّة، بل بقوّةٍ ربّانيّة»**[١].

خيبر:

في ذي الحجّة سنة ستٍّ من الهجرة (بعد الحديبيّة)، وقيل: في جُمادى الأُولى سنة سبعٍ حاصر رسولُ الله صلّى الله عليه وآله خيبراً بضعاً وعشرين ليلة... وقد كان اليهود قد خندقوا علىٰ أنفسهم خندقاً.

وخرج مرحب بنفسه يتعرّض للحرب، فدعا رسولُ الله أبابكر وقال: خذ الراية. فأخذها في جمعٍ من المهاجرين والأنصار فاجتهد فلم يُغنِ شيئاً، وعاد يؤنّب القومَ الذين اتّبعوه ويُؤنّبونه! فلمّا كان من الغد تعرّض لها عمر، فسار بها غيرَ بعيد فعاد يجبّن أصحابه ويُجبّنونه! فقال صلّى الله عليه وآله: **«ليست الراية لمن حملها»**[٢].

روى البخاريّ أنّ رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم قال يوم خيبر: **«لَأُعطينّ هذه الرايةَ غداً رجلاً يفتح اللهُ علىٰ يديه، يحبُّ اللهَ ورسولَه، ويُحبّه اللهُ ورسولُه»**. فبات الناس يدوكون ليلتهم أيّهم يُعطاها، فلمّا أصبح الناس غَدَوا علىٰ رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم كلّهم يرجو أن يُعطاها، فقال: **«أين عليّ بن أبي طالب؟»** فقالوا: هو ذا يا رسولَ الله يشتكي عينيه، قال: **«فأرسلوا إليه»**، فأُتيَ به، فبصق رسولُ الله صلّى الله عليه [وآله] في عينيه، ودعا له فبرئ حتّىٰ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال عليّ: **«أُقاتلهم حتّىٰ يكونوا مثلَنا؟»** فقال: **«أنفذْ علىٰ رَسْلك حتّىٰ تنزل بساحتهم، ثمّ ادْعُهم إلى**

---

١. نهج الحقّ وكشف الصدق: ٢٥٠.
٢. الغزوات: ٩٨.

الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم مِن حقّ الله فيه. فوَ اللهِ لَأَن يَهديَ اللهُ بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من أن يكون لك حُمْرُ النَّعَم»(١).

قال أميرالمؤمنين عليه السلام: «**فمضيتُ بها حتّىٰ أتيتُ الحصون، فصِحتُ: أنا عليُّ بن أبي طالب. فخرج مرحب وعليه مِغْفر وحجر قد ثقبه مثل البيضة علىٰ أُمّ رأسه وهو يرتجز... فاختلَفْنا ضربتين، فبدرتُه فضربته، فقددتُ الحجرَ والمغفر ورأسَه حتّىٰ وقع السيف في أضراسه فخرّ صريعاً**». ولمّا قتل أميرالمؤمنين عليه السلام مرحباً رجع مَن كان معه [مرحب]، وأغلقوا باب الحصن عليهم، فسار أميرالمؤمنين عليه السلام فعالجه حتّى فتحه، وأكثر الناس مِن جانب الخندق لم يعبروا معه، فأخذ أميرالمؤمنين باب الحصن وجعله على الخندق جسراً لهم حتّىٰ عبروا وظفروا بالحصن ونالوا الغنائم، فلمّا انصرفوا أخذ أميرالمؤمنين عليه السلام الباب بيمناه فَدَحىٰ به أذرعاً من الأرض، وكان هذا الباب يقلّه عشرون رجلاً منهم... والصحيح سبعون(٢).

---

١. صحيح البخاريّ ٥: ١٧١ / باب غزوة خيبر.
٢. الغزوات: ٩٩.

الفصل العشرون:

وَ إذْ ماكَرَكَ النَّاكِثانِ، فقالا: نُرِيدُ الْعُمْرَةَ، فَقُلْتَ لَهُما: لَعَمْرُكُما ما تُرِيدانِ الْعُمْرَةَ، لٰكِنْ تُرِيدانِ الْغَدْرَةَ، فَأَخَذْتَ الْبَيْعَةَ عَلَيْهِما، وَجَدَّدْتَ الْمِيثاقَ، فَجَدّا فِي النِّفاقِ، فَلَمَّا نَبَّهْتَهُما عَلَىٰ فِعْلِهِما أَغْفَلا وَعادا وَما انْتَفَعا، وَكانَ عاقِبَةُ أَمْرِهِما خُسْراً، ثُمَّ تَلاهُما أَهْلُ الشّامِ فَسِرْتَ إِلَيْهِمْ بَعْدَ الْإِعْذارِ وَهُمْ لاٰ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ، وَلاٰ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ، هَمَجٌ رُعاعٌ ضالُّونَ وَبِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ فِيكَ كافِرُونَ، وَلِأَهْلِ الْخِلافِ عَلَيْكَ ناصِرُونَ، وَقَدْ أَمَرَ اللّٰهُ تَعالىٰ بِاتِّباعِكَ، وَنَدَبَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَىٰ نَصْرِكَ، وَقالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّٰهَ وَكُونُوا مَعَ الصّادِقِينَ﴾[1].

اللّغة:

(نكث): نقض، (غدر): خان، (جَدّدت): كرَّرتَ، (أغفل): تظاهر أنّه غافل، (هَمَج رُعاع): العسكر بلا قائد، كقطيع الغَنَم الغائب عنها الراعي.

---

١. التوبة: ١١٩.

المعنى:

الناقضان بيعتَك: طلحة والزبير، فقالا: نريد العُمرة، فقلتَ لهما لَعَمْرُ كُما لا تُريدانِ العُمْرة، بل تُريدانِ النكثَ والغَدْر وجدّدتَ بيعتهما؛ لإتمام الحجّة وأخذت ميثاقهما، فغدرا وما انتفعا وكان عاقبتُهما خُسْراً!

ثمّ تلا الناكثين، أهلُ الشام القاسطون أصحاب «صفّين» وهُم معاوية وأتباعه وبعد ذلك المارقون الخوارج أصحاب النهروان، فَسِرتَ لصفّين والنهروان بعد إتمام الحجّة عليهم؛ حتّىٰ لا يبقىٰ عذرٌ لَهم، ولكن أولئك لم يَدينوا دينَ الحقّ، ولم يتدبّروا القرآن، وهم كعسكرٍ لا قائد لهم، ولا مرشدَ عن الضلال، وبالذي أُنزِل علىٰ محمّدٍ صلّى الله عليه وآله فيك كافرون، ولأهل الخلاف فيك ناصرون، وقد أمرهم الله تعالىٰ باتّباعك، وحثّ المؤمنين إلى نصرك، وقال عزّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾، وشيّد الله بك مبانيَ الدين، وتثبّتت قواعدُه، وظهرت معالمه من شدّة بلائك في الحروب، وقتلتَ في الحرب من الناكثين، والقاسطين، والمارقين آلافاً.

وكانت وقعة الجمل سنة ستٍّ وثلاثين، ووقعة صفّين سنة سبعٍ وثلاثين، ووقعة النهروان سنة تسعٍ وثلاثين من الهجرة.

إخبار رسول الله صلّى الله عليه وآله بالأمور القادمة:

أخبر النبيّ صلّى الله عليه وآله الإمام عليّاً أنّه سيقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين:

فمن ذلك ما روته أمّ المؤمنين أمّ سلمة رضي الله عنها: قال رسول الله عليه وآله صلوات الله وملائكته: «**يا أُمَّ سَلَمة، إسمعي واشهدي، هذا عليُّ بن أبي طالب**

سيّدُ المسلمين، وإمام المتّقين، وقائد الغُرِّ المحجّلين، وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين».

قلتُ: يا رسول الله ،مَن الناكثون؟ قال: **«الذين يُبايعونه بالمدينة وينكثونه بالبصرة»**، قلت:مَن القاسطون؟ قال: **«معاوية وأصحابه من أهل الشام»**، ثمّ قلت:مَن المارقون؟ قال: **«أصحابُ النهروان»**[١].

وقال ابن مسعود: خرج رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فأتى منزل أُمّ سلمة، فجاءه عليّ عليه السلام، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: **«يا أُمَّ سلمة، هذا واللهِ قاتلُ الناكثين والقاسطين والمارقين مِن بعدي»**[٢].

الناكثون: أصحاب الجمل

هم أهل البصرة؛ لأنّهم نكثوا البيعة أي نقضوها، واستزلّوا عائشة وساروا بها إلى البصرة، وهم عسكر الجمل ورُؤساؤه[٣].

أمّا عائشة: فقد روىٰ نافع عن عبدالله قال: قام النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم خطيباً فأشار نحو مسكن عائشة فقال: **«هاهنا الفتنة! (ثلاثاً) مِن حيثُ يَطلع قرنُ الشيطان»**[٤].

قال منصور علي ناصف: لمّا استُشهِد عثمان وتولّىٰ بعده عليٌّ رضي الله عنهما وهو يعلم أنّ الثورة علىٰ عثمان كان سببها تولية أقاربه، فعزلهم عليّ رضي الله عنه عملاً علىٰ رغبة المسلمين في الأقطار، فتحرّكت عواطف بني

---

١. بحارالأنوار ٣٢: ٢٩٩ / ضمن ح٢٥٨ ـ عن: معاني الأخبار للصدوق: ٢٠٤ /ح ١.
٢. المصدر: ٣٠٤ /ح٢٦٩ ـ عن كشف الغمّة للإربليّ.
٣. مجمع البحرين ـ مادّة (نكث).
٤. صحيح البخاري ٤: ١٠٠ ـ كتاب الجهاد من كتاب الوصايا ما جاء في بيوت أزواج النبيّ ـ طبع دار الإحياء.

أُميّة، وأشاعوا في الناس أنّ القاتل لعثمان هو عليّ (أي أنّه تراخى في نصرته وكان يمكنه ذلك، مع أنّ عليّاً عَمِل كلّ ما يمكنه في حفظ عثمان، ولكنْ قدَر الله غالب علىٰ كلّ شيء)، وألبّوا عليه بعض الأصحاب، فانضمّ إليهم طلحة والزبير بعد مبايعتهما لعليٍّ رضي الله عنه، وخطبت عائشة بمكّة وحضّت الناسَ على الأخذ بدم عثمان، فاجتمع من أهل مكّة والمدينة وما حولهما ثلاثةُ آلافِ مقاتل، وساروا إلى البصرة لاستنفار الناس، وعلىٰ رأسهم عائشة علىٰ جمل إسمه عسكر إشتراه لها يَعلىٰ بن أميّة بمائتي دينار، فساروا حتّى نزلوا بمياه بني عامر فنبحت عليها الكلاب فقالت: أيُّ ماءٍ هذا؟! قالوا: الحَوْأب، فقالت: إنّ النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم قال لنا ذات يوم: «**كيف بإحداكنّ يَنبح عليها كلابُ الحوأب**»؛ (وفي رواية: «**أيّتُكنّ صاحبة الجمل الأدْبب، تخرج حتّىٰ تنبحَها كلابُ الحَوْأب! يُقتَل عن يمينها وعن شمالها قتلىٰ كثير وتنجو بعد ما كادت أن تهلك**» أي قبل أن تُقْتَل)، وسمع بذلك عليّ رضي الله عنه، فخرج من المدينة ومعه تسعُمائة راكب فراراً من الفتنة، وقصد الكوفة فسمع بجيش عائشة وراءه، فاستنفر أهل الكوفة فخرج منهم طائفة معه، والتقوا بجيش عائشة فكسروهم شرّ كسرة وقُتل طلحة في المعركة فوقف علىٰ جثته عليٌّ رضي الله عنه وصار يبكي لهذه الفتنة التي أخرجَتْهم من ديارهم إلىٰ هلاكهم.

وأمّا الزبير، فإنّه حين وقف الصفّان، ظهرَ عليٌّ رضي الله عنه بينهما ونادى الزبير، فجاءه فقال: «**أستحلفُك بالله، أتذكر أنّي كنت أسير مع النبيّ وقد قابَلْتَنا، فنظر لي ولك النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وهو يبتسم، فسألته فقال: تُقاتله وأنت له ظالم؟!**» قال: نعم، وسأرجع إلىٰ وطني. وفعلاً رجع ونام في طريقه تحت شجرة وعلّق سيفه، فجاءه شخصٌ فقطع رقبته وهو نائم، ثمّ

جاء لعليٍّ وبشّره، فأنّبه عليّ وذمّه وقال له: **«بشّرْ قاتلَ الزبير بالنار!»**

وأمّا عائشة، فإنّ جملها قد كُسِرت رِجْله وكادت تسقط على الأرض، فأدركها عليٌّ رضي الله عنه، وقال: **«حافظوا علىٰ أُمِّكم وأكرموها»**. وأمر بإرجاعها إلى وطنها بسلامة الله تعالىٰ[١].

أقول: لنا مؤاخذات وتحفّظات على كلامه حيث لا يخلو من خلط وتشويش، ويهمّنا إعترافه بالمواقف العدائيّة لعايشة وطلحة والزبير ضدّ الإمام عليه السلام.

حصيلة حرب الجمل:

قيل: وكان عِدّةُ مَن قُتل من جند الجمل ستّةَ عشر ألفاً وسبعمائةٍ وتسعين إنساناً، وكانوا ثلاثين ألفاً فأتى القتل علىٰ أكثرمِن نصفهم، وقُتل مِن أصحاب عليٍّ عليه السلام ألفٌ وسبعون رجلاً، وكانوا عشرين ألفاً[٢].

قال اليعقوبيّ: وكانت الحرب أربع ساعات من النهار، فروىٰ بعضهم أنّه قُتل في ذلك اليوم نيّفٌ وثلاثون ألفاً[٣].

غير الأيدي المقطوعة والعيون المفقوءة ما لم يُحَص عددُها، ومن نتائجها القريبة إشعال معاوية الحربَ بصفيّن، فإنّها في حقيقتها كانت إمتداداً لحرب الجمل[٤]، والنهروان (الخوارج).

ورجعت عائشة باحترام إلى المدينة، وبقيت حتّىٰ حجّ معاوية، وأراد أن يعرّف وليّ عهده يزيد فلم تقبل عائشة، فقتلها خدعةً[٥].

---

١. التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول صلّى الله عليه وآله ٥: ٢٨٨.
٢. بحارالأنوار ٣٢: ١٩١.
٣. تاريخ اليعقوبي ١: ١٧٢.
٤. أحاديث أمّ المؤمنين عائشة: ١٨٧.
٥. كامل البهائي: ٢٧٠ / الفصل ١٦.

خطابٌ من أبناء عائشة موجَّهُ إليها :

يا أُمَّ المؤمنين يا عائشة !! لمّا ضرب أميرالمؤمنين عليُّ بن أبي طالب عليه السلام برمحه علىٰ هودجك وقال : «**يا عائشة ! أهكذا أمـرَكِ رسـولُ الله صلّى الله عليه وآله أن تفعلي ؟!**» قلتِ : يـا أبـا الحسـن ، ظـفرتَ فأحسِـن ، وملكتَ فأسجح أي (فأصفح) . فقال عليه السلام لأخيكِ محمّدبن أبي بكر : «**شأنُك بأختك ، فلا يدنُ أحدٌ منها سواك**» ، فدنا محمّد وقال لكِ : يا عائشة ! ما فعلتِ بنفسِك ؟! يا ميشومَ أهل بيته ! وبكيتِ وقلتِ : يا أخي استأمِنْ لي مِن عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) . واستأمن منه لكِ ، فـقال عـليّ عليه السلام : «**أمِنتُها وأمّنتُ جميعَ أصحابها**» .

يا أمّاه ! كان معكِ ثلاثون ألف رجل أو يزيدون ، منهم المكّيّون ستّمائة رجل ، وقُتل مِن أصحابكِ عشرون ألف رجل .

وكان مع أميرالمؤمنين عليه السلام عشرون ألفاً ، منهم البدريّون ثمانون رجل ، وممّن بايع رسولَ الله صلّى الله عليه وآله تحت الشجرة مائتان وخمسون ، ومن صحابة رسول الله صلّى الله عليه وآله ألفٌ وخمسمائة صحابيّ ، وقُتل منهم ألفٌ وسبعون رجل ، منهم : زيدبن صُوحان رضي الله عنه(١) .

ما الجواب للأرامل والأيتام ؟! والموعد يومَ تُبلى السرائر !

القاسطون : أصحاب صِفّين

والقاسطون الذين قسطوا ، أي جاروا حين حاربوا إمـام الحـقّ ، وهُـم معاوية وأتباعه وأعوانه الذين عدلوا عن أميرالمؤمنين عليه السلام وحاربوه في وقعة صفّين(٢) .

---

١ . تلخيص من الغزوات : ١١٦ .
٢ . مجمع البحرين ـ مادّة (قسط) .

قال ياقوت الحمويّ: «صفّين» موضعٌ بقرب الرّقّة على شاطئ الفرات من الجانب الغربيّ بين «الرقّة» و «بالس»، وكانت وقعة صفّين بين عليٍّ رضي الله عنه ومعاوية في سنة ٣٧ هـ في غرّة صفر. واختُلِف في عدّة أصحاب كلّ واحدٍ من الفريقين، فقيل: كان معاوية في مائة وعشرين ألفاً، وكان عليٌّ في تسعين ألفاً، وقيل: كان عليّ في مائة وعشرين ألفاً ومعاوية في تسعين ألفاً، وهذا أصحّ. وقُتل في الحرب بينهما سبعون ألفاً، منهم من أصحاب عليٍّ خمسةٌ وعشرون ألفاً ومن أصحاب معاوية خمسة وأربعون ألفاً، وقُتل مع عليّ خمسة وعشرون صحابيّاً بدريّاً، وكانت مدّة المقام بصفّين مائةَ يوم وعشرة أيام، وكانت الوقائع تسعين وقعة[1].

بلغ عليّاً عليه السلام أنّ معاوية قد استعدّ للقتال واجتمع معه أهل الشام، فسار عليٌّ في المهاجرين والأنصار حتّىٰ أتى المدائن... ثمّ صار إلى الجزيرة... فسار معه منهم خلق عظيم، ثمّ سار إلى الرقّة وجلّ أهلها العثمانيّة الذين هربوا من الكوفة إلىٰ معاوية، فغلّقوا أبوابها وتحصّنوا... ثمّ عبر إلى الجانب الشرقيّ من الفرات حتّىٰ صار إلى صفّين، وقد سبق معاويةُ إلى الماء ووسعه المناخ، فلمّا وافىٰ عليٌّ وأصحابه لم يصلوا إلى الماء، فتوسّل الناس إلىٰ معاوية وقال: لا سقاني الله ولا أبا سفيان مِن حوض رسول الله إن شربوا منه أبداً. فوجّه عليّ عليه السلام الأشترَ والأشعث، الأشتر في الخيل والأشعث بن قيس في الرجّالة، وكانت خيل معاوية مع أبي الأعور السلميّ، فقاتله أصحاب عليٍّ حتّىٰ صارت سنابك الخيل في الفرات وغلبوا على المشرعة، وكان الواقف عليها عبدالله بن

---

١. معجم البلدان ٣: ٤١٤.

الحارث أخو الأشتر، فلمّا غلب عليّ عليه السلام على المشرعة قال أصحاب معاوية: إنّه لا قوام لنا وقد أخذ عليٌّ الماء، فقال عمروبن العاص: إنّ عليّاً لا يستحلّ منك ومِن أصحابك ما استحللتَ منه ومن أصحابه! فأطلق عليٌّ عليه السلام الماءَ، وكان ذلك في ذي الحجّة سنة ستٍّ وثلاثين، ثمّ وجّه عليٌّ إلى معاوية يدعوه ويسأله الرجوع أن لا يفرّق الأمّة بسفك الدماء، فأبىٰ إلّا الحرب، فكانت الحرب في صفّين سنة سبعٍ وثلاثين، وقامت بينهم أربعين صباحاً، وكان مع عليّ يومَ صفّين من أهل بدر سبعون رجلاً، وممّن بايع تحت الشجرة سبعُمائة رجل، ومِن سائر المهاجرين والأنصار أربعمائة رجل، ولم يكن مع معاوية من الأنصار إلّا النعمان بن بشير ومَسلمة بن مخلّد. وصدقت نيّات أصحاب عليٍّ عليه السلام في القتال، وقام عمّاربن ياسر فصاح في الناس فاجتمع إليه خلق عظيم، فقال: واللهِ إنّهم لو هزمونا حتّىٰ يبلغوا بنا سعفاتِ هجر، لَعَلِمنا أنّا على الحقّ وأنّهم على الباطل، ثمّ قال: ألامِن رائحٍ إلى الجنّة. فتبعه خلق، فضرب حول سرادق معاوية، فقاتل القوم قتالاً شديداً، وقُتل عمّاربن ياسر، واشتدّت الحرب في تلك العشيّة، ونادى الناس: قُتل صاحبُ رسول الله! وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله تقتلُ عمّاراً الفئة الباغية. وزحف أصحاب عليّ عليه السلام وظهروا علىٰ أصحاب معاوية ظهوراً شديداً، حتّىٰ لصقوا به، فدعا معاوية بفرسه لينجو عليه، فقال له عمروبن العاص: إلىٰ أين؟! قال: قد نزل ما ترىٰ، فما عندك؟ قال: لم يبق إلّا حيلة واحدة، أن ترفع المصاحف فتدعوَهم إلىٰ ما فيها، فَستُكْفَهُم، وتكسر من حدّهم، وتفتّ في أعضادهم! قال معاوية: فشأنك. فرفعوا المصاحف ودعوهم إلى التحكيم بما فيها، وقالوا: ندعوكم إلىٰ كتاب الله، فقال عليّ

عليه السلام: **«إنّها مكيدة، وليسوا بأصحاب القرآن»** فاعترض الأشعث بن قيس الكِنديّ، وقد كان معاوية استماله وكتب إليه ودعاه إلى نفسه، فقال: قد دَعَوُا القومُ إلى الحقّ، فقال عليّ عليه السلام: **«إنّهم إنّما كادوكم وأرادوا صرفكم عنهم»**، فقال الأشعث: واللهِ لتجيبنّهم إلىٰ ما دَعَوْا إليه أو لَندفعنّك إليهم برمّتك! فتنازع الأشتر والأشعث في هذا كلاماً عظيماً، حتّىٰ كاد أن يكون الحرب بينهم حتّىٰ خاف عليّ عليه السلام أن يفترق عنه أصحابه، فلمّا رأىٰ ما هو فيه أجابهم إلى الحكومة، وقال عليّ: **«أرى أن أوجّه بعبدالله بن عبّاس»**، فقال الأشعث: إنّ معاوية يوجّه بعمرو بن العاص ولا يحكم فينا مضريّان، ولكن توجّه أبا موسى الأشعريّ، فإنّه لم يدخل في شيءٍ من الحرب، فقال عليّ عليه السلام: **«إنّ أبا موسى الأشعريّ عدوّ، وقد خذل النّاسَ عنّي بالكوفة ونهاهم أن يخرجوا معي»**، قالوا: لا نرضىٰ بغيره. فوجّه عليٌّ أبا موسى علىٰ علمه بعداوته له ومداهنته فيما بينه وبينه، ووجّه معاوية عمرَو بن العاص، وكتبوا كتابين بالقضيّة: كتاباً مِن علـيٍّ عليه السلام بخطّ كاتبه عبدالله بن أبي رافع، وكتاباً من معاوية بخطّ كاتبه عُمَير بن عبّاد الكنانيّ، واختصموا في تقديم عليّ عليه السلام أو تسمية عليٍّ بإمرة المؤمنين، فقال أبو الأعور السلميّ: لا نقدّم عليّاً، وقال أصحاب عليّ: لا نغيّر اسمه ولا نكتب إلّا بإمرة المؤمنين. فتنازعوا علىٰ ذلك منازعةً شديدة حتّىٰ تضاربوا بالأيدي، فقال الأشعث: امحوا هذا الاسم، فقال له الأشتر: واللهِ يا أعور لَهممتُ أن أملأ سيفي منك، فلقد قتلتُ قوماً ما هم بأشرّ منك، وإنّي أعلم أنّك ما تحاول إلّا الفتنة، وما تدور إلّا على الدنيا وإيثارها على الآخرة. فلما اختلفوا قال عليّ عليه السلام: **«اللهُ أكبر! قد كتب رسول الله صلّى الله عليه وآله يومَ الحديبيّة لسهيل بن عمرو: هذا ما صالحَ عليه رسول الله، فقال سهيل:**

لو علمنا أنّك رسولُ الله ما قاتَلْناك، فمحا رسول الله اسمَه بيده، وأمرني فكتبتُ: مِن محمّد بن عبدالله، وقال: إنّ إسمي وإسم أبي لا يذهبان بنبوّتي، وكذلك كتبت الأنبياء كما كتب رسول الله إلى الآباء، وإنّ إسمي وإسم أبي لا يذهبان بإمرتي» وأمرهم فكتبوا: هذا ما تقاضىٰ عليه عليّ بن أبي طالب، وكُتب كتابُ القضية، وعلى الفريقين أن يرضوا بذلك بما أوجبه كتاب الله، واشتُرِط على الحكمين في الكتابين أن يحكما بما في كتاب الله من فاتحته إلىٰ خاتمته، لا يتجاوزانِ ذلك ولا يحيدانِ عنه إلىٰ هوىً ولا ادّهان، وأُخِذ عليهما أغلظُ العهود والمواثيق، فإن هما جاوزا بالحكم كتابَ الله مِن فاتحته إلىٰ خاتمته فلا حُكمَ لهما.

ووجّه عليّ عليه السلام بعبد الله بن عبّاس في أربعمائةٍ من أصحابه، ووجّه معاوية أربعمائةٍمن أصحابه، واجتمعوا «بدومة الجندل» في شهر ربيع الأوّل سنة ثمانٍ وثلاثين، فخدَعَ عمرُو بن العاص أبا موسى الأشعريّ، وذكر له معاوية فقال: هو وليّ ثأر عثمان وله شرفه في قريش، فلم يجد عنده ما يحبّ، وقال: فأَبني عبدالله؟ قال: ليس بموضعٍ لذلك، قال فعبدالله بن عمر؟ قال: إذاً يُحْيي سُنّةَ عمر، الآن جئتَ به، فقال: فاخلع عليّاً وأخلَعُ أنا معاوية ويختار المسلمون. وقدّم عمرٌو أبا موسىٰ إلى المنبر، فلما رآه عبدالله بن عبّاس قام إلىٰ عبدالله بن قيس فدنا منه فقال: إن كان عمرو فارقك علىٰ شيءٍ فقدّمه قبلَك، فإنّه غَدّار! فقال: لا، قد اتّفقنا علىٰ أمر. فصعد المنبر وخلع عليّاً، ثمّ صعد عمرو بن العاص فقال: قد ثبّتُ معاوية كما ثبّتُ خاتمي هذا في يدي. فصاح به أبو موسىٰ: غدرتَ يا منافق! إنّما مَثَلُك مَثَلُ الكلب إن تحملْ عليه يلهثْ أو تتركه يلهث، فقال عمرو: إنّما مَثلُك مَثَل الحمار يحمل أسفاراً. وتنادى الناس:

حَكَم واللهِ الحكمان بغير ما في كتاب الله، والشرطُ عليهما غير هذا! وتضارب القوم بالسياط، وأخذ قوم بشعور بعض، وافترق الناس، ونادت الخوارج: كفر الحكمان، لا حُكمَ إلّا لله[١].

وكان أبو موسىٰ منحرفاً عن عليٍّ عليه السلام، ومن أراد المزيد فعليه بمراجعة كتاب (الغزوات: ١١٧) لسماحة الشيخ النقديّ.

المارقون: أصحاب النَهروان

هم الذين مرقوا عن دين الله، واستحلّوا قتالَ خليفة رسول الله صلَى الله عليه وآله، وهم: عبدالله بن وهب، وحرقوص بن زهير البجليّ المعروف بذي الثدية. وتعرف الواقعة بيوم النهروان، وهي من أرض العراق علىٰ أربعة فراسخ من بغداد. ويمرقون مِن الدين: أي يجوزونه ويتعدّونه.

وفي زيارة الأئمّة عليهم السلام: «الراغبُ عنكُم مارق»، أي خارجٌ عن الدين[٢].

وانصرف عليّ عليه السلام من «صفّين» إلى الكوفة، فلمّا قدمها قام خطيباً فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثمّ قال: **«أيُّها الناس، إنّ أوّل وقوع الفتن هوىً يُتّبَع، وأحكامٌ تُبتدَع، يعظّم فيها رجالٌ رجالاً، يُخالَف فيها حكمُ الله. ولو أنّ الحقّ خلص فعُمل به لم يخْفَ علىٰ ذي حِجى، ولكن يؤخَذ ضِغْثٌ من ذا وضِغثٌ مِن ذا، فيُمزجان فيُعمل به، فعند ذلك يَستولي الشيطانُ علىٰ أوليائه، وينجو الذين سَبَقتْ لهم مِن الله الحُسنىٰ»**[٣].

---

١. تاريخ اليعقوبيّ ١: ١٧٧ ـ ١٧٩.
٢. مجمع البحرين ـ مادة (مرق).
٣. قريب منه: الخطبة ٥٠ من نهج البلاغة.

وتوجّه الخوارج إلىٰ قريةٍ يُقال لها «حَروراء» بينها وبين الكوفة نصف فرسخ، وبها سُمُّوا «الحَروريّة»، ورئيسُهم عبدالله بن وهب الراسبيّ وابن الكوّا وشَبَث بن رِبْعيّ، فجعلوا يقولون: لا حُكمَ إلاّ لله، فلمّا بلغ عليّاً ذلك قال: **«كلمةُ حقٍّ أُريدَ بها باطل»**. ثمّ خرجوا في ثمانية آلاف، وقيل: في اثني عشر ألفاً، فوجّه إليهم عليٌّ عليه السلام عبدَالله بن عبّاس فكلّمهم، واحتجُّوا عليه فخرج إليهم عليّ عليه السلام فقال: **«أتشهدون عليَّ بجهل؟!»** قالوا: لا، قال: **«فتنفّذون أحكامي؟»** قالوا: نعم، قال: **«إرجعوا إلىٰ كوفتكم حتّىٰ نتناظر»**. فرجعوا من عند آخرهم، ثمّ جعلوا يقومون فيقولون: لا حُكمَ إلّا لله، فيقول عليّ عليه السلام: **«حُكْمَ اللهِ أنتظرُ فيكم»**. وخرجوا من الكوفة فوثبوا علىٰ عبدالله بن خبّاب بن الأرتّ فقتلوه وأصحابَه، فخرج إليهم عليّ عليه السلام فناشدهم اللهَ ووجّه إليهم عبدَالله بن عبّاس فقال: **«يا ابنَ عبّاس، قلْ لهؤلاء الخوارج: ما نَقِمتُم علىٰ أميرالمؤمنين؟! ألم يحكم فيكم بالحقّ، ويُقيم فيكم العدل، ولم يبخسكم شيئاً مِن حقوقكم؟!»** فناداهم عبدالله بن عبّاس بذلك، فقالت طائفة منهم: واللهِ لا نجيبه، وقالت الأخرىٰ: والله لَنجيبنّه، ثمّ لنخصمنّه، نعم ياابن عبّاس، نَقِمنا علىٰ عليٍّ خصالاً كلُّها مُوبقة، لو لم نخصمه منها إلّا بخصلةٍ خصمناه، محا اسمَه من إمرة المؤمنين يوم كتب إلىٰ معاوية، ورجعنا عنه يوم صفّين فلم يضربنا بسيفه حتّىٰ نَفِيء إلى الله، وحكّم الحكمين، وزعم أنّه وصيٌّ فضيّع الوصيّة، وجئتَنا ياابن عبّاس في حُلّة حسنة جميلة تدعونا إلىٰ مِثل ما يدعونا إليه، فقال ابن عبّاس: قد سمعتَ يا أميرالمؤمنين مقالة القوم، وأنت أحقُّ بالجواب؟ فقال: **«حججتَهم ـ والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة ـ قل لهم: ألستم راضين بما في كتاب الله وبما فيه من أُسوة رسول الله؟!»** قالوا: بلىٰ، قال: **«فعليٌّ بذلك أرضىٰ، كتب**

كاتبُ رسول الله يوم الحديبيّة إذ كتب إلى سهيل بن عمرو وصخر بن حرب ومَن قِبلَهما مِن المشركين: «مِن محمّدٍ رسول الله»، فكتبوا إليه: لو علمنا أنّك رسول الله ما قاتلناك، فاكتبْ إلينا «مِن محمّد بن عبدالله» لِنُجيبك، فمحا رسول الله صلّى الله عليه وآله اسمَه بيده وقال: إنّ إسمي وإسم أبي لا يذهبان بنبوّتي وأمري، فكتب: «مِن محمّد بن عبدالله»، وكذلك كتب الأنبياء كما كتب رسول الله صلّى الله عليه وآله، ففي رسول الله أسوةٌ حسنة.

وأمّا قولكم أنّي لم أضربكم بسيفي يومَ صفّين حتّىٰ تفيئوا إلىٰ أمر الله، فإنّ الله جلّ وعزّ يقول: ﴿وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[١]، وكنتم عدداً جمّاً وأنا وأهل بيتي في عِدّة يسيرة.

وأمّا قولكم أنّي حكّمت الحكمين، فإنّ الله عزّ وجلّ حكم في أرنب يُباع بربع درهم، فقال: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوا عَدْلٍ مِنكُمْ﴾[٢] ولو حكم الحكمان بما في كتاب الله لما وَسِعَني الخروجُ مِن حكمهما.

وأمّا قولكم أنّي كنتُ وصيّاً فضيّعت الوصيّة، فإنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[٣]، أفرأيتُم هذا البيت لو لم يَحجّ إليه أحدٌ كان البيت يُكَفَّر، إنّ هذا البيت لو تركه مَن إستطاع إليه سبيلاً كفر، وأنتم كفرتم بترككم إيّاي لا أنا كفرت بتركي لكم».

فرجع يومئذٍ من الخوارج ألفان، وأقام أربعة آلاف، والتحمت الحرب بينهم مع زوال الشمس، فأقامت مقدار ساعتين من النهار، فقُتلوا مِن عند آخِرهم، وقُتل ذو الثدية، ولم يفلت من القوم إلّا أقلّ من عشرة، ولم يُقتَل مِن أصحاب عليّ إلّا أقلّ من عشرة، وكانت وقعة النهروان سنة تسعٍ

---

١. البقرة: ١٩٥.
٢. المائدة: ٩٥.
٣. آل عمران: ٩٧.

وثلاثين[١].

ولمّا رجع أميرالمؤمنين من النهروان وقَدِم الكوفة، قام خطيباً فقال بعد حمد الله والثناء عليه والتذكير بنعمه، والصلاةِ علىٰ محمّدٍ وآله، وذِكْر ما فضّله الله به: **«أمّا بعد: أيُّها الناس، فأنا فقأتُ عينَ الفتنة، ولم يكن لِيجترئَ عليها أحدٌ غيري، ولو لم أكن فيكم ما قُوتل الناكثون ولا القاسطون ولا المارقون»**. ثمّ قال: **«سَلُوني قبلَ أن تَفقدوني، فإنّي عن قليلٍ مقتول، فما يَحبس أشقاها أن يخضبها بدم أعلاها، فَوَ الذي فلق الحبّةَ وبرأ النَسمة، لا تسألوني عن شيءٍ فيما بينكم وبين الساعة، ولا عن فئة تضلّ مائةً أو تهدي مائةً إلّا أنبأتُكم بناعقها وقائدها وسائقها إلىٰ يوم القيامة، إنّ القرآن لا يَعلم علمَه إلّا مَن ذاق طعمه، وعلم بالعلم جهله، وأبصر عمله واستمع صممه، وأدرك به مأواه وحُيّ به إن مات فأدرك به الرضىٰ مِن الله، فاطلبوا ذلك عند أهله؛ فإنّهم في بيت الحياة ومستقرّ القرآن ومنزل الملائكة، وأهل العلم الذين يخبركم عملُهم عن علمِهم، وظاهرُهم عن باطنهم، هم الذين لا يخالفون الحقّ ولا يختلفون فيه، قد مضىٰ فيهم من الله حُكمٌ صادق، وفي ذلك ذِكرى لِلذاكرين، أما إنّكم ستَلقَون بعدي ذُلّاً شاملاً، وسيفاً قاتلاً، وأَثرَةً قبيحة، يتّخذها الظالمون عليكم سُنّة تُفرّق جموعكم، وتبكي عيونكم، ويدخل الفقرُ بيوتَكم، وستذكرون ما أقول لكم عن قليل، ولا يُبعد اللهُ إلّا مَن ظلم»**[٢].

قيل لأمير المؤمنين عليه السلام: مَن غرَّ الخوارجَ؟ قال عليه السلام: **«الشيطان وأنفس أمّارة بالسوء غرّتهم بالأمانيّ وزيّنت لهم المعاصي»**[٣].

---

١. تاريخ اليعقوبيّ ١: ١٨٠.
٢. تاريخ اليعقوبيّ ١: ١٨٢.
٣. الغزوات: ١٤١.

الفصل الحادي والعشرون:

مَوْلايَ بِكَ ظَهَرَ الْحَقُّ، وَقَدْ نَبَذَهُ الْخَلْقُ، وَأَوْضَحْتَ السُّنَنَ بَعْدَ الدُّرُوسِ وَالطَّمْسِ، فَلَكَ سابِقَةُ الْجِهادِ عَلىٰ تَصْدِيقِ التَّنْزِيلِ، وَلَكَ فَضِيلَةُ الْجِهادِ عَلىٰ تَحْقِيقِ التَّأْوِيلِ، وَعَدُوُّكَ عَدُوُّ اللّٰهِ جاحِدٌ لِرَسُولِ اللّٰهِ يَدْعُو باطِلاً، وَيَحْكُمُ جائِراً، وَيَتَأَمَّرُ غاصِباً، وَيَدْعُو حِزْبَهُ إِلَىٰ النَّارِ، وَعَمَّارٌ يُجاهِدُ وَيُنادِي بَيْنَ الصَّفَّيْنِ الرَّواحَ الرَّواحَ إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَلَمَّا اسْتَسْقىٰ فَسُقِيَ اللَّبَنَ كَبَّرَ وَقالَ: قالَ لِي رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: آخِرُ شَرابِكَ مِنَ الدُّنْيا ضَياحٌ مِنْ لَبَنٍ، وَتَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْباغِيَةُ، فَاعْتَرَضَهُ أَبُو الْعادِيَةِ الْفَزارِيُّ فَقَتَلَهُ، فَعَلىٰ أَبِي الْعادِيَةِ لَعْنَةُ اللّٰهِ وَلَعْنَةُ مَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ أَجْمَعِينَ، وَعَلىٰ مَنْ سَلَّ سَيْفَهُ عَلَيْكَ، وَسَلَلْتَ سَيْفَكَ عَلَيْهِ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَالْمُنافِقِينَ إِلىٰ يَوْمِ الدِّينِ، وَعَلىٰ مَنْ رَضِيَ بِما سَاءَكَ وَلَمْ يَكْرَهْهُ وَأَغْمَضَ عَيْنَهُ وَلَمْ يُنْكِرْ، أَوْ أَعانَ عَلَيْكَ بِيَدٍ أَوْ لِسانٍ، أَوْ قَعَدَ عَنْ نَصْرِكَ، أَوْ خَذَلَ عَنِ الْجِهادِ مَعَكَ، أَوْ غَمَطَ فَضْلَكَ، وَجَحَدَ حَقَّكَ، أَوْ عَدَلَ بِكَ مَنْ جَعَلَكَ اللّٰهُ أَوْلىٰ بِهِ مِنْ نَفْسِهِ، وَصَلَواتُ اللّٰهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللّٰهِ وَبَرَكاتُهُ وَسَلامُهُ وَتَحِيَّاتُهُ وَعَلىٰ الْأَئِمَّةِ مِنْ آلِكَ الطَّاهِرِينَ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

اللّغة:

(نبذ): طرح، (درس): بَلِيَ، (الطمس): المحو، (ضياح): شراب، (ساءك): أغضبك، (غَمِطَ): أنكر.

المعنىٰ:

مولاي يا أمير المؤمنين، بك ظهر الحقّ الذي تَركَه الخَلْق، وأوضحتَ سنن رسول الله صلّى الله عليه وآله بعد ما بَلِيَتْ وَبَعُد عنها الناس، فلك يا أميرالمؤمنين سابقةُ الجهاد علىٰ تصديق القرآن، ولك فضيلة ﴿**فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ**﴾، وعدوُّك يا سيّدي عدوُّ الله، وهو منكرٌ لرسول الله صلّى الله عليه وآله، وعدوُّك يدعو لنفسه ولغيره باطلاً، ويحكم بغير ما أنزل الله، وتكون إمامته غَصْباً، ويدعو حزبَه إلى النار؛ لأنّه حزب الشيطان.

وأمّا عمّار (الذي قال فيه صلّى الله عليه وآله: «**عمّار مع الحقّ والحقُّ مع عمّار حيث كان، عمّار جلدةٌ بين عينَيّ وأنفي، تقتله الفئة الباغية**» وقال: «**قد مُلِئَ (عمّار) إيماناً إلىٰ مشاشِه**»)، جاهد في «صفّين»، ونادىٰ بين الصفّين، وقال: «الرَّواحَ الرواحَ إلى الجنّة»، وقال: «اللّهمّ إنّك تعلم أنّي لو أعلم أنّ رضاك في أن أَقذف بنفسي في هذا البحر الفرات لَفعلت، اللّهمّ إنّك تعلم أنّي لو أعلم أنّ رضاك أن أضع ظُبَةَ سيفي في بطني ثمّ أنحني عليها حتّىٰ يخرج من ظهري لَفعلت، اللّهمّ وإنّي أعلم ممّا أعلمتَني أنّي لا أعمل اليومَ عملاً هو أرضىٰ لك مِن جهاد هؤلاء الفاسقين، ولو أعلم اليومَ عملاً أرضىٰ لك منه لَفعلتُه»[1].

فلمّا فرغ من الدعاء قال لأصحابه: «حارَبْنا مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أصحابَ هذه الرايات التي تَرَونها في جيش معاوية ثلاثَ مرّات،

---

١. ملخّص وقعة صفّين: ٣٢٠، وكشف الغمّة ١: ٢٦١.

واعلموا أنّي سأقتل اليوم، فحيلوا أمري إلى لطف ربّي، واعلموا أنّ عليّاً إمامُنا ومُقتدانا، وسيخاصم الأشرارَ غداً لأجلنا».

فلمّا فرغ من الكلام، ركب جواده وهجم على القوم هجماتٍ متتابعةً متعاقبة، وكان يرتجز في حملاته حتّىٰ أَثخَن فيهم، فاستوحدوه مكاناً، وضربه أبو العادية ضربةً خارت قواه منها، فرجع إلىٰ أصحابه وطلب منهم شربةَ ماء، فأقبل غلام له إسمه راشد يحمل شربةً من لبن[١].

ولمّا استسقىٰ فسُقي اللَّبن كبّر وقال: قال لي رسول الله صلّى الله عليه وآله: **«آخِرُ شرابِك مِن الدنيا شربةٌ من لبن، وتقتلك الفئةُ الباغية»**.

قُتل عمّار رضوان الله عليه، فعلىٰ أبي العادية لعنةُ الله ولعنة ملائكتِه ورسلِه وأنبيائِه أجمعين، ولعنةُ الله علىٰ مَن سَلَّ سيفَه عليك وسللتَ سيفَك عليه يا أميرالمؤمنين، مِن المشركين والمنافقين، إلى يوم الدين، وعلىٰ مَن رضيَ بمَن جار عليك ولم يكره الجورَ عليك، وأغمض عينه ولم ينكر ظلمه، أو أعان الظالمين عليك بيدٍ أو لسانٍ، أو قعد عن نصرك، أو خذّل عن الجهاد معك، أو صغّر فضلَك وأنكر حقَّك، أو عَدلَك بمَنْ جعلك اللهُ أَولىٰ به مِن نفسه، صلوات الله عليك ورحمة الله وبركاته، وسلامه وتحيّاته، وعلَى الأئمّة من آلك الطاهرين، إنّه حميدٌ مجيد.

فلمّا بلغ أميرَالمؤمنين عليه السلام شهادةُ عمّار وقتلُه، جاء إليه فوضع رأسه في حِجره وقال:

«ألا أيُّها الموتُ الذي هو قاصدي ... أرِحْني فقد أفنيتَ كلَّ خليلِ
أراك بصيراً بالذين أُحبُّهم ... كأنّك تنحو نحوَهم بدليل»

ثمّ قال: «إنّا لله وإنّا إليه راجعون، إنّ امرءاً لم يدخل عليه مصيبة من قتل

---

١. منتهى الآمال (معرّب) ١: ٢٤٦ ـ ٢٤٧.

عمّارفما هو من الإسلام في شيء». ثمّ قال عليّ عليه السلام: **«رَحِم اللهُ عمّاراً يوم يُبعث، ورحم الله عمّاراً يوم يُسأل، فوَ الله لقد رأيتُ عمّارَ بن ياسر وما يذكر من أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وآله ثلاثةٌ إلّا كان رابعاً، ولا أربعةٌ إلّا كان خامساً، إنّ عمّاراً قد وَجَبت له الجنّة في غير موطن ولا موطنين ولا ثلاث، فهنيئاً له الجنّة، فقد قُتل مع الحقّ والحقُّ معه، ولقد كان الحقّ يدور منه حيث ما دار، فقاتلُ عمّار وسالب عمّار وشاتم عمّار في النار!»**

ثمّ تقدّم عليّ عليه السلام فصلّىٰ عليه، ثمّ دفنه بيده المباركة، رحمة الله ورضوانه عليه، وطُوبىٰ له وحُسنُ مآب[1].

ترجمة عمّار بن ياسر العنسي:

قال المحدّث القمّيّ: «عمّار» حليف بني مخزوم، المكنّىٰ بأبي يقظان، من كبار الصحابة، ومن أصفياء أصحاب أميرالمؤمنين عليه السلام، ومن المعذَّبين في الله، والمهاجرين إلى الحبشة، والمصلّين إلى القِبلتَين.

وقد حضر بدراً وسائرَ المشاهد، وأسلم مع أبيه ياسر وأمّه سُميّة وأخيه عبدالله أوّلَ ظهور الإسلام، وكانوا يُعذَّبون مِن قِبل قريش أشدَّ العذاب، ويعانون منهم أشدَّ العناء، فكان رسول الله صلّى الله عليه وآله يمرّ بهم ويُسلّمُ عليهم ويقول: **«صبراً يا آلَ ياسر؛ فانّ موعدكم الجنّة»**. وكان يدعو لهم بالمغفرة ويترحّم عليهم.

قال ابن عبدالبرّ: إنّ مشركي قريش كانوا يأخذون ياسراً وسميّة وابنيهما عمّاراً وعبدالله مع بلال وخبّاب وصهيب، فيُلبسونهم أدرع الحديد ثمّ يصهرونهم في الشمس حتّىٰ يبلغ الجهد منهم كلَّ مبلغ، كي

---

١. منتهى الآمال (معرّب) ١: ٢٤٧ ـ عن: الفتوح لابن أعثم ٢: ١٥٧.

يعطوهم سُؤلهم، وهو سبُّ النبيّ صلّى الله عليه وآله، فقالوا ما أرادوه منهم، فجاء إلىٰ كلٍّ واحد قومه بأنطاع الأدم فيها الماء فألقوهم فيها، ثمّ حملوا بجوانبه (وجاؤوا بهم إلى البيت).

وقال الشيخ عبّاس القمّي رحمه الله أيضاً:

الظاهر أنّ ياسراً وعماراً من قبيلة بني مخزوم، وذلك أنّ ياسراً كان قحطانيّاً من عَنَس بن مذحج، فخرج من اليمن مع أخويه حارث ومالك لطلب أخٍ لهم آخر، فرجع الأخوان وبقي ياسر هناك، وصار حليفَ أبي حُذيفة بن المُغيرة المخزوميّ، فتزوّج بجاريته سُميّة فولدت له عمّاراً، فأعتقه أبو حذيفة فصار ولاء عمّار لبني مخزوم.

ولأجل هذا الحلف والولاء اجتمعت بنو مخزوم لمّا ضرب عثمانُ عمّاراً وحصل له فتق بسببه، وقالت: واللهِ لو مات عمّار لن نقتل أحداً بدمه إلّا عثمان.

واستُشهد ياسر وسميّة بيد مشركي قريش، وهذه فضيلة خالدة لعمّار بأن استُشهد هو وأبوه وأمّه في طريق إعلاء كلمة الله، وكانت أمّه من النساء الفاضلات، وقد لاقت مصائب وبلايا كثيرةً في سبيل الإسلام، وكان أبو جهل يسبّها ويشتمها كثيراً إلى أن قتلها بحَربته، فأصبحت أوّلَ شهيدةٍ في الإسلام.

وفي الخبر أنّ عمّاراً قال للنبيّ صلّى الله عليه وآله: «يا رسول الله، بلغ العذاب مِن أُمّي كلَّ مبلغ»، فقال: **«صبراً يا أبا اليقظان، اللّهمّ لا تعذّبْ أحداً مِن آل ياسر بالنار»**.

وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله لمّا ألقاه مشركو قريش في النار: **«يا نارُ كوني برداً وسلاماً علىٰ عمّار، كما كنتِ برداً وسلاماً علىٰ إبراهيم»**. فلم تصله

النار ولم يصله منها مكروه.

وأمّا قضيّة حمله للأحجار أكثر من الآخرين لبناء المسجد، ورَجْزِه ومجادلته مع عثمان، وقول الرسول صلّى الله عليه وآله في جلالة شأنه، فمشهورة.

قال عليّ بن إبراهيم القمّيّ في تفسيره لآية ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾[1] نزلت في عثمان يوم الخندق، وذلك... أنّه مرّ بعمّار بن ياسر وهو يحفر الخندق وقد ارتفع الغبار من الحفر، فوضع كُمَّه علىٰ أنفه ومرّ، فقال عمار:

لا يستوي مَن يبنيَ المَساجدا ... يَظَلُّ فيها راكعاً وساجدا

كمَن يمرُّ بالغبارِ حائدا ... يَعرضُ عنه جاحداً مُعاندا

فالتفت إليه عثمان فقال: يابنَ السوداء! إيّايَ تعني؟! ثمّ أتىٰ رسولَ الله فقال له: لم ندخل معك لِتُسبّ أعراضُنا، فقال له النبيّ صلّى الله عليه وآله: **«قد أقَلْتُك إسلامَك، فاذهب»**.

وروى في «صحيح البخاريّ» أنّ المسلمين كانوا يحملون لَبِنةً لَبنة وعمّار لبنتين لبنتين، (أحدُهامِن قِبل نفسه، والأخرى عن رسول الله صلّى الله عليه وآله)، فرآه النبيّ صلّى الله عليه وآله فنفض التراب عنه وقال: **«ويحَ عمّار! تقتلُه الفئة الباغية، يَدْعوهم إلى الجنّة ويدعونه إلى النار!»**

وفي رواية أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال فيه: **«عمّارٌ مع الحقّ والحقُّ مع عمّار حيث كان، عمّارٌ جلدة بين عينَيّ وأنفي، تقتلُه الفئةُ الباغية»**.

وقال: **«قد مُلئَ عمّارٌ إيماناً إلىٰ مُشاشِه»**.

وقد استُشهد عمّار في التاسع من صفر سنة ٣٧ هـ وهو ابن تسعين سنة رضي الله عنه.

---

١. سورة الحجرات: ١٧.

وورد في «كتاب مجالس المؤمنين» أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام صلّى بنفسه النفيسة علىٰ عمّار ودفنه بيده المباركة، وكان عمره يومذاك ٩١ سنة[١].

١. منتهى الآمال (معرَّب) ١: ٢٤٤ ـ ٢٤٦.

الفصل الثاني والعشرون:

وَالْأَمْرُ الْأَعْجَبُ، وَالْخَطْبُ الْأَفْظَعُ بَعْدَ جَحْدِكَ حَقَّكَ غَصْبُ الصِّدِيقَةِ الطَّاهِرَةِ الزَّهْراءِ سَيِّدَةِ النِّساءِ فَدَكاً، وَرَدُّ شَهادَتِكَ وَشَهادَةِ السَّيِّدَيْنِ سُلالَتِكَ وَعِتْرَةِ الْمُصْطَفىٰ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْكُمْ وَقَدْ أَعْلَى اللّٰهُ تَعالىٰ عَلَى الْأُمَّةِ دَرَجَتَكُمْ، وَرَفَعَ مَنْزِلَتَكُمْ، وَأَبانَ فَضْلَكُمْ وَشَرَّفَكُمْ عَلَى الْعالَمِينَ فَأَذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ وَطَهَّرَكُمْ تَطْهِيراً، قالَ اللّٰهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ الْإِنْسانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً * إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾[1]، فَاسْتَثْنَىٰ اللّٰهُ تَعالىٰ نَبِيَّهُ الْمُصْطَفىٰ وَأَنْتَ يا سَيِّدَ الْأَوْصِياءِ مِنْ جَمِيعِ الْخَلْقِ، فَما أَعْمَهَ مَنْ ظَلَمَكَ عَنِ الْحَقِّ، ثُمَّ أَفْرَضُوكَ سَهْمَ ذَوِي الْقُرْبىٰ مَكْراً، وَأَحادُوهُ عَنْ أَهْلِهِ جَوْراً.

اللّغة:

(الأفظَع): الأشدّ، (سلالتك): بَنيك، (أَفرض): قطع، (أحادَ): منعَ.

---

١. المعارج: ١٩ ـ ٢٢.

الشرح:

ما هي فَدك؟

فَدَك: بفتحتين، قريةٌ مِن قُرى اليهود، بينهاوبين مدينة النبيّ صلّى الله عليه وآله يومان، وبينهاوبين خيبر دون مرحلة، وهي ممّا أفاء اللهُ علىٰ رسوله... وكانت لرسول الله صلّى الله عليه وآله؛ لأنّه فتحها هو وأميرالمؤمنين عليه السلام ولمن يكن معهما أحد، فزال عنها حُكم الفيء ولزمها إسم الأنفال، فلمّا نزل: ﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾[١] أي أعطِ فاطمةَ عليها السلام فَدَكاً، فأَعطاها رسول الله صلّى الله عليه وآله إيّاها، وكانت في يد فاطمة عليها السلام إلىٰ أن تُوفّيَ رسول الله صلّى الله عليه وآله، فأُخِذت من فاطمة بالقهر والغلبة. وقد حدّها الإمام الكاظم عليه السلام: «**حدٌّ منها جبل أُحد، وحدٌّ منها عريش مصر، وحدٌّ منها سيف البحر، وحدٌّ منها دومة الجندل ـ يعني الجرف**»[٢].

سأل أبو بصير أبا عبدالله الصادقَ عليه السلام: لِمَ لَم يأخذ أميرالمؤمنين عليه السلام فَدَكاً لمّا وَلِيَ الناسَ، ولأيّ علّةٍ تركها؟ فقال عليه السلام: «**لأنّ الظالم والمظلوم قد كانا قَدِما على الله تعالىٰ، فأثاب اللهُ المظلومَ وعاقبَ الظالم، فكَرِه أن يسترجع شيئاً قد عاقب عليه غاصبَه وأثاب عليه المغصوب**»[٣].

وكانت فدك بالنصّ والسنّة لفاطمة سلام الله عليها وغُصِبت منها، واستدلّ علماء التفسير والكلام والحديث والفقه بآيات القرآن والأحاديث المتّفَق عليها لدى الشيعة والسنّة أنّ فدكاً كانت للصدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام.

---

١. الإسراء: ٢٦.
٢. إشارة إلى الخلافة الإسلاميّة، إذ لم تكن حدود فدك هذه.
٣. مجمع البحرين ـ مادّة «فدك».

وقد تناول السيّد الوالد قُدّس سرُّه في كتاب «قادتنا كيف نعرفهم» في عنوان: فاطمة ومطالبتها بحقّها بثلاث دعاوىٰ:

أ ـ النِّحْلة. ب ـ الميراث. ج ـ سهم ذوي القُربىٰ.

قال ابن أبي الحديد: «واعلم أنّ الناس يظنّون أنّ نزاع فاطمة أبابكر كان في أمرين: في الميراث، والنِّحلة. وقد وجدتُ في الحديث أنّها نازعت في أمرٍ ثالث، ومنَعَها أبوبكر إيّاه أيضاً، وهو سهم ذوي القربىٰ».

وقيل: إنّ فاطمة عليها السلام ادّعت الميراث أوّلاً، ثمّ ادّعت النِّحلةَ ثانياً، وليس الأمر كذلك بل الأمر بالعكس.

قال الحلبيّ في «السيرة النبويّة»: «ولعلّ طلب إرثها من فدك كان منها بعد أن ادّعت أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله أعطاها فدكاً، وقال لها أبوبكر: هل لكِ بيّنة؟ فشهد لها عليٌّ كرّم الله وجهه وأمّ أيمن، فقال لها: أبرَجلٍ وامرأة تستحقّينها؟!»

قال السيّد المرتضىٰ: «إنّ الكلام في النِّحْلة كان المتقدّم ظاهراً، والروايات كلّها به واردة... لأنّها في الإبتداء طالبت بالنِّحلة، وهو الوجه الذي تستحقّ فدكاً منه، فلمّا دُفِعت عنه طالبت ضرورةً بالميراث؛ لأنّ للمدفوع عن حقّه أن يتوصّل إلىٰ متناوله بكلّ وجهٍ وسبب...»[1].

أقول:

إهتمام الزهراء وأميرالمؤمنين عليهما السلام وأهل البيت عليهم السلام وشيعتهم بفدك لم يكن لمجرّد كونها ماديّة؛ بل لإعلان عدم أهْليّة أبي بكر للخلافة بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، فأصبحت فَدَك علامةً بيّنةً علىٰ ظُلمهم وغصبهم وعنادهم، وتنكّرهم لأمر الله تبارك وتعالىٰ في شأن مودّة

---

١. قادتنا كيف نعرفهم ٤: ٣١٦.

أهل بيت النبيّ صلّى الله عليه وآله: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبىٰ﴾[١].

وينبغي أن نذكر هنا ما رواه شريك بن عبدالله: أنّ عائشة وحفصة أتَيا عثمانَ حين نقّص أُمّهاتِ المؤمنين ما كان يُعطيهنّ عمر، فسألتاه أن يُعطيَهما ما فرض لهما عمر، فقال: لا والله، ما ذاك لكما عندي. فقالتا له: فآتِنا ميراثَنا من رسول الله (صلّى الله عليه وآله) من حيطانه. وكان عثمان متّكئاً فجلس، وكان عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) جالساً عنده، فقال: ستعلم فاطمةُ أنّي ابنُ عمٍّ لها اليوم، ثمّ قال: ألستما اللّتَين شهدتُّما عند أبي بكر ولفّقتُما معكما أعرابيّاً يتطهّر ببوله، مالكَ بن الحُوَيرث بن الحدثان، فشهدتم أنّ النبيّ قال: إنّا معاشرَ الأنبياء لا نُورِّث، ما تركناه صدقة، فإن كنتما شهدتما بحقٍّ فقد أجزتُ شهادتكما علىٰ أنفسكما، وإن كنتما شهدتما بباطلٍ فعلىٰ مَن شَهِد بالباطل لعنةُ الله والملائكةِ والناس أجمعين! فقالتا له: يا نعثل! واللهِ لقد شبّهك رسولُ الله بنعثل اليهوديّ، فقال لهما: ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ﴾[٢] فخرجتا من عنده[٣].

«وَذَكَّرْتَهُمْ فَمَا ادَّكَرُوا، وَوَعَظْتَهُمْ فَمَا اتَّعَظُوا، وَخَوَّفْتَهُمُ اللّٰهَ فَمَا تَخَوَّفُوا، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جاهَدْتَ فِي اللّٰهِ حَقَّ جِهادِهِ»:

أي جاهدت بنفسك ولسانك، أنت مِن الذين قال سبحانه فيهم: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَـٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَّهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[٤].

---

١. الشورىٰ: ٢٣.
٢. التحريم: ١٠.
٣. الإيضاح: ١٤٠ ـ طبع بيروت.
٤. الأنفال: ٧٤.

الفصل الثالث والعشرون:

فَلَمَّا آلَ الْأَمْرُ إِلَيْك أَجْرَيْتَهُمْ عَلَىٰ مَا أَجْرَيَا رَغْبَةً عَنْهُما بِمَا عِنْدَ اللّٰهِ لَكَ، فَأَشْبَهَتْ مِحْنَتُكَ بِهِما مِحَنَ الْأَنْبِياءِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ عِنْدَ الْوَحْدَةِ وَعَدَمِ الْأَنْصارِ، وَأَشْبَهْتَ فِي الْبَياتِ عَلَى الْفِراشِ الذَّبِيحَ عَلَيْهِ السَّلامُ إِذْ أَجَبْتَ كَما أَجابَ، وَأَطَعْتَ كَما أَطاعَ إِسْمَاعِيلُ صابِراً مُحْتَسِباً إِذْ قالَ لَهُ أبوه: ﴿يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرىٰ فِي الْمَنامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرىٰ قالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللّٰهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾[1]، وَكَذَلِكَ أَنْتَ لَمَّا أَباتَكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَمَرَكَ أَنْ تَضْجَعَ فِي مَرْقَدِهِ واقِياً لَهُ بِنَفْسِكَ أَسْرَعْتَ إِلَىٰ إِجابَتِهِ مُطِيعاً، وَلِنَفْسِكَ عَلَى الْقَتْلِ مُوَطِّناً، فَشَكَرَ اللّٰهُ تَعالىٰ طَاعَتَكَ، وَأَبَانَ عَنْ جَمِيلِ فِعْلِكَ بِقَوْلِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللّٰهِ﴾[2].

المعنىٰ:

فلمّا آل أمر الخلافة إليك أجريتَ الناسَ علىٰ ما أجرى الأوّل والثاني، وأردت ما أعدّ الله لك في الآخرة، وكم أشبهَتْ مِحنتُك بهما محنَ الأنبياء

---

١. الصافات: ١٠٢.

٢. البقرة: ٢٠٧.

عليهم السلام عند الوحدة وعدم الأنصار والمُعين، وقد عرض نوحٌ عليه السلام حاله على الله فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾[١]، وأشبهتَ في التسليم ليلةَ المبيت على الفراش إسماعيلَ الذبيح عليه السلام إذْ أجبتَ رسول الله صلّى الله عليه وآله كما أجاب الذبيح، وأطعتَ النبيَّ كما أطاع إسماعيل صابراً محتسباً، إذ قال إبراهيم عليه السلام له: ﴿يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾.

وكذلك أنت يا سيّدي لمّا أباتك النبيُّ صلّى الله عليه وآله وأمرك أن تضجع في مرقده واقياً له بنفسك، أسرعتَ إلىٰ إجابةِ ما أمرك مطيعاً، ولنفسك على القتل موطّناً. مولاي فشكر اللهُ طاعتَك لرسول الله صلّى الله عليه وآله، وأبان الله جميل فعلك بقوله جلّ ذِكره: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ﴾.

الحديث:

قال العلّامة الحلّيّ: قال الثعلبيّ: روىٰ ابن عبّاس أنّها نزلت في عليّ عليه السلام لمّا هاجرَ النبيّ صلّى الله عليه وآله من المشركين إلى الغار، خلّفه لقضاء دَينه، وردِّ ودائعه، فبات على فراشه، وأحاط المشركون بالدار، فأوحى الله إلىٰ جبرئيل وميكائيل: «**إنّي قد آخيتُ بينكما، وجعلتُ عُمرَ أحدكما أطولَ مِن الآخر، فأيّكما يُؤْثر صاحبَه بالحياة؟!**» فاختار كلٌّ منهما الحياة، فأوحى الله إليهما: «**ألا كنتُما مِثلَ عليٍّ بن أبي طالب، آخيتُ بينَه وبين محمّد، فبات علىٰ فراشه يَفديه بنفسه ويُؤْثره بالحياة، إهبطا إلى الأرض فاحفَظاه من عدوّه**». فنزلا، فكان جبرئيل عند رأسه، وميكائيل عند رجلَيه، فقال جبرئيل: «**بخٍ بخٍ، مَن مِثلُك يا ابنَ أبي طالب، يُباهي اللهُ بك الملائكة!**»[٢]

---

١. القمر: ١٠.
٢. نهج الحقّ وكشف الصدق: ١٧٦.

ليلة المبيت:

روى المفسّرون في تفسير الآيات التالية أنّها نزلت في هجرة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى المدينة المنوّرة، ومبيتِ عليّ بن أبي طالب عليه السلام في فراشه.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[1].

قال القرطبيّ: نزلت [الآية] في عليٍّ رضي الله عنه حين تركه النبيُّ صلّى الله عليه [وآله] علىٰ فراشه ليلةَ خرج إلى الغار[2].

وقال الثعلبيّ: ورأيت في الكتب أنّ رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم لمّا أراد الهجرة خلّفَ عليَّ بن أبي طالب بمكّة لقضاء ديونه وردّ الودايع التي كانت عنده، فأمره ليلةَ خرجَ إلى الغار، وقد أحاط المشركون بالدار، أن ينامَ علىٰ فراشه صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، وقال له: **«إتّشحْ بِبُرْدي الحضرميّ الأخضر، ونَمْ علىٰ فراشي، فإنّه لا يخلص إليك منهم مكروه إن شاء الله»**. ففعل ذلك عليّ، فأوحى الله تعالىٰ إلىٰ جبرئيل وميكائيل: **«إنّي قد آخيتُ بينَكما، وجعلتُ عُمرَ أحدِكما أطولَ مِن عمر الآخر، فأيُّكما يُؤثر صاحبه بالبقاء والحياة؟»** فاختار كلاهما الحياة، فأوحى الله تعالى إليهما: **«أفلا كُنتُما مِثلَ عليّ بن أبي طالب** (عليه السلام)، **آخيتُ بينه وبين محمّدٍ** صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، **فبات علىٰ فراشه يفديه بنفسه ويُؤثره بالحياة، إهبطا إلى الأرض فاحفَظاه مِن عدوّه»**. فنزلا، فكان جبرئيل عند رأس عليّ، وميكائيل عند رجليه، وجبرئيل ينادي: **«بخٍ بخٍ مَن مِثلُك يا ابن أبي طالب!»** فباهى الله عزّ وجلّ به الملائكة، وأنزل علىٰ رسوله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم وهو متوجّه إلى المدينة في شأن عليّ (عليه السلام)[3] الآية المتقدمة.

---

١. البقرة: ٢٠٧.
٢. التفسير الجامع لأحكام القرآن ٢: ٢٢.
٣. تفسير الثعلبيّ (الكشف والبيان) ٢: ١٢٥.

وروى بسنده عن ابن عبّاس: نزلت في عليّ بن أبي طالب حين هاجر النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم من المشركين إلى الغار مع أبي بكر، ونام عليٌّ علىٰ فراش النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم[١].

وقال الآلوسيّ: قالت الإمامية وبعضٌ منّا أنّها نزلت في عليٍّ كرّم الله تعالىٰ وجهه حين استخلفه النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم علىٰ فراشه بمكّة لمّا خرج إلى الغار[٢].

وروى الحاكم الحسكانيّ ستّةَ أحاديث منها:

عن أبي سعيد الخُدْريّ قال: لمّا خرج النبيّ (صلّى الله عليه وآله) من مكّة يريد الغار، بات عليّ بن أبي طالب علىٰ فراش رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، فأوحى الله إلىٰ جبرئيل وميكائيل: **«إنّي قد آخيتُ بينكما، وجعلتُ عُمرَ أحدكما أطولَ مِن الآخر، فأيّكما يُؤْثر صاحبَه بالحياة؟!»** فكلاهما اختاراها وأحبّا الحياة، فأوحى الله إليهما: **«أفلا كنتُما مِثلَ عليٍّ بن أبي طالب، آخيتُ بينَه وبين نبيّي محمّد** صلّى الله عليه وآله وسلّم، **فبات علىٰ فراشه يقيه بنفسه، إهبطا إلى الأرض واحرساه من عدوّه»**. فكان جبرئيل عند رأسه، وميكائيل عند رجلَيه، وجبرئيل ينادي: **«بخٍ بخٍ، مَن مِثلُك يا ابنَ أبي طالب! الله عزّ وجلّ يُباهي بك الملائكة!»** فأنزل الله تعالىٰ: **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾**[٣].

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[٤].

---

١. تفسير الثعلبيّ (الكشف والبيان) ٢: ١٢٦.
٢. تفسير روح المعاني ٢: ٨٣.
٣. شواهد التنزيل ١: ٩٦ / ح١٣٣.
٤. الأنفال: ٣٠.

قال الثعلبيّ: وكان هذا المكر على ما ذكره ابن عبّاس وغيره، كان عليٌّ أوّل مَن أسلم من الناس، فلبس ثوبه ونام مكانه، فجعل المشركون يَرْمونه كما كانوا يرمون رسول الله وهم يَحسَبون أنّه نبيّ الله، فجاء أبوبكر وقال: يا نبيَّ الله، فقال عليّ: «إنّ نبيّ الله قد ذهب نحو بئر ميمون». وكان المشركون يرمون عليّاً وهو يتضوّر، حتّى أصبح فكشف عن رأسه، فقالوا: كنّا نرمي صاحبك ولا يتضوّر، وأنت تتضوّر، استنكرنا ذلك [منك][1].

﴿يسٓ * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ * لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ * إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلاَلاً فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ * وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ إِيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ﴾[2].

قال محمّد بن جرير الطبريّ... وخرج رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، فأخذ حفنةً من تراب وأخذ الله على أبصارهم عنه فلا يرونه، فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم وهو يتلو هذه الآيات من يس: ﴿يسٓ * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ... وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ إِيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ﴾، حتّىٰ فرغ رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم من هؤلاء الآيات، فلم يبقَ منهم رجلٌ إلّا وقد وضع علىٰ رأسه تراباً، ثمّ انصرف إلىٰ حيث أراد أن يذهب.

فأتاهم آتٍ ممّن لم يكن معهم، فقال: ما تنتظرون هاهنا؟ قالوا: محمّداً، قال: خيّبكمُ الله! قد واللهِ خرج عليكم محمّد، ثمّ ما ترك منكم رجلاً إلّا وقد وضع علىٰ رأسه تراباً، وانطلق لحاجته، أفما ترون ما بكم؟!

---

١. تفسير الثعلبي ٤: ٣٤٨. ونقول تعليقاً على قوله: [أوّل مَن أسلَمَ]: متىٰ أشرك عليّ عليه السلام حتّى يُسلِم؟!!

٢. يس: ١ ـ ٩.

قال: فوضع كلُّ رجل منهم يده علىٰ رأسه، فإذا عليه تراب! ثمّ جعلوا يطّلعون فيرون عليّاً على الفراش متسجياً ببُرد رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، فيقولون: واللهِ إنّ هذا لمحمّدٌ نائم عليه بُردُه. فلم يبرحوا كذلك حتّىٰ أصبحوا، فقام عليّ عن الفراش، فقالوا: واللهِ لقد صدقنا الذي كان حدّثنا! فكان ممّا نزل من القرآن في ذلك اليوم، وما كانوا أجمعوا له[١].

وروىٰ أحمد بسنده عن ابن عبّاس في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ﴾، قال: تشاورت قريش ليلةً بمكّة، فقال بعضهم: إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق، يريدون النبيَّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، وقال بعضهم: بل اقتلوه، وقال بعضهم: بل أخرِجُوه. فأطْلَعَ اللهُ عزّ وجلّ نبيَّه علىٰ ذلك، فبات عليٌّ علىٰ فراش النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم تلك اللّيلة، وخرج النبيّ حتّىٰ لَحِق بالغار، وبات المشركون يحرسون عليّاً يحسبونه النبيَّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، فلمّا أصبحوا ثاروا إليه، فلمّا رأوا عليّاً ردّ الله مكرَهم، فقالوا: أين صاحبُك هذا؟ قال: لا أدري. فاقتصّوا أثَرَه، فلمّا بلغوا الجبل خُلِّط عليهم، فصعدوا في الجبل فمرّوا بالغار فرأوا علىٰ بابه نسجَ العنكبوت، فقالوا: لو دخل هاهنا لم يكن نسج العنكبوت علىٰ بابه. فمكث فيه ثلاث ليال[٢].

وروى الحافظ ابن عساكر بسنده عن أبي رافع: أنّ عليّاً كان يجهّز النبيَّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم حين كان بالغار، ويأتيه بالطعام، واستأجر ثلاث رواحل: للنبيّ، ولأبي بكر، ودليلهم ابن أرقط، وخلّفه النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم فخرج إليه أهله، وأمره أن يؤدّيَ عنه أمانته ووصايا مَن كان

---

١. تاريخ الطبريّ ٢: ٣٧٣.
٢. مسند أحمد ١: ٣٤٨.

يوصي إليه، وما كان يُؤتمَن عليه من مال، فأدّىٰ أماناته كلّها، وأمره أن يضطجع علىٰ فراشه ليلة خرج، وقال: إنّ قريشاً لن يفقدوني ما رأوك. فاضطجع عليّ علىٰ فراشه، وكانت قريش تنظر إلىٰ فراش النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم فيرون عليه رجلاً يظنّونه النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، حتّى إذا أصبحوا رأوا عليه عليّاً، فقالوا: لو خرج محمّد لخرج بعليّ معه. فحبسهم الله عزّ وجلّ بذلك عن طلب النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم حين رأوا عليّاً، ولم يفقدوا النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، وأمر النبيّ عليّاً أن يلحقه بالمدينة، فخرج عليّ في طلبه بعد ما خرج إليه، فكان يمشي من اللّيل ويكمن بالنهار حتّىٰ قَدِم المدينة، فلمّا بلغ النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم قدومه قال: أُدعوا لي عليّاً، فقالوا: إنّه لا يَقْدر أن يمشي. فأتاه النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، فلمّا رآه النبيّ اعتنقه وبكىٰ رحمةً له ممّا رأى بقدمَيه من الورم، وكانتا تقطرانِ دماً، فتفل النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم في يديه، ثمّ مسح بهما رجلَيه ودعا له بالعافية، فلم يشتكِهما عليٌّ حتّى استُشهد[1].

وروى أبو نُعَيم الحافظ بإسناده عن عبدالله بن سعد عن أبيه عن ابن عبّاس رضي الله عنه قال: بات عليّ بن أبي طالب ليلةَ خرج النبيّ صلّى الله عليه [وآله] إلى الغار علىٰ فراشه، ونزلت: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتَغاءَ مَرْضَاةِ اللهِ﴾ الآية[2].

قال ابن أبي الحديد: ولقد كان عليٌّ يُجيع نفسه ويُطعم رسول الله صلّى الله عليه وآله ويُظمئ نفسه ويسقيه ماءَه، وهو المعلّل إذا مرض، والمؤنس له إذا استوحش... إلى أن قال: وأسرع إجابةً إلىٰ طاعته، فقال له: «إنّ قريشاً قد

---

١. ترجمة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام من تاريخ مدينة دمشق ١: ١٣٨ / ح١٨٩.
٢. غاية المرام: ٣٤٥.

تحالفت عليّ أن تُبيّتني هذه اللّيلة، فامضِ إلىٰ فراشي ونَمْ في مضجعي والتفَّ في بُردي الحضرميّ؛ ليرَوا أنّي لم أخرج، وإنّي خارجٌ إن شاء الله». فمنعه أوّلاً مِن الحرز وإعمال الحيلة، وصَدَّه عن الإستظهار لنفسه بنوع من أنواع المكايد والجهات التي يحتاط بها الناس لنفوسهم وألْجأه إلىٰ أن يعرض نفسه لظبات السيوف الشحيذة في أيدي أرباب الحَنَق والغيظة، فأجاب إلىٰ ذلك سامعاً مطيعاً طيّبةً بها النفس، ونام علىٰ فراشه صابراً محتسباً، واقياً له بمهجته ينتظر القتل، ولا نعلم فوق بذل النفس درجةً يلتمسها صابر ولا يبلغها طالب.

والجود بالنفس أقصىٰ غاية الجُود، ولولا أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله علم أنّه أهلٌ لذلك لَما أهّله، ولو كان عنده نقصٌ في صبره أو في شجاعته أو في مناصحته لابن عمّه واختير لذلك لكان مَن اختاره صلّى الله عليه وآله منقوصاً في رأيه، مضرّاً في إختياره، ولا يجوز أن يقوله أحدٌ من أهل الإسلام، وكلّهم مُجْمعون علىٰ أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وآله عَمِل الصواب وأحسن الإختيار...

قال علماء المسلمين: إنّ فضيلة عليّ عليه السلام تلك اللّيلة لا نعلم من البشر أحداً نال مِثْلَها، إلّا ما كان من ابن إبراهيم [عليهما السلام] عند استسلامه للذبح، ولولا أنّ الأنبياء لا يفضلهم غيرهم لقلنا محنة عليّ [عليه السلام] أعظم[1].

أقول: هذه رؤية العامّة، وأمّا نحن نرى وبأدلّة محكمة أنّ أميرالمؤمنين وموقفه أفضل من إسماعيل وموقفه بل وغير اسماعيل من الأنبياء عليهم السلام.

---

١. شرح نهج البلاغة ٣: ٢٧٢ ـ طبع مصر.

قال محمّد حسين هيكل :... إعتزم محمّد أن يسلك طريقاً غير مألوف، وأن يخرج إلىٰ سفره في موعد كذلك غير مألوف، وكان هؤلاء الشبّان الذين أعدّتهم قريش لقتله يحاصرون داره في اللّيل مخافةَ أن يفرّ، ففي ليلة الهجرة أسرّ محمّد إلىٰ عليّ بن أبي طالب أن يتسجّىٰ ببُردِه الحضرميّ الأخضر، وأن ينام في فراشه، وأمره أن يتخلّف بعده بمكّة حتّىٰ يؤدّيَ عنه ودائعَ كانت عنده للناس، وجعل هؤلاء الفتية من قريش ينظرون مِن فُرجةٍ إلىٰ مكان نوم النبيّ فيرَون في الفراش رجلاً، فاطمأنّت نفوسهم إلىٰ أنّه لم يفرّ...[١].

أقول: مبيت أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام على فراش النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ذكره مِن أعلام السنّة:

١ ـ ابن الأثير في أُسد الغابة ٤: ١٨.

٢ ـ الشبلنجيّ الشافعيّ في نور الأبصار: ١٩

٣ ـ ابن هشام في السيرة النبويّة ٢: ١٢٦.

٤ ـ الگنجيّ الشافعيّ في كفاية الطالب: ٢٤٠.

٥ ـ سبط ابن الجوزيّ في تذكرة الخواصّ: ٣٤.

٦ ـ محبّ الدين الطبريّ في الرياض النضرة في مناقب العشرة ٣: ٢٢٤.

٧ ـ القندوزيّ الحنفيّ في ينابيع المودة: ٩٢.

٨ ـ الحلبيّ في إنسان العيون (السيرة الحلبيّة) ٢: ٢٠٥.

٩ ـ ابن كثير في البداية والنهاية ٢: ٢٣٩.

١٠ ـ الخطيب البغداديّ في تاريخ بغداد ١٣: ١٩١.

١١ ـ الغزاليّ في إحياء علوم الدين ٣: ٢٥٢ في بيان الإيثار وفضله.

---

١. حياة محمّد صلّى الله عليه وآله: ١٧٥.

١٢ ـ ابن الصبّاغ المالكيّ في الفصول المهمّة: ٤٦.

١٣ ـ الخوارزميّ الحنفيّ في المناقب: ٧٤.

١٤ ـ أبو الفداء في المختصر في أخبار البشر ١: ١٢٦.

١٥ ـ ابن خلدون في مقدّمة ابن خلدون ٢: ١٤ (بقيّة الجزء الثاني).

١٦ ـ ابن الأثير في الكامل في التاريخ ٢: ١٠٣.

١٧ ـ السهيليّ في الروض الأنف ٤: ٢٠١.

١٨ ـ المسعوديّ في مروج الذهب ٢: ٢٨٥.

١٩ ـ ابن سعد في الطبقات الكبرىٰ ١: ٢١٣.

٢٠ ـ الطبريّ في تاريخ الطبري ٢: ٣٧٣.

٢١ ـ ابن عبدربّه في العقد الفريد ٥: ٩٩ باب احتجاج المأمون العباسي.

٢٢ ـ الجوينيّ الشافعيّ في فرائد السمطين ١: ٣٣٠ الباب الستون.

٢٣ ـ محمّدرضا في محمّد رسول الله: ١٢٥.

٢٤ ـ محمّدبن عبدالله في خلاصة سيرة رسول الله: ١١٥. (فارسيّ)

٢٥ ـ رفيع الدين إسحاق بن محمّد الهمداني في سيرة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ١: ٤٦٢ (فارسيّ).

هؤلاء بعض مَن روى من أعلامهم حديث مبيت أميرالمؤمنين عليه السلام.

الفصل الرابع والعشرون:

ثُمَّ مِحْنَتُكَ يَوْمَ صِفِّينَ وَقَدْ رُفِعَتِ الْمَصَاحِفُ حِيلَةً وَمَكْراً فَأَعْرَضَ الشَّكُّ، وَعُزِفَ الْحَقُّ، وَاتُّبِعَ الظَّنُّ، أَشْبَهَتْ مِحْنَةَ هَارُونَ إِذْ أَمَّرَهُ مُوسىٰ عَلَىٰ قَوْمِهِ فَتَفَرَّقُوا عَنْهُ، وَهارُونُ يُنادِي بِهِمْ وَيَقُولُ: ﴿ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَ إِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ۞ قالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنا مُوسىٰ ﴾[1] وَكَذٰلِكَ أَنْتَ لَمَّا رُفِعَتِ الْمَصاحِفُ قُلْتَ: يَا قَوْمِ إِنَّما فُتِنْتُمْ بِها وَخُدِعْتُمْ، فَعَصَوْكَ وَخالَفُوا عَلَيْكَ وَاسْتَدْعَوْا نَصْبَ الْحَكَمَيْنِ، فَأَبَيْتَ عَلَيْهِمْ وَتَبَرَّأْتَ إِلَىٰ اللّٰهِ مِنْ فِعْلِهِمْ وَفَوَّضْتَهُ إِلَيْهِمْ، فَلَمَّا أَسْفَرَ الْحَقُّ، وَسَفِهَ الْمُنْكَرُ، وَاعْتَرَفُوا بِالزَّلَلِ وَالْجَوْرِ عَنِ الْقَصْدِ اخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِهِ، وَأَلْزَمُوكَ عَلَىٰ سَفَهِ التَّحْكِيمِ الَّذِي أَبَيْتَهُ وَأَحَبُّوهُ وَحَظَرْتَهُ وَأَباحُوا ذَنْبَهُمُ الَّذِي اقْتَرَفُوهُ وَأَنْتَ عَلَىٰ نَهْجِ بَصِيرَةٍ وَهُدىً، وَهُمْ عَلَىٰ سُنَنِ ضَلالَةٍ وَعَمىً، فَمَا زالُوا عَلَى النِّفاقِ مُصِرِّينَ، وَفِي الْغَيِّ مُتَرَدِّدِينَ حَتَّىٰ أَذاقَهُمُ اللّٰهُ وَبالَ أَمْرِهِمْ، فَأَماتَ بِسَيْفِكَ مَنْ عانَدَكَ فَشَقِيَ وَهَوىٰ، وَأَحْيىٰ بِحُجَّتِكَ مَنْ سَعَدَ فَهُدِيَ.

---

١. طه: ٩٠ ـ ٩١.

اللّغة:

(عُزف): تُركَ، (أسفر): كشف، (سفه): خدع، (اقترف): بغىٰ، (الغيّ): ضدّ الرشاد.

المعنىٰ:

ويومَ صفّين ابتُليتَ بمحنة أُخرى وقد خدعوا الناس برفع المصاحف حيلةً ودهاءً، ومكرَ معاوية وأصحابه فعرض جندَك الشكّ وقلتَ: **«كلمةُ حقّ يُراد بها باطل»**. واتّبعوا ظنَّهم الباطل. سيّدي، لقد أشبهَتْ محنتُك محنةَ هارون بن عمران إذْ أمّره موسىٰ عليه السلام علىٰ قومه بني إسرائيل، فتفرّقوا عنه واتّخذوا العجل، وهارون ينادي بهم ويقول: ﴿**يَا قَوْمِ إِنَّما فُتِنْتُمْ بِهِ وَ إِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي * قالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنا مُوسىٰ**﴾ وكذلك أنت يا أميرالمؤمنين لمّا رُفِعت المصاحفُ قلتَ: يا قوم إنّما فُتِنتُم بِها وخُدِعتم، فعَصَوك وخالفُوك، وأرادوا نصبَ الحَكمَين، فأبيتَ لِعلمك بأنّهم غُدِروا، وتبرّأتَ إلى الله مِن قولهم وفعلهم ومن نصب الحكمين، فلمّا كُشف الحقّ بأنّهم خُدِعوا بالمنكر، وهو تحكيم الحكمين، واعترفوا بالزلل والجور عليهم عن القصد بتضييع الحقّ، إختلفوا من بعد التحكيم، وألزموك علىٰ الخدعة التي أبيتَها لمعاوية، وأنت يا مولاي علىٰ نهج بصيرةٍ وهُدىً، وهم علىٰ سُننِ ضلالةٍ وعمىً. فما زال الخوارج على الخلاف مصرّين، وفي الصواب والحقّ متردّدين، حتّىٰ أذاقهمُ الله في شكّهم إيّاك وبالَ أمرهم، فأمات الله بِسيفك مَن عاندك فشقيَ وهوىٰ، وأحيىٰ بحججك مَن سمع وسعد فهُدِي.

الخلاصة:

قصّة (صفّين) أقرحت الجفون لمّا خُدعوا برفع المصاحف، قال الإمام عليّ عليه السلام: **«اللّهمّ إنّك تعلم أنّهم ما الكتابَ يُريدون، فاحكمْ بيننا وبينهم إنّك أنت الحَكَمُ الحقّ المُبين»**[1].

فاختلف أصحاب عليٍّ في الرأي، فطائفةٌ قالت: القتال، وطائفة قالت: المحاكمة إلى الكتاب، ولا يحلّ لنا الحرب وقد دُعينا إلىٰ حُكم الكتاب، فعند ذلك وضعت الحربُ أوزارها وقام أميرالمؤمنين عليه السلام خطيباً فقال: **«إنّه لم يزل أمري معكم علىٰ ما أحبّ إلىٰ أن أخذت منكم الحرب، وقد واللهِ أخذتْ منكم وتركتْ، وأخذتْ من عدوّكم فلم تترك، وإنّها فيهم أنكىٰ وأنهَك، ألا أنّي كنتُ أمس أميرَالمؤمنين فأصبحتُ اليومَ مأموراً، وكنتُ ناهياً فأصبحت منهيّاً، وقد أحببتُم البقاء وليس لي أن أحملكم علىٰ ما تكرهون»**[2].

قال عبدالسلام محمّد هارون: مابين أعالي العراق وبلاد الشام تقع صفّين، تلك البلدة التي خلّدها التاريخ وخلّدت هي تاريخاً ظاهراً في حياة الأمّة العربيّة والخلافة الإسلاميّة، وألوان المذاهب الدينيّة والسياسيّة التي ولدتها حرب صفّين، ونشرت أطيافها في ربوع الدولة الإسلاميّة، تلك الحرب التي استنفدت من تاريخ الدم المهراق مائةَ يوم وعشرة أيّام، بلغت فيها الوقائعُ تسعين وقعةً فيما يذكر المؤرّخون.

كانت حرباً ضروساً أوشكت أن تُفنيَ المسلمين، وتذهب بمجدهم وتمحو آثارهم، فما كاد المسلمون ينزلون عن خيلهم بعد وقعة الجمل سنة ٣٦ من الهجرة، حتّى اعتلَوْها مرّةً أخرىٰ في حرب صفّين، لخمس مضين من شوّال من تلك السنة![3]

---

١. وقعة صفّين: ٤٧٨.
٢. وقعة صفّين ـ المقدّمة.
٣. وقعة صفين ـ المقدّمة.

معاوية وحرب العِصابات ضدّ الإمام عليه السلام:

توالت الغارات على مناطقَ عديدة من العراق فَقَدْ أغار عليه الضحّاك ابن قيس فأخذ الأموال، وقتل من الأعراب... وسُمع عليّ عليه السلام وقد خرج إلى الناس، وهو يقول على المنبر: «**يا أهل الكوفة... أخرجوا فقاتلوا عدوَّكمْ وامنعوا حريمَكم إن كنتم فاعلين**». فردّوا عليه ردّاً ضعيفاً، ورأىٰ منهم عجزاً وفشلاً[١].

«عين التمر» أغار عليها النعمان بن بشير، فأخذ الأموال وقتل النفوس، فبلغ عليّاً عليه السلام ذلك، فصعد المنبر فحمد الله و أثنىٰ عليه، ثمّ قال: «**يا أهل الكوفة، المِنسر من مناسِر أهل الشام إذا أظلّكم [أطلّ عليكم؛ خل] أغلقتم أبوابكم...**» فلم يخرجوا...[٢].

«الأنبار» أغار عليها سفيان بن عوف، فسفك الدماء، فأُخبر أميرالمؤمنين عليه السلام، فصعد المنبر فقال: «**أيّها الناس، انتدِبُوا إليهم حتّىٰ تُلاقوهم...**» ثمّ سكت عنهم رجاءَ أن يُجيبوه أو يتكلّموا أو يتكلّم متكلّمٌ منهم بخير، فلم يَنبس أحد منهم بكلمة[٣].

فلمّا رأى صمتهم علىٰ ما يهدّد أنفسهم، نزل فخرج يمشي راجلاً حتّىٰ أتى النُّخَيلة... فلبث عليّ عليه السلام تُرىٰ فيه الكآبة والحزن فقدم عليه سعيد بن قيس فكتب كتاباً، وكان في تلك الأيّام عليلاً، فلم يُطق القيام في الناس بكلّ ما أراد من القول، فجلس بباب السدّة التي تصل إلى المسجد ومعه الحسن والحسين وعبدالله بن جعفر بن أبي طالب...

---

١. الغارات ٢: ٤٢٢.
٢. الغارات ٢: ٤٤٥.
٣. الغارات ٢: ٥٠٤.

«مكّة المكرّمة» أغار عليها يزيدبن شجرة، وكان قثم بن العبّاس بن عبدالمطّلب عاملاً لعليٍّ عليه السلام في سنة تسع وثلاثين فقام خطيباً فحمد اللهَ وأثنىٰ عليه، ثمّ قال: **«أمّا بعد، فقد توجّه إليكم جندٌ من الشام عظيم قد أظلّكم، فإن كنتم علىٰ طاعتكم وبيعتكم فانهضوا إليهم حتّىٰ أُناجزهم، وإن كنتم غيرَ فاعلين فبيّنوا لي ما في أنفسكم، ولا تغرّوني، فإنّ الغرور حتفٌ يَضلّ معه الرأي، ويُصرع معه الرائي»**، فسكت القوم[1].

وروى الثقفي أيضاً: بإنّ معاويةبن أبي سفيان بعث بسرَبن أرطاة بعد تحكيم الحكمين، وعليّبن أبي طالب رضي الله عنه يومئذٍ حيّ، وبعث معه جيشاً، ووجّه الضحّاكبن قيس الفهريّ في جيشٍ آخر، وضمّ جيشاً آخر إلىٰ رجل من غامد، وأمرهم أن يسيروا في البلاد فيقتلوا كلَّ من وجدوه من شيعة عليّ بن أبي طالب عليه السلام وأصحابه، وأن يغيروا علىٰ سائر أعماله، ويقتلوا أصحابه، ولا يكفّوا أيديهم عن النساء والصبيان. فمرّ بُسر لذلك علىٰ وجهه حتّىٰ انتهىٰ إلى المدينة، فقتل بها أُناساًمن أصحاب عليّ عليه السلام وأهل هواه، وهدم بها دوراً، ومضىٰ إلى مكّة وقتل نفراًمِن آل المُهَلَّب، ثمّ إلى السَراة فقتل بهامَن وجد بهامن أصحاب عليّ، وأتىٰ نجران وقتل عبدَ اللهبن عبدالمدان الحارثيّ وابنه وكانامن أصحاب ابن العبّاس عامل عليّ عليه السلام، ثمّ أتى اليمن وعليها عبيدالله ابن العبّاس عامل عليّبن أبي طالب كرّم الله وجهه، وكان غائباً فلم يصادفه بسر، ووجد ابنَينِ له صبيَّين، فأخذهما بسر لعنه الله وذبحهما بيده بمدية كانت معه في حجر أمّهما، ثمّ انكفأ راجعاً إلىٰ معاوية. وفعل مثلَ ذلك سائرُمَن بعثه معاوية، فقصد الغامديّ الأنبار فقتل حسّانبن حسّان البكريّ، وقتل

---

١. الغارات ٢: ٤٤٣.

رجالاً كثيرين ونساءً من الشيعة.

ونقل أهل السِّير أنّ بسراً لمّا قتل عبدَالرحمان وقُثمَ ابني عبيدالله بن العبّاس الصبيَّين في اليمن في حجر أمّهما، جُنّت فاختبطت، وهامت علىٰ وجهها في البيداء تأتي الأحياء حيّاً حيّاً، لا يقرّ لها قرار وهي تنشد:

ها مَن أحسّ بابنيَّ اللّذَينِ هُما	كالدُّرّتَينِ تشظّىٰ عنهُما الصَّدَفُ
ها مَن أحسّ بابْنَيَّ اللّذَينِ هُما	سَمعي وقلبي فقلبي اليومَ مُختطَفُ
ها مَن أحسّ بابنيَّ اللّذينِ هُما	مُخُّ العظامِ فمُخّي اليومَ مزدهفُ
نُبِّئتُ بسراً وما صدّقتُ ما زعموا	مِن قتلهم ومن الإفك الذي اقترفوا
أنحى على وَدَجيْ إبنيَّ مُرهفةً	مشحوذةً، وكذاك الإثمُ يُقترَفُ
مَن دلّ والهةً حَرّىٰ مُسلّبةً	علىٰ صَبِيَّينِ ضَلّا إذ مضى السَّلَفُ[1]

وجمعٌ فارقوا عليّاً عليه السلام لمّا نزل بقلوب أصحابه عليه السلام من الفتنة والبلاء والركون إلى الدنيا بدأوا يغدِرون ويختانون مال الخراج، ويهربون إلىٰ معاوية!

وكان الإمام عليّ عليه السلام يُوليهم الولايات والأعمال، فيأخذون الأموال![2]، وهنا نشير إلى بعضهم:

(١) المنذربن الجارود: ولّاه أميرالمؤمنين عليه السلام فارس، فاحتاز مالاً من الخراج، وكان المال أربع مائة ألف درهم[3].

(٢) يزيدبن حجيّة: قد استعمله عليّ عليه السلام على الريّ وهمدان ودستبي، فكسر الخراج واحتجز المال لنفسه... فلحق بمعاوية... وقال

---

١. الغارات: ٥٢١.
٢. الغارات: ٥٢٢.
٣. المصدر.

الإمام عليّ عليه السلام: **«اللّهمّ إن يزيد بن حجيّة هرب بمال المسلمين، ولَحِق بالقوم الفاسقين الظالمين، فاكفِنا مكرَه وكيدَه واجْزِه جزاءَ الظالمين»**[١].

(٣) النجاشيّ الشاعر: شرب الخمر في أوّل يوم من رمضان، فحدّه أميرالمؤمنين عليه السلام، فغضب ولحق بمعاوية، وهجا عليّاً عليه السلام![٢]

(٤) أبو بُردة بن أبي موسى الأشعريّ: قال لزياد بن أبيه: أشهد أنّ حُجر بن عَدِيّ قد كفر بالله كفرةً صلعاء ـ يعني بذلك كفرةَ عليّ بن أبي طالب عليه السلام ـ. وقال لأبي العادية الفزاريّ قاتل عمّار بن ياسر: أنت قتلتَ عمّاراً؟ قال: نعم، قال: أُبسطْ يدك. فقبّلها ثمّ قال: لا تَمَسُّك النارُ أبداً![٣]

(٥) عمر بن ثابت: كان في أيّام معاوية يركب ويدور في القرىٰ بالشام، فإذا دخل قرية جمع أهلها ثمّ قال: أيُّها الناس، إنّ عليّ بن أبي طالب كان رجلاً منافقاً أراد أن ينخس برسول الله صلّى الله عليه وآله ليلةَ العقبة، فالْعَنوه! قال: فيلعنه أهل تلك القرية، ثمّ يسير إلى القرية الأخرىٰ فيأمرهم بمثل ذلك[٤].

(٦) مكحول: وكان مطبوعاً أي: مملوءاً بُغضاً لعليّ بن أبي طالب عليه السلام. قال عبدالرحمان بن أبي بكرة: سمعتُ عليّاً عليه السلام وهو يقول: **«ما لقيَ أحدٌ من الناس ما لقيتُ»**.. ثمّ بكىٰ![٥]

---

١. الغارات: ٥٣٣.
٢. المصدر نفسه.
٣. الغارات ٢: ٥٦٧.
٤. الغارات ٢: ٥٨١.
٥. المصدر.

الفصل الخامس والعشرون:

صَلَواتُ اللّٰهِ عَلَيْك غادِيَةً وَرائِحَةً وَعاكِفَةً وَذاهِبَةً، فَمَا يُحِيطُ الْمَادِحُ وَصْفَكَ، وَلاٰ يُحْبِطُ الطَّاعِنُ فَضْلَكَ، أَنْتَ أَحْسَنُ الْخَلْقِ عِبَادَةً، وَأَخْلَصُهُمْ زَهَادَةً، وَأَذَبُّهُمْ عَنِ الدِّينِ، أَقَمْتَ حُدُودَ اللّٰهِ بِجُهْدِكَ، وَفَلَلْتَ عَسَاكِرَ الْمَارِقِينَ بِسَيْفِكَ، تُخْمِدُ لَهَبَ الْحُرُوبِ بِبَنانِكَ، وَتَهْتِكُ سُتُورَ الشُّبَهِ بِبَيانِكَ، وَتَكْشِفُ لَبْسَ الْباطِلِ عَنْ صَرِيحِ الْحَقِّ لاٰ تَأْخُذُكَ فِي اللّٰهِ لَوْمَةُ لائِمٍ، وَفِي مَدْحِ اللّٰهِ تَعالىٰ لَكَ غِنىً عَنْ مَدْحِ الْمادِحِينَ وَتَقْرِيظِ الْواصِفِينَ، قالَ اللّٰهُ تَعالىٰ: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللّٰهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾[1]، وَلَمَّا رَأَيْتَ أَنْ قَتَلْتَ النَّاكِثِينَ وَالْقَاسِطِينَ وَالْمَارِقِينَ وَصَدَقَكَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّىٰ اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَعْدَهُ فَأَوْفَيْتَ بِعَهْدِهِ قُلْتَ: أَمَا آنَ أَنْ تُخْضَبَ هٰذِهِ مِنْ هٰذِهِ أَمْ مَتىٰ يُبْعَثُ أَشْقاها واثِقاً بِأَنَّكَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكَ، وَبَصِيرَةٍ مِنْ أَمْرِكَ، قادِمٌ عَلَىٰ اللّٰهِ، مُسْتَبْشِرٌ بِبَيْعِكَ الَّذِي بايَعْتَهُ بِهِ، وَذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ.

---

١. الأحزاب: ٢٣.

اللّغة:

(الغادية): أوّل النهار، (الرائحة): المساء، (عاكفة): باقية، (ذاهبة): ماضية، (لبسَ الباطل): ستره، إلتباسه.

المعنىٰ:

صلوات الله عليك صلاةً دائمة، المادح لا يمكنه مدحُك، وعَجَز عن وصفك الواصفون، ولا يُنكر عدوُّك الطاعن فضلَك، أنت يا سيّدي أحسن العباد عبادةً، وأخلصُهم زهداً وزهادةً، وكنتَ ناصراً ومدافعاً عن الإسلام، مولاي أقمتَ حدودَ الله بجهدك، وهزمتَ عساكر المارقين، وهم الخوارج، بسيفك، تخمد لهبَ الحروب [الجمل، وصفّين، والنهروان] ببَنانك، وترفع ستور الشُّبَه ببيانك الواضح، وتكشف لبس الباطل عن الذين خُدِعوا عن صريح الحق، وأنت مع الحقّ والحقُّ معك، لا تأخذُك في الله لومةُ لائم، وفي مدح الله تعالىٰ لك: ﴿ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً ﴾[1]، غنىً عن مدح المادحين، وتقريظِ الواصفين، قال الله تعالىٰ: ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾.

ولمّا رأيتَ بأن قتلتَ: الناكثين (أصحاب الجمل)، والقاسطين (أصحاب صفّين)، والمارقين (أصحاب النهروان)، وصدقك رسولُ الله صلّى الله عليه وآله وَعْدَه، فأوفيت بعهده..

قلتَ: أما آنَ أنْ تُخضَبَ هذه [لحيتك] مِن هذه [مِن دم رأسك]، أم متىٰ يُبعَث أشقاها مِن الأوّلين والآخرين ؟! سيّدي كنتَ واثقاً بأنّك علىٰ بيّنةٍ من ربّك، وبصيرةٍ من أمرِك، قادمٌ على الله مستبشراً بعهدك الذي عاهدت رسول الله صلّى الله عليه وآله به، وذلك هو الفوز العظيم.

---

١. النساء: ٩٥.

الحديث:

روى القندوزيّ الحنفيّ بسنده عن الإمام عليّ كرّم الله وجهه قال: **«كنتُ أمشي مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، فأتَينا حديقةً، فاعتنقني وأجهش باكياً، فقلتُ: ما يُبكيك يا رسول الله؟ فقال: أبكي لِضَغائِنَ في صدور قومٍ لا يُبدونها لك إلّا بعدي، فقلت: في سلامةٍ مِن دِيني؟ فقال: في سلامةٍ مِن دينك»**[١].

وروى أنّه قال عليّ كرّم الله وجهه: **«كلُّ حقدٍ حقَدَتْه قريشٌ علىٰ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أظهرَتْه فِيّ، وستُظهره في وُلْدي مِن بعدي، مالي ولقريش! إنّما وَتَرْتُهم بأمر اللهِ وأمرِ رسوله، أفهذا جزاء مَن أطاع اللهَ ورسولَه إن كانوا مسلمين!»**[٢]

وروى الحمّوينيّ بسنده: قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: **«يا عليّ، أتدري مَن أشقى الأوّلين؟»** قال عليّ: قلت: **«اللهُ ورسولُه أعلم»**، قال: **«عاقر الناقة»** ثمّ قال: **«أتدري مَن أشقى الآخِرين؟»** قال: **«اللهُ ورسوله أعلم»**، قال: **«قاتلُك!»**[٣]

---

١. ينابيع المودّة: ١٣٤ ـ الباب الخامس والأربعون.
٢. ينابيع المودّة: ١٣٥ ـ الباب الخامس والأربعون.
٣. فرائد السمطين ١: ٣٨٥ / ح٣١٧.

الفصل السادس والعشرون:

اللّٰهُمَّ الْعَنْ قَتَلَةَ أَنْبِيائِكَ وَأَوْصِياءِ أَنْبِيائِكَ بِجَمِيعِ لَعَناتِكَ، وَأَصْلِهِمْ حَرَّ نارِكَ، وَالْعَنْ مَنْ غَصَبَ وَلِيَّكَ حَقَّهُ، وَأَنْكَرَ عَهْدَهُ، وَجَحَدَهُ بَعْدَ الْيَقِينِ وَالْإِقْرارِ بِالْوِلايَةِ لَهُ يَوْمَ أَكْمَلْتَ لَهُ الدِّينَ. اللّٰهُمَّ الْعَنْ قَتَلَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ ظَلَمَهُ وَأَشْياعَهُمْ وَأَنْصارَهُمْ. اللّٰهُمَّ الْعَنْ ظالِمِي الْحُسَيْنِ وَقاتِلِيهِ، وَالْمُتابِعِينَ عَدُوَّهُ وَناصِرِيهِ، وَالرَّاضِينَ بِقَتْلِهِ وَخاذِلِيهِ لَعْناً وَبِيلاً. اللّٰهُمَّ الْعَنْ أَوَّلَ ظالِمٍ ظَلَمَ آلَ مُحَمَّدٍ وَمانِعِيهِمْ حُقُوقَهُمْ. اللّٰهُمَّ خُصَّ أَوَّلَ ظالِمٍ وَغاصِبٍ لِآلِ مُحَمَّدٍ بِاللَّعْنِ وَكُلَّ مُسْتَنٍّ بِما سَنَّ إِلىٰ يَوْمِ الْقِيامَةِ. اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ خاتَمِ النَّبِيِّينَ، وَعَلىٰ عَلِيٍّ سَيِّدِ الْوَصِيِّينَ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ، وَاجْعَلْنا بِهِمْ مُتَمَسِّكِينَ، وَبِوِلايَتِهِمْ مِنَ الْفائِزِينَ الْآمِنِينَ الَّذِينَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ.

الشرح:

اللّهمّ العنْ قَتَلةَ أنبيائك و أوصياءِ أنبيائك، بجميع لعناتك، وهم ﴿أُولٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ وَمَن يَلْعَنِ اللهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيراً﴾[1] و أَصْلِهم حرَّ نارك، ﴿وَمَن

١. النساء: ٥٢.

يَفْعَلْ ذٰلِكَ عُدْوَاناً وَظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَاراً وَكَانَ ذٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيراً ﴾[1].

والعنْ مَن غصب وليَّك حقَّه، و أنكر عهدَه، وكفر بعد اليقينِ بأنّه وصيُّ رسول الله صلّى الله عليه وآله، والإقرار بالولاية له يومَ أكملتَ له الدين [الغدير]. اللّهمّ العنْ قتلةَ أميرالمؤمنين ،ومَن ظلَمَه و أشياعَهم و أنصارهم من الأوّلين إلى يوم الدين.

اللّهمّ العنْ ظالمي الحسينبن عليّ عليهما السلام، وقاتليهِ والتابعين عدوَّه وقاتلي أصحابه، والراضين بقتله وخاذليه، لعناً وبيلاً.

اللّهمّ العَنْ أوّل ظالمٍ ظَلَمَ آل محمّد، والعَن مانعي حقوقهم، اللّهمّ خُصَّ أوّلَ ظالمٍ وغاصبٍ لآل محمّد باللّعن، وكلّ مُستنٍّ بما سنّ إلىٰ يوم القيامة.

اللّهمّ صلّ علىٰ محمّدٍ وآل محمّدٍ خاتَمِ النبيين، وعلىٰ عليٍّ سيّد الوصيّين، و آله الطاهرين، واجعَلْنا بهم متمسّكين، وبولايتِهم من الفائزين الآمنين، الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون.

الخاتمة:

روى المتّقي الهنديّ في «كنز العمّال» عن يحيىبن عبداللهبن الحسن، عن أبيه قال: كان عليٌّ يخطب، فقام إليه رجلٌ فقال: يا أميرالمؤمنين، أخبرْني مَن أهلُ الجماعة ومَن أهل الفُرقة، ومَن أهل السنّة ومَن أهل البدعة؟

فقال: **«ويحك، أمّا إذا سألتني فافهمْ عنّي، ولا عليك أن لا تسأل عنها أحداً بعدي، فأمّا أهلُ الجماعة فأنا ومَن اتّبعني وإن قلّوا، وذلك الحقّ عن أمر الله وأمر**

---

١. النساء: ٣٠.

رسوله، وأمّا أهل الفُرقة فالمخالفون لي ولمن اتّبعني وإن كثروا، وأمّا أهل السنة فالمتمسّكون بما سنّه الله لهم ورسوله وإن قلّوا، وأمّا أهل البدعة فالمخالفون لأمر الله ولكتابه ورسوله، العاملون برأيهم وأهوائهم وإن كثروا، وقد مضى منهم الفوج الأوّل وبقيت أفواج، وعلى الله قصمُها واستئصالها عن جَديَة الأرض».

فقام إليه عمّار فقال: يا أميرالمؤمنين، إنّ الناس يذكرون الفيء ويزعمون أنّ مَن قاتلنا فهو ومالُه وأهلُه فيءٌ لنا ووُلدُه.

فقام رجلٌ من بكربن وائل يُدعىٰ عبّادبن قيس، وكان ذا عارضةٍ ولسانٍ شديد، فقال: يا أميرالمؤمنين، واللهِ ما قسمتَ بالسويّة، ولا عدلتَ في الرعيّة.

فقال عليّ: «ولِمَ وَيْحك ؟!»

قال: لأنّك قسمتَ ما في العسكر وتركتَ الأموال والنساء والذرّيّة.

فقال عليّ: «يا أيُّها الناس، مَن كان به جراحةٌ فَلْيُداوها بالسمن».

فقال عبّاد: جئنا نطلب غنائمنا، فجاءَنا بالتّرهات!

فقال له عليّ: «إنْ كنتَ كاذباً فلا أماتك الله حتّىٰ تُدرك غلامَ ثقيف».

فقال رجلٌ من القوم: «ومَن غلام ثقيف يا أميرالمؤمنين ؟»

فقال: «رجلٌ لا يَدَع للهِ حُرمةً إلّا إنتهكها».

قال: فيموت أو يُقتل ؟

قال: «بلىٰ يقصمه قاصم الجبّارين، قتلُه بموتٍ فاحشٍ يحترق منه دُبُرُهُ لكثرة ما يجري من بطنه. يا أخا بكر أنت امرؤٌ ضعيف الرأي، أما علمتَ أنّا لا نأخذ الصغير بذنب الكبير، وأنّ الأموال كانت لهم قبل الفُرقة وتزوّجوا علىٰ رشدةٍ وولدوا على الفطرة، وإنّما لكم ما حوىٰ عسكرهم، وما كان في دُورهم فهو ميراثٌ لذرّيّتهم، فإنْ عدا علينا أحدٌ منهم أخذناه بذنبه، وإن كفّ عنّا لم نحمل

عليه ذنبَ غيره. يا أخا بكر! لقد حكمتُ فيهم بحكم رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم في أهل مكّة، قسّم ما حوى العسكر ولم يعرض لما سوىٰ ذلك، وإنّما اتبعتُ أثرَه حذوَ النعل بالنعل. يا أخا بكر! أما علمت أنّ دار الحرب يحلّ ما فيها، وأنّ دار الهجرة يحرم ما فيها إلّا بحقٍّ، فمهلاً مهلاً رحمكم الله، فإن أنتم لم تصدّقوني وأكثرتُم عليّ ـ وذلك أنّه تكلّم في هذا غيرُ واحد ـ فأيُّكم يأخذ أمَّه عائشةَ بسهمه ؟!»

قالوا: أيّنا يا أميرالمؤمنين! بل أصبتَ وأخطأنا، وعلمتَ وجهلنا، ونحن نستغفر الله. وتنادى الناسُ مِن كلّ جانب: أصبتَ يا أميرالمؤمنين أصابَ اللهُ بك الرَّشاد والسَّداد. فقام عمّارٌ فقال: يا أيُّها الناس، إنّكم واللهِ إن اتبعتُموه وأطعتموه لم يضلَّ بكم عن منهاج نبيّكم قيدَ شعرة، وكيف يكون ذلك وقد استودعه رسولُ الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم المنايا والوصايا وفصل الخطاب، علىٰ منهاج هارون بن عمران إذ قال له رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: **«أنت منّي بمنزلة هارونَ مِن موسىٰ إلّا أنّه لا نبيَّ بَعدي»**، فضلاً خصّه اللهُ به وإكراماً منه لنبيّه صلّى الله عليه [وآله] وسلّم حيث أعطاه الله ما لم يُعطه أحداً مِن خَلْقه.

ثمّ قال عليٌّ (عليه السلام): **«إنظروا ـ رَحِمَكمُ الله ـ ما تُؤمَرون به فامضوا له، فإن العالِم أعلمُ بما يأتي من الجاهل الخسيس الأخسّ، فإنّي حاملُكم ـ إن شاء الله تعالى إن أطعتموني ـ علىٰ سبيل الجنّة وإن كان ذا مشقّةٍ شديدة، ومرارةٍ عتيدة، وإنّ الدنيا حلوةٌ، الحلاوة لمن اغترّ بها... والشِقوة والندامة عمّا قليل، ثمّ إنّي مُخبرُكم أنّ خيلاً مِن بني إسرائيل أمَرَهم نبيُّهم أن لا يشربوا من النهر، فلجّوا في ترك أمره، فشربوا منه إلّا قليلاً منهم، فكونوا ـ رحمكم الله ـ مِن أولئك الذين أطاعوا نبيّهم ولم يعصوا ربَّهم. وأمّا عائشة، فأدركَها رأيُ النساء وشيءٌ كان في**

نفسها علَيّ يغلي في جوفها كالمِرْجَل، ولو دُعِيتْ لتنالَ مِن غيري ما أتت إليّ لم تفعل، ولها بعد ذلك حُرمتُها الأولىٰ، والحسابُ على الله، يعفو عمّن يشاء ويعذّبُ من يشاء».

فرضي بذلك أصحابه وسلّموا لِأمره بعد اختلافٍ شديد، فقالوا: يا أميرالمؤمنين حكمتَ واللهِ فينا بحُكم الله، إنّا جَهِلنا ومع جهلنا لم نأتِ ما يكره أميرُالمؤمنين. وقال إبن يساف الأنصاريّ:

إنّ رأياً رأيتُموه سَفاهاً لَخطاءُ الإيرادِ والإصدارِ
ليس زوجُ النبيّ تُقسَمُ فيئاً ذاك زيغُ القلوبِ والأبصارِ
فاقبلوا اليومَ ما يقول عليٌّ لا تَناجوا بالإثم في الإسرارِ
ليس ما ضمّت البيوتُ بفيءٍ إنّما الفَيءُ ما تضمّ الأواري
من كراعٍ في عسكرٍ وسلاحٍ ومتاعٍ ببيع أيدي التِجارِ
ليس في الحقّ قسمُ ذاتِ نطاقٍ لا ولا أخذُكم لذاتِ خِمارِ
ذاك هُو فَيئكم خُذوه وقُولوا قد رَضِينا لا خيرَ في الإكثارِ
إنّها أمُّكم وإن عظمُ الخَطْبُ وجاءتْ بِزَلّةٍ وعِثارِ
فلها حُرمةُ النبيْ وحِقا قٌ علينا من سترها ووقارِ

فقام عبّادبن قيس وقال: يا أميرالمؤمنين، أخبرْنا عن الإيمان.

فقال: «نَعَم، إنّ الله إبتدأ الأمور فاصطفى لنفسه ما شاء واستخلص ما أحبّ، فكان ممّا أحبّ أنّه ارتضى الإسلام واشتقّه من اسمه، فنحله مَن أحبّ مِن خلقه، ثمّ شقّه فسهّل شرائعه لمن ورده، وعزّز أركانه علىٰ مَن حارَبه، هيهات مِن أن يصطلمَه مُصطَلِمٌ. جعله سِلماً لمَن دخله، ونوراً لِمن استضاء به، وبرهاناً لمن تمسّك به، وديناً لمن إنتحله، وشرفاً لمن عرفه، وحُجّةً لمن خاصم به، وعِلماً لمن رواه، وحكمةً لمن نطق به، وحبلاً وثيقاً لمن تعلّق به، ونجاةً لمن آمن به.

فالإيمان أصل الحقّ، والحقّ سبيل الهدىٰ، وسيفُه جامع الحلية، قديم العدّة، الدنيا مضماره، والغنيمة حُليته، فهو أبلج منهاج، وأنور سراج، وأرفع غاية، وأفضل دِعية، يُشير لِمَن سلك قصدَ الصادقين، واضح البيان، عظيم الشأن، الأمنُ منهاجه، والصالحات مناره، والفقه مصابيحه، والمحسنون فرسانه. فعَصم السعداءَ بالإيمان، وخذل الأشقياءَ بالعصيان، من بعد إتمام الحجّة عليهم بالبيان، إذ وضّح لهم منارَ الحقِّ وسبيلَ الهدىٰ.

فالإيمان يُستدَلّ به على الصالحات، وبالصالحات يعمر الفقه، وبالفقه يُرهب الموت، والموت يختم الدنيا، وبالدنيا تخرج الآخرة، وفي القيامة حسرة أهل النار، وفي ذكر أهل النار موعظةُ أهل التقوىٰ، والتقوىٰ غايةٌ لا يهلك من اتّبعها، ولا يندم من عمل بها؛ لأنّ بالتقوىٰ فاز الفائزون، وبالمعصية خسر الخاسرون. فليزدجرْ أهل النُّهىٰ، وليتذكّرْ أهل التقوىٰ؛ فإن الخلق لا محيصَ لهم في القيامة دون الوقوف بين يَدَي الله، مرفلين في مضمارها نحو القصبة العليا إلى الغاية القصوىٰ، مُهطِعين بأعناقهم نحو داعيها، قد شخصوا من مستقرّ الأجداث والمقابر إلى الصيرورةِ أبداً، لكلّ دارٍ أهلُها، قد انقطعت بالأشقياء الأسباب، وافضَوا إلىٰ عدلِ الجبّار، فلا كَرّةَ لهم إلى دار الدنيا، فتبرأوا من الذين آثروا طاعتهم على طاعة الله، وفاز السعداء بولاية الإيمان.

فالإيمان يا ابنَ قيسٍ علىٰ أربع دعائم: الصبر، واليقين، والعدل، والجهاد.

فالصبر من ذلك على أربع دعائم: الشوق، والشفق، والزهد، والترقّب.. فمَن اشتاق إلى الجنّة سلا عن الشهوات، ومَن أشفق من النار رجع عن المحرّمات، ومَن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات، ومن ارتقب الموت سارع في الخيرات.

واليقين مِن ذلك علىٰ أربع دعائم: تبصرة الفتنة فَمَن استبصَرَ الفتنة تأوّل

الحكمة، ومَن تأوّل الحكمة عَرَف العبرة، ومَن عرف العبرة عرف السنّة، ومن عرف السنّة فكأنّما كان في الأوّلين، فاهتدىٰ إلى التي هي أقوم.

والعدلُ من ذلك علىٰ أربع دعائم: غائصِ الفهم، وغمرة العلم، وزهرة الحُكم، وروضة الحلْم.. فمَن فَهِم فسّر جميع العلم، ومَن علم عرف شرائع الحُكْم، ومَن عرف شرائع الحكم لم يضلّ، ومَن حلم لم يفرط أمره وعاش في الناس حميداً.

والجهادُ من ذلك على أربع دعائم: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصدق في المواطن وشنآن الفاسقين.. فمَن أمر بالمعروف شدّ ظهر المؤمن، ومَن نهىٰ عن المنكر أرغم أنف المنافق، ومَن صدق في المواطن قضى الذي عليه، ومَن شنأ المنافقين وغضِبَ لله، غضِبَ الله له».

فقام إليه عمّار فقال: يا أميرالمؤمنين، أخبِرْناعن الكفر على ما بُني كما أخبرتناعن الإيمان.

قال: «نعم يا أبا اليقظان، بُنيَ الكفر علىٰ أربع دعائم: على الجفاء، والعمىٰ، والغفلة، والشكّ.. فمَن جفا فقد احتقر الحق وجهر بالباطل، ومَقتَ العلماء وأصرّ على الحِنث العظيم، ومَن عمِيَ نسيَ الذِّكْر واتّبع الظنّ، وطلب المغفرة بلا توبةٍ ولا استكانة، ومن غفل حادَ عن الرُّشد وغرّته الأمانيّ، وأخذته الحسرة والندامة، وبدا له مِن الله ما لم يكن يحتسب، ومَن عتا في أمر الله شكّ، ومن شكّ في الله فقد تعالىٰ عليه، فأذلّه بسلطانه وصغّره بجلاله كما فرّط في أمره فاغترّ بربّه الكريم، والله أوسعُ بما لديه من العفو والتيسير، فمن عمل بطاعة الله اجتلب بذلك ثوابَ الله، ومَن تمادىٰ في معصية الله ذاق وبال نقمة الله، فهنيئاً لك يا أبا اليقظان عُقبىً لا عُقبىٰ غيرُها، وجنّاتٌ لا جنّاتَ بعدها!»

فقام إليه رجلٌ فقال: يا أمير المؤمنين، حدِّثْناعن ميّت الأحياء.

فقال: «نعم، إنّ الله بعث النبيّين مُبشّرين ومُنذرين، فصدّقهم مصدِّقون،

وكذّبهم مكذّبون، فيقاتلون مَن كذّبهم بمَن صدّقهم، فيُظهرهم الله، ثمّ يموت الرسل، فتخلف خلوف، فمنهم منكرٌ للمنكر بيده ولسانه وقلبه، فذلك استكمل خصال الخير، ومنهم منكرٌ للمنكر بلسانه وقلبه تاركٌ له بيده، فذلك خصلتان من خصال الخير تمسّكَ بهما وضيّع خِصلةً واحدة وهي أشرفها، ومنهم مُنكِر للمنكر بقلبه تاركٌ له بيده ولسانه، فذلك ضيّع شرف الخصلتين من الثلاث وتمسّك بواحدة، ومنهم تارك له بلسانه وقلبه ويده، فذلك ميّتُ الأحياء».

فقام إليه رجل فقال: يا أميرالمؤمنين، أخبِرْنا علىٰ ما قاتلتَ طلحةَ والزبير ؟

قال: «قاتلتُهم علىٰ نقضهم بيعتي، وقتلِهم شيعتي من المؤمنين حكيمَ بن جبلة العبديّ من عبد القيس، وغيرهم بلا حقٍّ استوجبوه منهم ولا كان ذلك لهما دون الإمام، ولو أنّهما فعلا ذلك بأبي بكرٍ وعمر لَقاتلاهما، ولقد علم مَن هٰهنا من أصحاب محمّد صلّى الله عليه [وآله] وسلّم أنّ أبا بكر وعمر لم يرضيا ممّن امتنع مِن بيعة أبي بكر حتّىٰ بايع وهو كاره، ولم يكونوا بايعوه بعدُ الأنصار، فما بالي وقد بايعاني طائِعَيْن غيرَ مُكرَهَيْن، ولكنّهما طَمِعا منّي في ولاية البصرة واليمن، فلمّا لم أُولِّهما وجاءهما الذي غلب من حبّهما للدنيا وحرصهما عليها، خِفتُ أن يتّخذا عبادَ الله خولا، ومالَ المسلمين لأنفسهما، فلذا زويتُ ذلك عنهما، وذلك بعد أن جرّبتُهما واحتججتُ عليهما».

فقام إليه رجلٌ فقال: يا أميرالمؤمنين، أخبِرْنا عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أواجبٌ هو ؟

قال: «سمعت رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم يقول: إنّما أهلك الله الأممَ السالفة قَبلَكم بتركِهمُ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يقول الله عزّ

وجلّ: ﴿كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾[1]، وإنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لَخُلُقانِ مِن خُلق الله عزّ وجلّ، فمَن نصرهما نصره الله، ومَن خذلهما خذله الله، وما أعمالُ البِـرّ والجـهاد فـي سـبيله عـند الأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر إلّا كنفثةٍ في بحرٍ لجّيّ، فمُروا بالمعروف وانْهَوا عن المنكر؛ فإنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يُقرّبان مِن أجلٍ ولا يُنقصان مِن رزق، وأفضل الجهاد كلمةُ عدلٍ عند إمام جائر، وإنّ الأمر لَينزل من السماء إلى الأرض كما ينزل قطر المطر إلىٰ كلّ نفسٍ بما قدّر الله لها مِن زيادةٍ أو نقصان في نفسٍ أو أهلٍ أو مالٍ، فإذا أصاب أحدَكم نقصانٌ في شيءٍ من ذلك ورأى الآخر ذا يسارٍ لا يكون له فتنة، فإنّ المرء المسلم البريء من الخيانة لَينتظرُ من الله إحدى الحُسنَيين: إمّا مِن عند الله فهو خيرٌ واقع، وإمّا رزق من الله يأتيه عاجل، فإذا هو ذو أهلٍ ومال ومعه حسَبُه ودينه، المالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْـيَا، وَالْـبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ حرث الدنيا، والعمل الصالح حرث الآخرة، وقد يجمعهما الله لأقوام».

فقام إليه رجلٌ فقال: يا أميرالمؤمنين، أخبرنا عن أحاديث البدع.

قال: «نعم، سمعتُ رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم يقول: إنّ أحاديثَ ستظهر مِن بعدي حتّىٰ يقول قائلهم: قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم وسمعت رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، كلُّ ذلك افـتراء عـلَيّ، والذي بعثني بالحقّ، لَتفترقَنّ أُمّتي علىٰ أصل دينها وجماعتها علىٰ اثنتينِ وسبعين فِرقة، كلُّها ضالّة مُضلّة تدعو إلى النار! فإذا كان ذلك فعليكم بكتاب الله عزّ وجلّ؛ فإنّ فيه نبأَ ما كان قَبلَكم ونبأ ما يأتي بعدَكم، والحُكم فيه بيّن، مَن خالفه من الجبابرة قصمه الله، ومن ابتغى العلم في غيره أضلّه الله، فـهو حـبلُ الله المـتين، ونـورُه المُبين، وشفاؤه النافع، عصمةٌ لمن تمسّك به، ونجاةٌ لمن تَبِعه، لا يموج فيُقام،

---

١. المائدة: ٧٩.

ولا يزيغُ فيتشعّب، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلقه كثرة الردّ، هـو الذي سَـمِعَتْه الجنّ فلم تنكره وولّوا إلىٰ قومهم مُنذِرين، قالوا: يا قومَنا، ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾[1] مَن قال به صدق، ومَن عَمِل به أُجر، ومَن تمسّك به هُدي إلىٰ صراطٍ مستقيم».

فقام إليه رجلٌ فقال: يا أميرالمؤمنين، أخبِرْنا عن الفتنة، هل سألتَ عنها رسول الله؟

قال: «نعم، إنّه لمّا نزلت هذه الآية مِن قول الله عزّ وجلّ: ﴿أَلَم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُون﴾[2]، علمتُ أنّ الفتنة لا تنزل بنا ورسولُ الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم حيٌّ بين أظهُرنا فقلت: يا رسول الله، ما هذه الفتنة التي أخبرك الله بها؟ فقال: يا عليّ، إنّ أمّتي سيُفتَنون من بعدي، قلت: يا رسول الله، أوَليس قد قلتَ لي يوم أحُد حيث استُشهد مَن استُشهد من المسلمين وحزنتُ على ما فاتني من الشهادة فشقّ ذلك علَيّ، فقلتَ لي: أبشِرْ يا صدِّيق؛ فإنّ الشهادة من ورائك؟! وإنَّ ذلك لكذلك، فكيف صبرُك إذا خُضِّبَتْ هذه مِن هذا؟! وأهوىٰ بيده إلىٰ لحيتي ورأسي، فقلت: بأبي وأمّي يا رسول الله، ليس ذلك من مواطن الصبر، ولكنْ مِن مواطن البشرىٰ والشكر، فقال لي: أجَل، ثمّ قال لي: يا عليّ، إنّك باقٍ بعدي، ومُبتلىً بأمّتي، ومخاصمٌ يومَ القيامة بينَ يدَيِ الله تعالىٰ، فأعددْ جوابا، فقلت: بأبي أنت وأمّي، بيّنْ لي ما هذه الفتنة التي يُبتَلون بها، وعلىٰ مـا أجاهدهم بعدَك، فقال: إنّك ستقاتِلُ بعدي الناكثة، والقاسطة، والمارقة وسمّاهم رجلاً رجلاً، ثمّ قال لي: وتجاهد من أمّتي كلَّ مَن خالف القرآن ممّن يعمل فـي الدين بالرأي، ولا رأيَ في الدين، إنّما هو أمرٌ من الربّ ونهيُه، فقلت: يا رسول

---

١. الجنّ: ١ ـ ٢.
٢. العنكبوت: ١ ـ ٢.

الله، فأرشِدْني إلى الفلج عند الخصومة يوم القيامة، فقال: نعم، إذا كان ذلك فاقتصر على الهدىٰ، إذا قومُك عطفوا الهدىٰ على العمىٰ، وعطفوا القرآنَ على الرأي فتأوّلوه برأيهم، تُتَّبَعُ الحُججُ من القرآن بمشتبهات الأشياء الكاذبة عند الطمأنينة إلى الدنيا والتهالك والتكاثر. فاعطفْ أنت الرأيَ على القرآن، وإذا قومُك حرّفوا الكلم عن مواضعه عند الأهواء الساهية، والهَرَج الآثم، واتّبعوا القادة الناكثة، والفِرقة القاسطة، والأخرى المارقة، أهل الإفك المُردي والهوى المُطغي، والشبهة الحالقة، فلا تَكِلَّنَّ عن فضل العاقبة، فإنّ العاقبة للمتّقين، وإيّاك يا عليُّ أن يكون خصمُك أَولىٰ بالعدل والإحسان والتواضع للّه والإقتداء بسُنّتي والعمل بالقرآن منك، فإنّ من فَلَج الربّ على العبد يوم القيامة أن يخالف فرض الله أو سُنّةً سنّها نبيّ، أو يعدل عن الحقّ ويعمل بالباطل، فعند ذلك يُملىٰ لهم فيزدادوا إثماً، يقول الله: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً﴾، فلا يكونَنّ الشاهدون بالحقّ والقوّامون بالقسط عندك كغيرهم. يا عليّ، إنّ القوم سيُفتنون، ويَفتخرون بأحسابهم وأموالهم، ويزكّون أنفسهم، ويمنّون دينَهم علىٰ ربّهم، ويتمنّون رحمته ويأمنون عقابه، ويستحلّون حرامه بالمشتبِهات، فيستحلّون الخمر بالنبيذ، والسُّحتَ بالهديّة، والربا بالبيع، ويمنعون الزكاة ويطلبون البرّ، ويتّخذون فيما بين ذلك أشياء من الفسق لا تُوصَف صفتها، ويَلي أمرَهم السفهاء، ويكثر تتبّعهم على الجور والخطاء، فيصير الحقّ عندهم باطلاً والباطلُ حقّاً، ويتعاونون عليه ويرمونه بألسنتهم، ويعيبون العلماء ويتخذونهم سُخريّاً. قلت: يا رسول الله، فبأيّة المنازل هم إذا فعلوا ذلك، بمنزلة فتنةٍ أو بمنزلة رِدّة؟ قال: بمنزلة فتنة، يُنقذهم الله بنا أهلَ البيت عند ظهورنا، إلّا أن يَدَعوا الصلاة، ويستحلّوا الحرام في حَرم الله، فمَن فعل ذلك منهم فهو كافرٌ. يا عليّ، بنا فتَحَ اللهُ الاسلام وبنا يختمه، بنا أهلَكَ الأوثان ومَن يعبُدُها، وبنا يقصم كلَّ جبّارٍ وكلَّ منافق، حتّىٰ إنّا لَنَقْتُلُ في الحق مِثلَ مَن قُتِل

في الباطل. يا عليّ، إنّما مَثَلُ هذه الأُمّة مَثلُ حديقةٍ أطعم منها فوجاً عاماً ثمّ فوجاً عاماً، فلعلّ آخرَها فوجاً أن يكون أثبَتها أصلاً وأحسنها فرعاً، وأحلاها جنىً، وأكثرها خيراً، وأوسعها عدلاً، وأطولها مُلكاً. يا عليّ، كيف يُهلك الله أُمّةً أنا أوّلها، ومهديّنا أوسطها، والمسيحُ ابن مريم آخرُها. يا عليّ، إنّما مَثَل هذه الأمّة كمثل الغيث، لا يُدرىٰ أوّلُه خيرٌ أم آخره، وبين ذلك نهجٌ أعوج لستُ منه وليس منّي. يا عليّ، وفي تلك الأُمّة يكون الغُلول والخيلاء، وأنواع المَثُلات، ثمّ تعود هذه الأمّة إلىٰ ما كان خيار أوائلها، فذلك من بعد حاجة الرجل إلىٰ قُوت امرأته ـ يعني غزلها ـ حتّىٰ إنّ أهل البيت ليذبحون الشاة فيقنعون منها برأسها، ويُدلون ببقيّتها مِن الرأفة والرحمة بينهم»[١].

---

١. كنز العمّال ١٦: ١٨٣ / ح٤٤٢١٦ (طبعة حلب).

ثبت المصادر

القرآن الكريم

الف

الإحتجاج، الشيخ الطبرسي، المكتبة المرتضويّة ـ النجف الأشرف.

إحياء علوم الدين، الغزاليّ، مطبعة مصطفى البابيّ الحلبيّ ـ القاهرة.

الإكتفاء بما روي في أصحاب الكساء، ابن عساكر، مطبعة شيكاغو ـ امريكا.

الإمامة في أهمّ الكتب الكلاميّة، السيّد عليّ الميلانيّ، مطبعة مهر ـ قم المقدّسة.

إنسان العيون (السيرة الحلبيّة)، الحلبيّ، مصطفى البابي الحلبيّ ـ القاهرة.

الإيضاح، الفضل بن شاذان القمّيّ، مطبعة جامعة طهران ـ طهران.

أحاديث أمّ المؤمنين عائشة، السيّد مرتضى العسكريّ، المطبعة الحيدريّة ـ طهران.

أسباب النزول، الواحديّ، دار الإتحاد للطباعة ـ القاهرة.

أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن عبد البرّ، المكتبة الإسلاميّة ـ طهران.

أسرار الإمامة، عماد الدين الطبريّ، مؤسسة الطباعة الرضويّة ـ مشهد المقدّسة.

أسماء الرسول، محمدرضا، مكتبة الباز ـ مكة المكرمة.

الأصنام،ابن الكلبيّ، دار إحياء الآداب العربيّة ـ القاهرة.

أصول العقيدة في النبوّة، السيّد مهديّ الصدر، مكتبة المتنبّي ـ بغداد.

أصول الكافي، الشيخ الكلينيّ، المطبعة الحيدريّة ـ طهران.

أعلام الدين في صفات المؤمنين، الديلميّ، مؤسسة آل البيت ـ قم المقدّسة.

الأمالي، الشيخ الصدوق، المطبعة الإسلاميّة ـ طهران.

الأمالي، الشيخ المفيد، مؤسسة النشر الإسلاميّ ـ قم المقدّسة.

الأنوار القدسيّة، الشيخ محمّد حسين الإصفهانيّ، مؤسسة المعارف الإسلاميّة ـ قم المقدّسة.

الأوائل،ابن عاصم، المكتبة العلمية ـ القاهرة.

الأوائل، الطبراني، دار الكتاب العربي ـ بيروت.

أوائل المقالات، الشيخ المفيد، مكتبة سروش ـ تبريز.

ب

بحارالأنوار، العلّامة المجلسيّ، المطبعة الإسلاميّة ـ طهران.

البداية والنهاية،ابن كثير، دار الفكر ـ بيروت.

ت

التاج الجامع للأصول، منصور علي ناصف، دار إحياء الكتب العربيّة ـ القاهرة.

تاريخ الخلفاء الراشدين،ابن قتيبة الدينوريّ، مطبعة مصطفى محمّد ـ مصر.

تاريخ الطبري (الأمم والملوك)، الطبريّ، دار المعارف ـ القاهرة.
تاريخ القرآن، ابو عبدالله الزنجانيّ، مطبعة الصدر ـ طهران.
تاريخ اليعقوبيّ، اليعقوبيّ، المطبعة الحيدريّة ـ النجف الأشرف.
تاريخ بغداد، الخطيب البغداديّ، دار الكتاب العربيّ ـ بيروت.
تاريخ مدينة دمشق، الحافظ ابن عساكر، دار الفكر ـ دمشق.
تحفة الزائر، العلّامة المجلسيّ، المطبعة العلميّة ـ طهران.
تذكرة الخواص، سبط ابن الجوزيّ، المطبعة الحيدريّة ـ النجف الأشرف.
تصحيح الإعتقاد، الشيخ المفيد، مطبعة رضائي ـ تبريز.
تفسير البرهان، السيّد هاشم البحرانيّ، مطبعة آفتاب ـ طهران.
تفسير البيضاويّ، البيضاويّ، مؤسسة الأعلميّ ـ بيروت.
تفسير الثعلبيّ، الثعلبيّ، دار إحياء التراث العربيّة ـ بيروت.
تفسير الجلالين، جلال الدين السيوطيّ، المطبعة المنيريّة ـ القاهرة.
التفسير الحديث، محمّد عزّت دروزة، دار إحياء الكتب العربيّة ـ القاهرة.
تفسير الخازن، علاء الدين البغداديّ، دار المعرفة ـ بيروت.
تفسير الدرّ المنثور، جلال الدين السيوطيّ، مطبعة محمّد الأمين ـ بيروت.
تفسير الصافيّ، الفيض الكاشانيّ، المطبعة الإسلاميّة ـ طهران.
تفسير الطبريّ (جامع البيان)، ابن جرير الطبريّ، مطبعة مصطفى البابي الحلبيّ ـ القاهرة.
تفسير العيّاشيّ، العيّاشيّ، المطبعة الإسلاميّة ـ طهران.
تفسير الفخر الرازيّ (مفاتيح الغيب)، الفخر الرازيّ، المطبعة البهيّة ـ القاهرة.

تفسير القرآن العظيم،ابن كثير، دار إحياء التراث العربيّ ـ بيروت.

التفسير القرآنيّ للقرآن، عبدالكريم الخطيب، دار الفكر العربيّ ـ القاهرة.

تفسير القمّيّ، عليّ بن إبراهيم القمّيّ، مطبعة النجف ـ النجف الأشرف.

تفسير الكشّاف، الزمخشريّ، دار إحياء الكتب العربيّة ـ القاهرة.

تفسير المنار، محمّد رشيد رضا، دار المنار ـ القاهرة.

تفسير الميزان، العلامة الطباطبائيّ، المطبعة الحيدريّة ـ طهران.

تفسير النسفيّ، الشيخ عبد اللّه النسفي، دار إحياء الكتب العربيّة ـ القاهرة.

تفسير انوار درخشان (فارسي)، السيّد محمّد النجفيّ الهمدانيّ، مطبعة استوار ـ طهران.

تفسير روح المعاني، الآلوسيّ، المطبعة المنيريّة ـ القاهرة.

تفسير شُبَّر، السيّد عبداللّه شبّر، مطبعة البرلمان الإيراني (مجلس شورا) ـ طهران.

تفسير عاملي (فارسي)، الشيخ إبراهيم العامليّ، مطبعة طوس ـ مشهد المقدّسة.

تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسيّ، مطبعة العرفان ـ صيدا.

تفسير مقتنيات الدُّرر، السيّد عليّ الحائريّ، المطبعة الحيدريّة ـ طهران.

تفسير نور الثقلين، الشيخ الحويزيّ، المطبعة العلميّة ـ قم المقدّسة.

تنقيح المقال، آية اللّه الشيخ المامقانيّ، مؤسسة آل البيت ـ قم المقدّسة.

ج

جامع الأخبار، الشيخ الصدوق، المطبعة الحيدريّة ـ النجف الأشرف.

جامع بيان العلم والعمل، القرطبيّ، دار الكتب الحديثة ـ القاهرة.

الجامع لأحكام القرآن، القرطبيّ، دار الفكر للطباعة والنشر ـ بيروت.
جواهر العقدين، السمهوديّ، مطبعة العانيّ ـ بغداد.

ح

حلية الأولياء، ابو نعيم الإصفهانيّ، دار الكتاب العربيّ ـ بيروت.
حياة الحيوان، الدميريّ، دار الفكر ـ بيروت.
حياة محمّد، محمّد حسين هيكل، مطبعة مصر ـ القاهرة.

خ

خصائص أميرالمؤمنين، النسائيّ، المطبعة الحيدريّة ـ النجف الأشرف.
الخصال، الشيخ الصدوق، المطبعة الحيدريّة ـ طهران.
خلاصة سية رسول اللّه، محمّد عبد اللّه المصريّ، المكتبة العلميّة ـ القاهرة.
خير البريّة والألطاف الإلهيّة، عبد الرحيم مبارك، دار العلوم ـ بيروت.

د

الدّرة الباهرة من الأصداف الطاهرة، الشهيد الأوّل محمّد بن مكّي العامليّ، مؤسسة آل البيت ـ قم المقدّسة.
دعائم الإسلام، القاضي نعمان المغربيّ، دار المعارف ـ القاهرة.

ذ

ذخائر العقبىٰ في مودّة ذوي القربى، محب الدين الطبريّ، مكتبة القدسي ـ القاهرة.

ذكرى الشيعة، الشهيد الأوّل محمّدبن مكّي العامليّ، مكتبة بصيرتي ـ قم المقدّسة.

ر

ربيع الأبرار، الزمخشريّ، مطبعة العاني ـ بغداد.

الروض الأُنُف، السهيليّ، دار الكتب الحديثة ـ القاهرة.

روضة الواعظين، الفتّال النيشابوريّ، المطبعة الإسلاميّة ـ طهران.

رياض المسائل، السيّد عليّ الطباطبائيّ، مؤسسة آل البيت ـ قم المقدّسة.

الرياض النضرة في فضائل العشرة المبشَّرة، محبّ الدين الطبريّ، مطبعة الجندي ـ القاهرة.

س

سفينة البحار، المحدّث الشيخ عباس القميّ، المطبعة المرتضويّة ـ النجف الأشرف.

السنن الكبرى، البيهقيّ، مطبعة مصطفى البابي الحلبيّ ـ مصر.

السيرة النبويّة، ابن هشام، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ القاهرة.

ش

شأن نزول الآيات، الدكتور محقّق، مطبعة جامعة طهران ـ طهران.

شرح زيارة الغدير، السيّد عبدالمطّلب الخرسان، مؤسسة الثقلين ـ قم المقدّسة.

شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزليّ، مطبعة مصطفى البابي الحلبيّ ـ القاهرة.

شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحرانيّ، مؤسسة النصر ـ طهران.

شواهد التنزيل، الحاكم الحسكانيّ، مؤسسة الأعلميّ ـ بيروت.

ص

صحيح البخاري، البخاريّ، دار إحياء التراث العربيّ ـ لبنان.

الصواعق المحرقة، ابن حجر الهيثميّ، مصطفى عيسى البابي ـ القاهرة.

ط

الطبقات الكبرى، ابن سعد الواقديّ، منشورات النصر ـ طهران.

ع

العُدد القويّة لدفع المخاوف اليوميّة، عليّ بن يوسف بن المطهّر الحلّيّ، مكتبة آية اللّه السيّد المرعشيّ (ره) ـ قم المقدّسة.

العقد الفريد، ابن عبدربّه الأندلسيّ، دار الكتاب العربيّ ـ بيروت.

عليّ والسنة، الشيخ نجم الدين العسكريّ، مطبعة الآداب ـ النجف الأشرف.

عيون أخبار الرضا، الشيخ الصدوق، مطبعة دار العلم ـ قم المقدّسة.

غ

الغارات، إبراهيم الثقفي الكوفيّ، مطبعة بهمن ـ طهران.

غاية المرام، السيّد هاشم البحرانيّ، مؤسسة الأعلميّ ـ بيروت.

الغدير، العلّامة الأمينيّ، دار الكتاب العربيّ ـ بيروت.

غرر الحكم ودرر الكلم، الآمدي، المطبعة العلميّة ـ طهران.

الغزوات، الشيخ جعفر النقديّ، المطبعة العلميّة ـ النجف الأشرف.

ف

فرائد السمطين، الحموينيّ الجوينيّ، مؤسسة المحموديّ ـ بيروت.

الفصول المهمّة،ابن الصبّاغ المالكيّ، مطبعة العدل ـ النجف الأشرف.

فضائل الخمسة من الصحاح الستّة، السيّد الفيروزآباديّ، مطبعة النجف ـ النجف الأشرف.

فضائل الصحابة، أحمدبن حنبل، دار الكتب ـ مصر.

في ظلال نهج البلاغة، محمّد جواد مغنية، دار العلم للملايين ـ بيروت.

ق

قادتنا كيف نعرفهم، آية اللّه السيّد الميلانيّ، مؤسسة آل البيت ـ قم المقدّسة.

قاموس الرجال، الشيخ محمّد تقي التستريّ، مركز نشر الكتاب ـ طهران.

القصيدة العلويّة، عبد المسيح الأنطاكيّ، مطبعة رعمسيس ـ القاهرة.

ك

كامل الزيارات، الشيخ ابن قولويه القميّ، المطبعة المرتضويّة ـ النجف الأشرف.

الكامل في التاريخ، ابن الأثير، دار بيروت للطباعة والنشر ـ بيروت.

كتاب سليم بن قيس الكوفيّ، سليم بن قيس، دار الكتب الإسلاميّة ـ قم المقدّسة.

كشف الغمّة في معرفة الأئمّة، الإربليّ، المطبعة العلميّة ـ قم المقدّسة.

كشف المراد في شرح تجريد الإعتقاد، العلامة الحلّيّ، المطبعة الإسلاميّة ـ طهران.

كفاية الطالب، الكنجيّ الشافعيّ، المطبعة الحيدريّة ـ النجف الأشرف.

كنز العمّال، المتّقي الهنديّ، مطبعة البلاغة ـ حلب.

ل

لسان العرب، ابن منظور، دار صادر ـ بيروت.

لسان الميزان، ابن حجر العسقلانيّ، مؤسسة الأعلمي ـ بيروت.

م

مائة منقبة من مناقب أمير المؤمنين عليه السلام، الفضل بن شاذان القميّ، مؤسسة الإمام المهديّ ـ قم المقدّسة.

مجمع البحرين، فخر الدين الطريحيّ، مطبعة النجف ـ النجف الأشرف.

مجمع الزوائد، الهيثميّ، دار الكتاب العربي ـ بيروت.

المحاسن، البرقيّ، دار الكتب الإسلاميّة ـ طهران.

محمّد رسول اللّه ، محمود المصريّ ، منتديات الحرمين الشريفين ـ مكة المكرّمة .

مختار الصحاح ، ابوبكر الرازيّ ، مطبعة الترقّي ـ دمشق .

المختصر في أخبار البشر ، أبو الفداء ، دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت .

مروج الذهب ، المسعوديّ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبيّ ـ القاهرة .

المستدرك على الصحيحين ، الحاكم النيشابوريّ ، مطبعة النصر الحديثة ـ الرياض .

مستند الشيعة ، النراقيّ ، مؤسسة آل البيت ـ قم المقدّسة .

مسند الإمام زيد ، الشهيد زيدبن عليّ السجّاد عليه السلام ، مكتبة الحياة ـ بيروت .

مسند أحمد ، أحمدبن حنبل ، دار صادر ـ بيروت .

مصائب النواصب ، القاضي نور اللّه التستريّ ، انتشارات دليل ما ـ قم المقدّسة .

مصابيح السنّة ، البغويّ ، مخطوط .

مصباح الزائر ، السيّدابن طاووس ، مخطوط .

المصنّف ، الصنعانيّ ، المطبعة الأدبيّة ـ صنعاء .

المعارف ،ابن قتيبة الدينوريّ ، دار إحياء التراث العربيّ ـ بيروت .

معالم المدرستين ، السيّد مرتضى العسكريّ ، مؤسسة البعثة ـ قم المقدّسة .

معاني الأخبار ، الشيخ الصدوق ، مكتبة الصدوق ـ طهران .

معجم البلدان ، الحمويني ، دار صادر ـ بيروت .

المعجم الكبير، الطبرانيّ، المكتبة العربيّة ـ بيروت.

المعجم الوسيط، الصاحب ابن عبّاد، مطبعة دار المعارف ـ القاهرة.

المعيار والموازنة، الإسكافيّ، مؤسّسة فؤاد بعيو ـ بيروت.

مفاتيح الجنان، المحدّث الشيخ عباس القمّيّ، مطبعة خورشيد ـ طهران.

مفتاح النجاء في مناقب آل العباء، الحافظ البدخشانيّ، منشورات مكتبة أميرالمؤمنين ـ اصفهان.

المفردات في غريب القرآن، الراغب الإصفهانيّ، المطبعة المرتضويّة ـ طهران.

مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب، المطبعة العلميّة ـ قم المقدّسة.

مناقب الإمام عليّ بن أبي طالب، الحافظ ابن المغازليّ الشافعيّ، المكتبة الإسلاميّة ـ طهران.

المناقب الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة، السيّد عبدالحسين شرف الدين، مطبعة القضاء ـ النجف الأشرف.

المناقب (مناقب عليّ بن أبي طالب)، الخوارزميّ، المطبعة الحيدريّة ـ النجف الأشرف.

منتهى الآمال (المعرّب)، المحدّث الشيخ عباس القمي (تعريب السيّد هاشم الميلانيّ)، مؤسسة النشر الإسلاميّ ـ قم المقدّسة.

منتهى المقال، ابو عليّ الحائريّ، مؤسسة آل البيت ـ قم المقدّسة.

المنجد، لويس معلوف، المطبعة الكاثوليكيّة ـ بيروت.

ميزان الإعتدال، الحافظ الذهبيّ، دار المعرفة ـ بيروت.

ن

نزل الأبرار بما صحّ من مناقب الأطهار، الحافظ البدخشانيّ، منشورات مكتبة أميرالمؤمنين ـ اصفهان.

نظم درر السمطين، الزرنديّ، مطبعة القضاء ـ النجف الأشرف.

النُّكت الإعتقاديّة، الشيخ المفيد، المطبعة الحيدريّة ـ النجف الأشرف.

نور الأبصار، الشبلنجي الشافعيّ، المكتبة الأدبيّة ـ القاهرة.

النهاية في شرح غريب الحديث، ابن الأثير، مطبعة المكتبة الإسلاميّة ـ بيروت.

نهج البلاغة، السيّد الشريف الرضي، دار الأندلس للطباعة ـ بيروت.

نهج الحق وكشف الصدق، العلامة الحلّيّ، المطبعة الحيدرية ـ النجف الأشرف.

نهج المسترشدين في أصول الدين، العلامة الحليّ، المطبعة الحيدريّة ـ النجف الأشرف.

فهرس المحتويات